منبر الإسلام

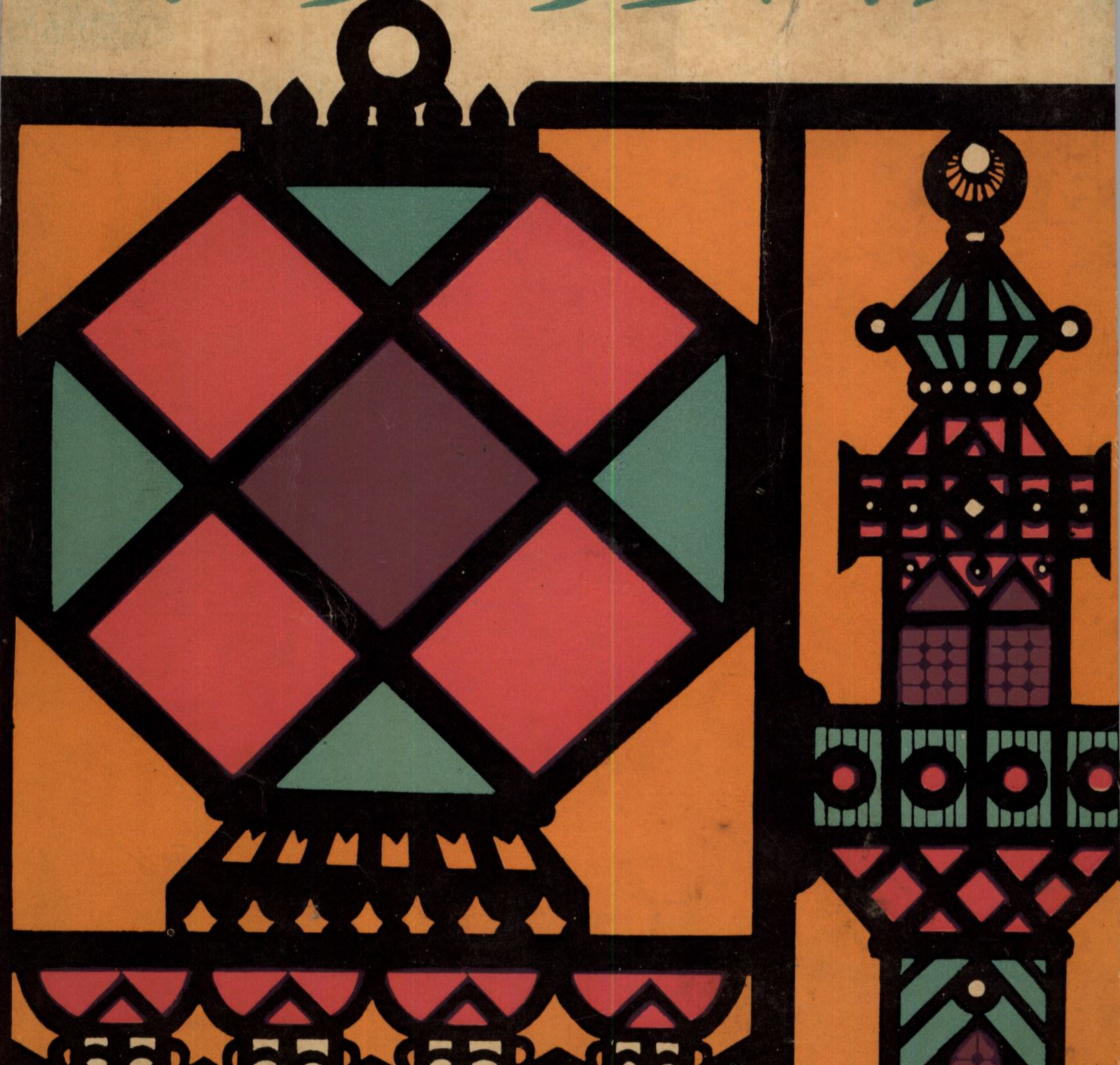

العدد ٩ – السنة ٢٠ – رمضان ١٣٨٢ – فبراير ١٩٦٣

الثمن ٥ قروش

مع العدد هدية امساكية شهر رمضان المعظم

مروان حسام الدين

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

رمضان ١٣٨٢

فبراير ١٩٦٣

العدد ٩ السنة ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- مفهوم الثورة وتجربتها الثـورية فى الميثاق ـ السيد الأستاذ حسين الشافعى
- حديث مع القائم بأعمال سفارة العراق
- الحركة النسائية فى مصر ـ لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد
- هل يفهم من القرآن الكريم وجود مخلوقات حيـة فى الكواكب ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- من كلام النبوة ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- ماذا ينفقون ـ الأستاذ البهى الخولى
- مشروعية النضال فى تحرير الشعوب العربيـة ـ المستشار على على منصور
- تعدد الزوجات فى تاريخ الحضـارة الانسانية ـ الدكتور على عبد الواحد وافى
- احياء المفاهيم الاسلامية ـ الدكتور عبـد الحليم محمود
- شهر القرآن الكريم ـ الأستاذ عبد الرزاق نوفل
- رمضان فى الدين والتاريخ والأدب ـ الأستاذ طاهر الطناحى
- الفتاة فى مجتمعنا الاسلامى ـ الأستاذة مفيـدة عبد الرحمن
- شهر القرآن ـ الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفى
- وغير ذلك من الأبواب الثابتة : المرأة المسلمة ـ أنت تسأل والمفتى يجيب ـ لماذا أسلمت ـ مع القراء ـ بريد التعارف .

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة من البلاد الاخرى

*

الاشتراكات تدفـع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق .....

خطاب الرئيس ... فى عيد العلم الثالث

ليست مجرد مجاملة ان اقول امامكم هنا ، انه ما من مناسبة أحرص على حضورها ، كما أحرص على الحضور فى هذا الاحتفال كل سنة .

واذا كنت أجىء هنا لكى أسلم جوائز التفوق الى النابهين من أبناء هذا الشعب العظيم — رائد الحضارة ومعلم الانسانية — فثقوا أننى أخرج أنا الآخر من هذا الاجتماع دائما بجائزة ، لايستطيع أى شىء أن يعوضنى عنها ، تلك هى الطمانينة والايمان بالمستقبل.

اننى فى هذا الاحتفال كل عام أرى أجيالا جديدة من القيادات الوطنية ، تلحق بأجيال سبقتها الى مجالات الخدمة العامة للقضية

العظمى التى يناضل من أجلها شعبنا ، وكل الشعوب واعنى بها قضية الحرية فى صورها وأشكالها المتعددة ، السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية .

فى هذا الاجتمـــاع أرى موجة من الأمل تسابق موجة .

أو بصورة أخرى ، فاننى فى هذا الاجتماع كل سنة أكاد أن ألمس بيدى تيار التطـــور الخالق ، يمضى فى استمراره العظيم الذى لاينحرف ولا ينقطع ، يشق طريقه فى قـــوة وصحة وشباب ، حاملا آمالنا الكبرى ، وعملنا المخلص لها ، ماضيا بها الى المستقبل .

وليس يداخل يقينى اى شك فى أن هذا الشعب بأصالته قادر دائما على أن يصـوغ الأجيال الجديدة من أبنائه ، وفقا لمقتضيات مطالبـه على مراحل الأمل ، مرحلـــة بعد مرحلة .

فخر بالجيل الجديد

من هنا فان ايمانى لايتزعزع بأن كل جيل جديد فى شعبنا أقدر من الجيل الذى سبقه على الوفاء بمسئولية عصره .

واننى لأرفض رفضا مطلقـا ، ذلك القول الذى يترددفى بعض الأحيان ، اعزازاللماضى ، واسترجاعا لذكرياته ، يقول ان الأجيال التى مضت لن تعوض ، وأن مافات لن يعود ، وان الأجيال السابقة خير من أجيال لاحقة .

أرفض هـــذا المنطـــق ، ليس فقط لأنه يجافى سنة التطور وانما أرفضه لأنه يجـافى الحقيقة .

وأؤكد لكم هنا أننى أشعر بالفخر المتناهى لقدرة هذا الشعب العظيم على تطوير نفسه وعلى جهده المتفانى فى السباق مع زمانه .

ولا اتردد أن اقول أمامكم هنا ، وانا احس اننى انتمى - ولو بالعمر الى جيل سبق - اننى ارى الجيل الجديد من أبناء شـعبنا يتقدم على جيلنا فى استعداده وفى امكانياته.

واحب أن اضيف على الفور ، انها سوف تكون مسئوليتنا نحن اذا حاولنا لأى سبب من الأسباب مهما كان خيرا ونبيلا أن نصدم استعداد هذا الجيل الجديد للتقدم أو نعوق امكانياته عن الانطلاق الى مداها .

اننا لانملك أن نكون أوصـــياء على هذا الجيل الجديد قهرا وتحكما ، حتى ولو كان دافعنا الى ذلك مانتصـــوره من الرغبة فى تجنب أخطاء لاضرورة لها أو الاشفاق عليه من مسئوليات قد لايطيق حملها .

اننا لانملك ، ولا يجب أن ندعى ملكية اى سلطة تحرم قوى التطور الجديدة من حقها المشروع حتى فى الخطأ ، فمن طريق الخطأ ، وبالتجربة وحدها ، يتأكد الصواب .

جيل الوصول للأمل

واذا ما أردت أن الخص الفارق بين جيلنا الذى تحمل مسـئولية الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبين الجيل الجديد الذى نراه الآن يؤهل نفسه ويستعد لدوره ، فانى الخص هذا الفارق فيما يلى :

كان جيلنـــا ، هو جيـــل تحدى اليأس والتغلب عليه .

والجيل الجديد ، هو جيل تحدى الأمل والوصول اليه .

هذا الفارق الكبير بطبيعة الظروف يصنع اختلافا بين الجيلين ، وأقول من غير تـردد ان الاختلاف لمصلحة التطور .. انه اختلاف الى الأحسن .

لقد كان جيلنـــا الذى ثار فى ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ ، هو الجيل الذى قاسى الألم والعذاب من رؤية جنود الاستعمار البريطانى يحكمون ارضه ، من رؤية العدل الاجتماعى منهوبا لصالح الاســتغلال والاحتكار ، من رؤية الصراع العقيم بين الأحزاب السياسية التى تمثل الطبقية الاجتماعية المتميـزة ، وتخدم أغراضـها عن طريق تضـــليل الجماهير وخداعها .

من هنا قلت ان ثـورة ٢٣ يوليـو كانت انتفاضة ضد اليأس .

لكن جيلنا الذى حمل الأمانة عن أجيـال من أمتنا أدت دورها ومضت - تمكن بعون الله

ورضاه – ان يفرض ارادة الشعب على مجريات الأمور فوق أرضه .

والنتيجة التى أعتز بها من كل ماجرى ان لدينا الآن جيلا جديدا من البشر يتقدم لأداء دوره فى جو يختلف .

انه الجيل الذى رأى الاقطاع يسقط ، ورأى الاسرة المالكة قمة الاقطاع تسقط معه .

انه الجيل الذى راى الاستعمار البريطانى يخرج من أرضه مرتين فى عام واحد ، مرة بحكم مفاوضات الجلاء ، وقد خرج بها فى يونيو ١٩٥٦ . ومرة ثانية فى ٢٣ ديسمبر من نفس العام ، وقد خرج فيها بحق النصر الذى أحرزه الشعب المصرى ، بالقتال المسلح فى معركة السويس ، ذات النتائج والآثار الباهرة .

عهد التفوق والنهضة

انه الجيل الذى شهد فجر التصنيع .

انه الجيل الذى يرقب السد العالى يوما بعد يوم ، وكل يوم يضيف اليه جديدا ، ليس فقط باعتبار أن هذا السد مشروع كبير ، وانما – أولا – باعتبار أن هذا السد رمز كبير لارادة عمل .

انه الجيل الذى راى وطنه يتحول – أمام عينيه – من شبه مستعمرة مغلوبة على امرها يحكمها السفير البريطانى ، الى دولة كبرى ، تؤثر تأثيرا فعالا وايجابيا فى تطور منطقة محيطة بها ، تعيش عليها الأمة العربية التى ينتمى اليها هذا الشعب ، ويحس – بالتراث وبالكفاح وبالمصير – انه جزء منها .

انه الجيل الذى يشعر أن طاقات بلاده وامكانياتها عامل هام ، يؤدى دوره فى شرف وتجرد ، من أجل السلام والتقدم لجميع الشعوب ، ولا يتوانى لحظة واحدة عن الحركة فى اى اتجاه يؤمن انه اتجاه السلام القائم على العدل .

واذن فان هذا الجيل الجديد ، هو بطبيعة التربة التى يعيش عليها ، وبطبيعة المناخ الفكرى الذى يحيط به ، وبطبيعة المثل الذى يتطلع اليها ، جيل يتفوق على الجيل الذى سبقه ..

أيها الاخوة

على أننى أقول ايضا انه اذا كان هذا الجيل يختلف الى الأحسن عن الجيل الذى سبقه فمن الحق والعدل أن نقول أيضا ان هذا الاختلاف يمتد أثره الى الأعباء والتكاليف التى تتطلبها المسئوليات الكبيرة التى يتسلمها هذا الجيل الذى يستعد لأداء واجبه .

ان هذه الأعباء والتكاليف تزيد كثيرا عما تحملته الأجيال السابقة .

ولو لم يكن هناك الا وضوح الرؤية أمام هذا الجيل عن الأجيال التى سبقته ، لكان ذلك كافيا للتدليل على ضخامة الأعباء والتكاليف .

وحين تصدى جيلنا لمسئولياته ، كان الضباب يحجب عنه جزءا كبيرا من الحقيقة

ارض الحقيقة

لقد تصورنا وقتها أننا نتصدى للملك وللاستعمار ، وتصورنا ان مانقوم به محصور داخل حدود مصر ، وكان فى خواطرنا أن المبادىء الستة التى كانت تملأ أحلامنا ونحن نستعد للثورة ، سوف تفرض نفسها تلقائيا اذا ماتخلصنا من الملك ومن الاستعمار .

وبدأت أبعاد الحقيقة تتكشف أمامنا مع التجارب يوما بعد آخر .

حتى استطاع النضال المتواصل ، والاخلاص المتجرد لقضية الثورة أن يكشف امامنا رقعة أكبر من ارض الحقيقة .

لقد ادركنا اننا نقع فى خطأ كبير اذا ظننا ان المعركة مع الاستعمار هى مجرد حرب كراهية .

لقد اكتشفنا بالتجربة أن هذا الخطأ لو تورطنا فيه : يحول قضية الثورة الى عمل سلبى يصل الى حائط مسدود .

ثم علمتنا التجارب بصدق أن الثورة ضد مالانريد هى مجرد مقدمة نمضى بعدها الى الثورة من أجل مانريد .

ولقد تعلمنا أنه لايكفى فى النصر تحت ظروف هذه المعركة أن نجعل الحرب ، مجرد حرب بنادق أو طائرات أو دبابات ، وانما تعلمنا أن الحرب يجب أن تكون عملا وتفوقا واخلاصا وجهدا لاينقطع من أجل تطوير الحياة ذاتها .

استحقاقا للحياة ، وطلبا لها ، وارتفاعا بقيمتها ..

ان الحرب فى هذه الحالة تصبح حربا شاملة ، لاضد الاستعمار وحده ، وانما من أجل القوة الذاتية والعلمية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية ، وهذه القوة الذاتية هى الوسيلة لتطوير الحياة .

كل ذلك يبدو واضحا أمام عيوننا الآن ، يمنحنا رؤية جديدة ، لكنه يلقى علينا مسئوليات واسعة النطاق ، شاملة وعميقة

ولعل كلمة هنا وردت فى سياق كلامى أن تكون مفتاحا لمسئوليات هذا الجيل المتقدم . واقصد بها كلمة شاملة .

ان المسئوليات الجديدة كلها تنطوى فى هذه الكلمة :

لقد كانت الأجيال السابقة تواجهها دائما مشكلة أو مشكلات محددة .

لكن هذا الجيل الجديد بفعل الثورة . التى حطمت الحواجز والموانع من حوله ، يمد بصره الآن على آفاق مترامية ، تمتد الرؤية الصافية عليها الى بعيد .

هذا الجيل - على سبيل المثال - لايواجه قضية اصلاح وانما هو يواجه قضية الثورة الشاملة .

وهذا الجيل - على سبيل المثال - لايواجه مشكلة تحسين نظام الصرف ، أو تجفيف المستنقعات أو تلك المشروعات التى كانت تحفل بها خطب العرش القديمة ، وانما هذا الجيل يواجه مشكلة التطوير الشاملة ، وهى مشكلة متعددة الجوانب لايمكن فصل الجزئيات فيها عن الكل ، ولابد أن تضمها جميعا خطة شاملة ، اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية .

وهذاالجيل - على سبيل المثال - لايواجه أمانة العمل الوطنى فى مصر وحدها ، وانما هو يواجه أمانة العمل القومى ، بالنسبة للأمة العربية كلها بحكم المصير المشترك حتى وبصرف النظر عن حكم الماضى المشترك وحتى لو تخيلنا افتراضا أنه كان فى وسعنا أن نتحلل من شركة الماضى ، فاننا لانستطيع أن نتصور لحظة - حتى بدافع الأمن المحلى - أننا نستطيع أن نفرط فى شركة المستقبل

تحية لأبنائنا باليمن

ان الذين نهبوا ثروة شعبنا فى القرن التاسع عشر ، هم نفس الذين ينهبون الآن ثورة الأمة العربية فى وسط القرن العشرين

والذين حولوا شعب فلسطين أمام عيوننا الى شعب من اللاجئين ، هم نفس الذين يخططون اليوم ويعملون لفرصة تؤاتيهم لكى يحولوا شعب مصر أيضا الى شعب من اللاجئين ..

والذين يفرضون نفوذهم على قصور الرجعية فى الرياض وعمان وغيرهما .

هم الذين يحلمون يوما أن يعيدوا ترميم قصور الرجعية فى مصر مرة أخرى لتكون نقط ارتكاز لمناطق نفوذهم ، كالقواعد العسكرية تماما ، وكالمطارات المختلفة ، وكالموانى التى تتخذها الأساطيل الغربية بيتا لها تعود اليه من مغامرات البحار .

ولعلنى وأنا اصل الى هذا الحد من كلامى أن ابعث تحية من هنا ، وباسمكم جميعا الى ابناء لنا بواسل يخوضون الآن فى اليمن أشرف المعارك من أجل المصير المشترك للأمة العربية ، حماية لتيار التطور ، وتعزيزا لامكانيات القوة الذاتية العربية .

دفاع عن حق التطور

انهم هناك فى هذه المعركة الخطيرة لايشاركون فى الدفاع عن حكومة الرئيس عبد الله السلال كما يدعى الاستعمار ويدعى عملاؤه ، لكنهم هناك يدافعون عن حق الشعب اليمنى فى الثورة ، وعن حقه فى تطوير حياته ، وعن واجبه بالتالى فى الاسهام ايجابيا فى معركة المصير المشترك،وهي المعركة

التى أصبحت بفعل الأوضاع المتغيرة فى العالم ، أكثر من مجرد حرب بيننا وبين العدوان الصهيونى فى اسرائيل ، وانما أصبحت هى الأخرى ، صداما شاملا ، بين كل طاقات الأمة العربية ، وبين كل مايقدر عليه عدو الأمة العربية .

ودعونى أقل أيضا اننى هنا اتحدث عن الطاقات الايجابية للأمة العربية ، فهى وحدها القادرة على كسب المعركة الكبرى ولا أتحدث ثانية واحدة عن السلبيات العقيمة والألفاظ الضائعة فى الهواء والمشاورات الضيقة التى تبدد طاقات الأمة العربية وتكون على حساب نصرها ، ولا تكون عاملا فى الحساب من أجل النصر الحتمى .

كذلك - بعد هذا كله - على سبيل المثال اخيرا - فان هذا الجيل لايواجه مسئولية استقلال مصر وحدها ، وانما هو يواجه متطلبات العمل من أجل الحرية ، ومن أجل السلام ، فان الحرية لاتقدر على الحياة فى ارض اذا كانت مقهورة فى ارض أخرى بجوارها

والسلام لايتجزأ وكذلك الرخاء .

وكذلك فحتى مسئوليات هذا الجيل خارج حدود أمته العربية مسئوليات شاملة.

أيها الاخوة :

على انى ملىء بالثقة .

وكما قلت لكم فان مجيئى الى هنا كل عام يعطينى جائزة هى جائزة الطمأنينة والأمل .

ومن حسن حظى أننى فى هذا الاسبوع بالذات أحضر معكم ، هنا وأحضر فى نفس الوقت اجتماعات اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى العربى .

ودعونى أؤكد لكم أنى ارى العلاقة بين الاثنين وثيقة مترابطة .

ان مستقبل هذا الوطن ودوره من أجل أمته ودوره الانسانى وراء حدود أمته يرتبط ارتباطا وثيقا وشاملا - أيضا - بهاتين المناسبتين والرمز الذى تشيران اليه .

ذلك أننى أعتبر نفسى واحدا من الذين يعتقدون اعتقادا جازما بان مصير التطور الشامل ، فى مجاله الوطنى ، والقومى ، والانسانى يرتبط ارتباطا وثيقا بكفاءة القيادات الشعبية فى كل المستويات وبكفاءة القيادات العلمية فى كل المجالات ، ثم بمدى التناسق والتفاعل بين القيادات الشعبية والقيادات العلمية ..

القيادات الشعبية تعطى الآمال المستمدة من الضمير اليقظ للأمة .

والقيادات العلمية تتولى تخطيط هذه الآمال وتنفيذها .

القيادات الشعبية تعطى للتخطيط كل متطلباته من طاقات الأمة .

والقيادات العلمية تحول خططها المعززة بالطاقات الوطنية الى عمل واقعى .

وأؤكد لكم من جديد سعادتى بهذا التوافق الذى نراه هذا الاسبوع .

ان نرى معكم هنا طليعة صف جديد يتقدم للقيادة العلمية .

وان نحاول فى نفس الوقت ، فى الاتحاد الاشتراكى ان نفسح الفرصة لصف جديد يتقدم للقيادات الشعبية .

تحية لشعب الجزائر

أيها الاخوة قبل أن أختتم كلمتى اريد ان أحيى شعب الجزائر بمناسبة وجود قائد من قادته الأبطال أخى محمد خيضر لأول مرة بعد الاستقلال واقول له قل لاخوتنا فى الجزائر لشعب الجزائر البطل المكافح المناضل قلت لأحمد بن بيللا ان شعب الجمهورية العربية المتحدة المقدر لتضحياتكم المجد لبطولتكم يساندكم بكل قواه بكل مايملك من أجل الحفاظ على استقلال الجزائر ومن أجل تثبيت استقلال الجزائر .

ولندع الله جميعا ، أن يكون قائدا ومرشدا لهذه الصفوف الجديدة من أجيال شعبنا ، فى الجامعات حيث الفكر الحر وفى المجالس الشعبية حيث الارادة الحرة ، لتقدر هذه الصفوف على المضى نحو مسئولياتها الشاملة المتزايدة ، والضرورية للثورة وللتقدم وللسلام .

زعماء العالم الاسلامى .. فى القاهرة

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وزير التصنيع الجزائرى

السيد العروسى خليفه
وزير الصناعة الجزائرى

وزير الصناعة الجزائرى يعلن أن الرئيس عبد الناصر سيحضر احتفالات العيد الأول لاستقلال الجزائر ٠

توقيع اتفاقية صناعية مع الجزائر تشمل اقامة مصنع نسيج تكاليفه ٨ ملايين جنيه وايفاد خبراء لتشغيل ٨٠٠ مصنع معطل ٠

قدم الى القاهرة السيد العروسى خليفة ، وزير الصناعة الجزائرى فى زيارة استغرقت اسبوعا ٠٠ وقد التقى سيادته بالرئيس جمال عبد الناصر وحمل اليه رسالة شفوية من السيد أحمدبن بيللا تتضمن تجديد الدعوة للرئيس لزيارة الجزائر بعد استقلالها ٠ وقد

قبل الرئيس جمال عبد الناصر الدعوة لزيارة جمهورية الجزائر أثناء الاحتفالات بالعيد الأول لاستقلالها فى ٥ من يوليو القادم .

الجزائر تشكر الرئيس
وشعب الجمهورية العربية المتحدة

وقد عقد الوزير الجزائرى مؤتمرا صحفيا قبل مغادرته القاهرة عائدا الى بلاده ووجه فيه شكر الشعب الجزائرى العميق للرئيس عبد الناصر وللجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعبا للمساعدة الكبيرة التى قدمها شعب الجمهورية العربية المتحدة للشعب الجزائرى أثناء حرب الاستقلال ، وفى مرحلة البناء وقال :

« لقد كانت الجمهورية العربية المتحدة أول دولة استجابت لنداء طلب المساعدة الذى وجهه السيد أحمد بن بيللا باسم شعب الجزائر اذ قررت الجمهورية العربية المتحدة تقديم قرض قدره ١٠ ملايين جنيه لتنفيذ برامج بناء الدولة الجديدة » .

توقيع اتفاق تجارى وآخر صناعى
مع الجزائر

ثم أعلن الوزير نجاح المحادثات الاقتصادية التى قام بها الوفد الصناعى الجزائرى برياسته مع المسئولين فى القاهرة . وقال انه سيتم - خلال الأيام القليلة القادمة - توقيع اتفاق تجارى طويل الأجل بين البلدين وانه قام بالاتصالات والمباحثات اللازمة بشأن هذا الاتفاق التجارى ، وقال الوزير ان الجانبين العربى والجزائرى قد توصلا أيضا الى اتفاق صناعى، **وان حكومة الجزائر ستقوم بالاشراف بمعاونة الجمهورية العربية المتحدة ، على الصناعات الثقيلة التى لم تكن موجودة فى الجزائر من قبل . وقد شمل الاتفاق الذى توصل اليه الجانبان العربى والجزائرى برياسة كل من الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة العربى ، والسيد العروسى خليفة وزير الصناعة الجزائرى ، على :**

أولا - انشاء مصنع للغزل والنسيج والصباغة والملابس الجاهزة فى الجزائر . وسيتكلف هذا المصنع ٨ ملايين جنيه، وينتج سنويا ٣٠٠٠ طن غزل ، و٢٤ مليون متر من المنسوجات ، و٣٠٠ ألف قطعة من الملابس الجاهزة .

ثانيا - تبعث الجمهورية العربية المتحدة بوفد من الخبراء والفنيين الى الجزائر لبحث حالة ٨٠٠ مصنع توقفت عن العمل بسبب هجرة أصحابها الفرنسيين للجزائر بعد الاستقلال والعمل لاعادة تشغيل هذه المصانع .

ثالثا - تلبية لرغبة حكومة الجزائر اتفق على اعارة عدد من الخبراء العرب المتخصصين فى التصنيع للعمل لمدة عام يكونون بمثابة مكتب خبراء استشاريين لوزارة الصناعة والطاقة فى الجزائر ، على أن يقوم هذا المكتب بدراسة المشروعات الصناعية ثم الاشراف على تنفيذها .

وتضمن الاتفاق كذلك ايفاد اخصائيين فى صناعة الجلود لانشاء مدبغة نموذجية وايفاد اثنين من خبراء القانون المتخصصين لوضع التشريعات الصناعية الجديدة وتشريعات الاستثمار فى الجزائر .

وقال السيد العروسى خليفة فى المؤتمر الذى عقده : ان وفد التصنيع والاقتصاد الذى حضر الى القاهرة معه سيبقى فترة أخرى لاستكمال تفاصيل المسائل التى اتفق عليها .

وقال ان الوفد حضر بدعوة من حكومة الجمهورية العربية المتحدة .. وان وزارة الصناعة قامت بتلبية جميع طلبات الوفد ، وذكر الوزير أن جميع صناعات الجزائر كانت جزءا مكملا لصناعات فرنسا ، ولكن الخطة الجديدة بعد الاستقلال الاقتصادى فى أعمق صوره أوضحت انه لاتوجد فى الجزائر صناعات غزل ولا نسج ولا جلود ولا أسمنت أو مواد بناء .

وتحدث الوزير الجزائرى عن زيارة الوفد الذى رأسه لمصانع الجمهورية العربية المتحدة فقال :

« ان برنامج التصنيع الذى بدأتم تنفذونه عام ١٩٥٦ قد نفذ بطريقة مذهلة وانه يمكن لأى دولة تتطلع الى مستقبل صناعى مشرق أن تحذو حذو الجمهورية العربية المتحدة » .

"نؤمن برباط روحى وثيق
يشدنا إلى العالم الاسلامى"
الميثاق

مفهوم الثورة وتجربتها الثورية فى الميثاق!

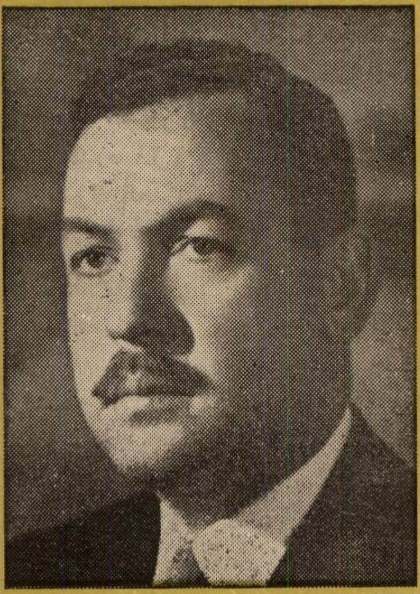

السيد/ حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

الكلمة التى القيت بقاعة الامام محمد عبده بالأزهر الشريف يوم ٦ ينـاير سنة ١٩٦٣

فى وسط الأحداث التى تتعاقب بلا توقف يسعدنى أن أجىء اليكم هذه المرة ، ملبيـا دعوتكم الكريمة ، الى افتتاح الموسم الثقافى لجامعة الأزهر .

وانى اذ أشكر لكم هذه الدعوة ، أعتز فى نفس الوقت بهذا التكريم للثورة ، فى أحد رجالها الذين آمنـوا بربهم ، وبوطنهم ، وبقائدهم ، فى معارك الثورة المتواصلة ، من أجل بناء مجتمع أفضل ..

وأرى فى هذه الفرصة مجالا نتجاوب فيه مع الأحداث ، ونطل من رحـاب الأزهر الشريف على مفهوم الثورة وتجربتها الثورية فى الميثاق .

وما من مرة اتحدث فيها من الأزهـر ـ وللأزهر فى قلب كل مسلم رصيد من التكريم والاحترام ـ الا واحسست أن كل كلمة تقال هنا ، تختلط أصداءها بأحاديث من سبقـونا من أئمة الفكر الإسلامى ، الذى استمـر

يهدى الى الرشـــد قرونا طوالا ، وسيظل مستمرا باذن الله الى ماشاء الله .

الى هذا أشار الميثاق فى قوله :

« فى اطار من التاريخ الاسلامى،وعلى هدى من رسالة سيدنا محمد ــ صلى الله عليـه وسلم ــ قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية .. واتخذ هذا الشعب من أزهره الشريف حصنا للمقاومة ضد الاستعمار ، وضد الرجعية التى حاولت ان تستر جرائمها باسم الدين »

المثل الناجح

ما من شك فى أن هناك من يسـأل : هل يمكن للاسلام ان يعطى دليل العمل التطبيقى ، بعد هذا الزمن الطويل ، الذى توقف فيـه الاجتهاد ، ولم تتحرك مبادىء الاسـلام ، لتعطى الحلول العمليـة لما تتـــعرض له التجربة الانسانية ، فى تطورها المـــادى الصناعى المضطرد ؟ .

هذا السؤال كثيرا مايؤدى بالنــاس الى افتقاد الاجابة العملية المقنعة .. والاسـلام يقول : **« ولا تقف ماليس لك به علم »** فيجد السائل نفسه باحثا عن المثل الناجح ، ايا كان مصدره ، وايا كان اتجاهه ، يتلمس عـنده الجواب ، ولديه الدليل .. دليل العمل .. ولكن كلما تعمق فى صور النجـــاح والمثل الحديثة من التطور ، وجدها جميعا لاتشفى له غليلا ، ولا تجيب على مايعتمل فى نفســه من معان ومثل ، لها جذور عميقة فى نفسه ، فيصبح حائرا بين المثل الناجح الذى وجده ، وبين فطرته التى فطره الله عليها .

الاسلام ــ أيها الأخوة ــ لم ينتشر بحـد السيف كمايتصوره المتصورون ، ولكن الأسلام انتشر بالقدوة والأسوة الحسنة وبالمثل الناجح ، ولو كان الاسلام عجز عن تقديم المثل الناجح فقد كان على الناس أن تتطلع الى الأمثلة الناجحة من اية جهة ، وهذا غير الواقع ولكن هل لنا أن ننساق فى هذا المجال بلا أفق ولا حـدود ونحن نؤمن فى نفس الوقت برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى كمـا يقرر ميثاق العمل الوطنى ؟ هذا هو السؤال .. ونحن فى هذه الحيرة والتسـاؤل نجد فى أيدينا ميثاقا هو دليـل العمل الوطنى الذى تتضح فيه تجربتنا الثورية خلال السنوات العشر الماضية وما يقتضيه العمل لمسـتقبل هذه الأمة ، وهى متجهة نحو أهدافها ملتزمة مبادئها التى تعتبـر امتدادا لمبادىء الثورة ، والمثل الناجحة التى قدمتها التجربة الرائدة فى المجال الانسانى .

واذا نحن اتجهنا فى هذا المجال الى مجال السياسة الخارجية نجد أننا نسير وفقا لمبدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز وليس من شك فى أن هذا المبدأ يؤكد يوما بعد يـوم للقاصى والدانى فى كل مكان أنه فى سيره الناجح فى هذه التجربة الرائدة انما يستمد أصوله من واقع الصورة التى يجب أن نعيش فيها ونعمل بها .. كما تؤكد الأحداث من حولنا فى أقصى الغرب وفى أقصى الشرق .. ان هذه التجربة تثبت نجاحها حينا بعد حين ، هذا المبدأ .. مبدأ عدم الانحياز والحياد الايجابى ، الذى يتفاعل مع الأحداث فى كل مكان ويثبت قوته فى كل حين وفى كل وقت يؤكد بالقوة الفعالة قوله سبحانه وتعالى **« وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة »** ، فهذه القوة هى التى تجعل هـذا المبدأ قائما قويا واقفا على قدميه معتزا كل الاعتزاز . هذه هى الصـورة العملية للمثل الناجح والأسوة الحسنة والقدوة الحقيقيـة .. لا اقول ذلك فى مجال التفاخر ولا اقول ذلك فى مجال العاطفة ، ولكن اقول ذلك من مجال التجربة ومن مجال الواقع الحى الذى نعيش فيـه .. واذا نحن نظرنا الى المحيط الذى نعيش فيه فى منطقتنـا نجد انه أقامت هنا فى مصر ثورة فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ، ولقد كانت هذه الثورة أصيلة فى كل أمرها ، وأصيلة فى قيامها ، أصيلة فى منطقها ، أصيلة فى مبدئها ، ولقد أعلنت الثورة حينما قامت مبادىء ستة هى :

المبدأ الأول : القضـــاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة .

المبدأ الثانى : القضاء على الاقطاع .

المبدأ الثالث : القضاء على سيطرة راس المال على الحكم .

المبدأ الرابع : اقامة العدالة الاجتماعية :

المبدأ الخامس : قيام جيش قوى وطنى .

المبدأ السادس : اقامة حياة ديموقراطية سليمة .

ونظرة فاحصة الى هذه المبادىء تؤكد انها اصيلة ، وهذه هى الأصالة التى أردت ان أتحدث اليكم عنها . فهى اصالة انفردت بها الثورة وتميزت عن غيرها من الثورات ، فقد قامت من حولنا بعد ذلك ثورات منها الذى اختط لنفسه سياسة لاترتبط بمبدأ ولا ترتبط بأساس،ولذلك سرعان ماانتكست ولم تسر كما سارت ثورتكم هذه ، ذلك لأن ثورتكم كانت أصيلة ولأنها كانت نابعة من ارادة هذا الشعب القوى المعلم . هذه الارادة هى التى تنير لنا الطريق دائما ثم هى فى نفس الواقت قد اثبتت أن الاستعمار انما يشكل العقبة الكئود : العقبة الأولى فى سبيل التحرر،فكيف يمكن لأمة أن تبنى نفسهاوفيها جيش لمحتل ؟ أمر بعيد الوقوع ولذلك كان الاستعمار عقبة أولى فى المجال الخارجى ، اما فى مجال بناء المجتمع فهناك أوضاع أخرى أمام قيام هذا المجتمع ، ففى ربوع البلاد يقوم اقطاع يتحكم . يتحكم فى لقمة العيش .. ويتحكم فى مصير الناس . ولا يمكن للذى يعيش فى ظل الاقطاع أن يقول لا ، حين يريد ان يقول لا ، ولا ان يقول نعم ، حين يريد ان يقول نعم . هذه هى الصورة التى رأينا عليها الاقطاع .. ولذلك كان القضاء على الاستعمار تحريرا لارادة الفرد .. وتحريرا لارادة الأمة .. وكذلك سيطرة راس المال ، لقد كانت فى الماضى صورا يندى لها الجبين . لقد كانت الحكومات تتعاقب والمال هو المتحكم فى قيامها وفى زوالها ، يقيمها راس المال ، ويزيلها راس المال .. هذه الصورة التى كانت فيما قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هى الصورة التى كانت تمثل مجتمعا يعيش فيما بينه وبين نفسه .. ويشعر ان هناك عقبات فى سبيل البناء الحقيقى .

يأتى بعد هذه العقبات قيام العدالة الاجتماعية ، ثم قيام الجيش الوطنى القوى الذى يحمى هذه المبادىء ، فلا يمكن أبدا لأى عقيدة مهما سمت بفكرتها أن تعيش الا والقوة الى جانبها تحميها ، كما أن القوة لايمكن ابدا أن تعيش بغير عقيدة .. ان هذه القوة لايمكن ان تسير ولا يمكن أن تتقدم الا اذا كانت العقيدة تدفعها والعقيدة تحركها ، وفى هذا المجال نجد الأمثلة الناجحة فى الثورات من حولنا تحاول أن تتمثل ، وتحاول أن تقتدى بالمثل الناجح . وهناك ثورات أخرى حادت عن الطريق وانحرفت بشعبها وبأمتها فعطلت بذلك سير التاريخ الى حين ، ولكنها لم تغير حتمية هذا التاريخ ، تلكالحتمية التى سوف تصل — بما لاشك فيه ولا ريب — الى اهدافها فى يوم من الأيام ، وهذا اليوم قريب ان شاء الله .

اننا نرى اليوم ذعرا فى السعودية. وذعرا فى الأردن .. واننا لنتساءل لماذا هذا الذعر فى كل من السعودية والأردن ؟! انهم يشعرون هناك أنهم يسيرون ضد التيار .. ضد تيار التاريخ .. انهم يشعرون أنهم منفصلون عن شعوبهم ، بينما أصبحت الشعوب اليوم على صلة متكاملة وخصوصا فى هذا المحيط العربى .

كل انسان فى المحيط العربى انما يتفاعل مع الأحداث التى يعيش فيها فينفعل بها ويتفاعل معها ، ويؤثر فيها وتؤثر فيه .

هؤلاء الذين يعيشون فى السعودية حينما يستنجدون بالأجنبى من أجل تمكينهم فى ارضهم انما يشعرون انهم فى فراغ ، وان الشعب اصبح لهم بالمرصاد .. هذه الصورة انما تعبر عن واقع موغل فى الجهل وموغل فى البعد عن الواقع ، هذا الملك الذى يعيش فى السعودية ، وهذا الذى يعيش فى الأردن لايشعر بحاجة اهله ولا بحاجة الناس فى بلده ، ولكنه يعمل كل جهده لأن يعيش هو ، وان يحافظ على بقائه هو ، ولذلك يقول الحكام فى السعودية والأردن : ان القاهرة حينما تتكلم فهى التى توعز الى هؤلاء ..اننا لانوعز الى أى من هؤلاء اطلاقا ، ولكنه المثل

الناجح مرة أخرى يرشد ويجمع القلوب بلا عمل ولا تدبير ، ولذلك فانى أقول خلاصة من كل ماتقدم : **ان المثل الناجح هو الأساس فى انتشار أية دعوة .**

واذا كنا نحن فى الميثاق العظيم الذى أعلن فى ٢١ من مايو من السنة الماضية دليلا على العمل الوطنى قد ضمنا هذا الميثاق عشرة أبواب ، فانما أردنا أن نشير بكل وضوح الى المراحل التى عشناها مرحلة بعد مرحلة ، فها أنتم ترون فى بابه الأول نظرة عامة تبين لنا عبرة الماضى ، وأما بابه الثانى ففى ضرورة الثورة ، وهذا يبين واقعية العمل وعدم التمسح بالشكل الذى لايؤدى الى جذور النضال المصرى بما يوضح الأصالة وعمق الكفاح ، ثم يبين درس النكسة دروسا نستفيد بها فى كفاحنا المقبل ، ثم يبين الديمقراطية بعد أن أطاحت بكل العقبات التى تقف فى سبيلها ، ثم الاشتراكية كأساس يوحد بين عواطف الناس، فليس هناك كبير ولا صغير ولا غنى ولا فقير .. كل يشعر بالعدالة والمساواة ،وبحقه فى الحياة فى أمته ، هذه هى الضمانات الحقيقية لتجعل كل فرد فى هذه الأمة يشعر بوجوده وكيانه ، ويشعر بتفاعله مع هذا المجتمع . ثم يعالج الميثاق بعد ذلك الانتاج والمجتمع ليحقق مبدأ الكفاية والعدل. مبدأ الكفاية بزيادة الانتاج فى كل مرفق من المرافق ، ثم يتحدث بعد ذلك عن التطبيق الاشتراكى ثم الوحدة العربية .. واخيرا يتكلم عن السياسة الخارجية ..

وفى هذه الفترة القصيرة من الوقت لن اتمكن من ان اوفى كل هذه الأبواب العشرة حقها ، ولكنى سآخذ على سبيل المثال الباب العاشر وهو سياستنا الخارجية .

المبدأ الأول فى سياستنا الخارجية : اننا نحارب الاستعمار ، وهو أحد مبادىء الثورة الستة ، لأنه العقبة الكئود التى تقف فى سبيل البناء .. ثم يقرر الميثاق اننا نؤمن بوحدة عربية ، ثم يبين الميثاق اننا نعمل من أجل جامعة أفريقية ، ثم من أجل تضامن آسيوى أفريقى ، ثم تجمع من أجل السلام ، ثم نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى ، ثم نؤمن بميثاق الأمم المتحدة ، واخيرا التعاون العالمى من أجل الرخاء

هذا التلخيص انما أردت أن أبين به أننا اذا أردنا أن نتعلم الميثاق فيجب أن تبسطه للفكر العادى فى كل مكان ، حتى يمكن لكل واحد منا أن يكون داعية فى مجالسه .. فاننا حينما ننظر نظرة شاملة الى الاسلام نجد أن الاسلام قوة ومتانة .. **« ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » ..**

وكذلك الميثاق .. لايمكن أن نتعرف على كل مافيه فى يوم وليلة ونحن على باب الدخول فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، ولكن المطلوب منا فى هذه المرحلة أن نتذكر ونحن ندعو الى الاتحاد الاشتراكى العربى ، أن الدعوة الى الاسلام فى أول الأمر لم تكن تتطلب من الناس أن يفقهوا كل مافى القرآن بما فيه من اعجاز وبما فيه من عمق ، لايمكن أن يصل اليه الا ذوو العلم وذوو الكفاية والمتفرغون لهذا الأمر . بل أكثر من هذا أقول : انه لم يكن المسلم يطالب فى ذلك الوقت الا بأن يشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

هذه هى المقومات الأولى التى كان يطالب بها المسلم حينما ينضم الى صفوف الأحرار اعلانا لهذا الشعار الخالد واعلانا لأنه أصبح متحررا من غايته ، وأنه أصبح متحررا فى فكره ، متحررا فى عقيدته ، متحررا فى ماله ، وبذلك يمكن لهذا الفكر المتحرر أن يكون مستقبلا ومرسلا ، وأن يكون أثره ناصع البياض قويا .

واليوم ونحن فى مجال التطبيق الاشتراكى فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، نرى أولئك الذين يتقدمون لهذا الاتحاد يسيرون وفق مبدأ يربطهم بميثاق العمل الوطنى ، الذى يعبر عنه بالفكر الذى نسير على هداه ، والعمل الذى نقوم بتنفيذه ، والهدف الذى نتجه اليه . ومجموعة المبادىء التى تربطنا فى تصرفاتنا ، التى تمكننا فى النهاية من اقامة الاشتراكية العربية السليمة ، التى نعتز بها

كمثل ناجح ، سيكون فى القريب العاجل المنار الذى يشع ، والقوة الفعالة التى ينجذب اليها العالم العربى فى كل أقطاره ، وليس من شك فى ان الرجعية فى كل مكان تحسب حسابا كبيرا لهذا الاتحاد الاشتراكى ، الذى اصبح تنفيذا حيا لهذه المبادىء التى اعتنقناها فى الميثاق ، والتى يمكن أن تجعل من بلادنا القاعدة الوطيدة التى يسعى اليها كل لاجىء ، والتى يسعى اليها كذلك ، الأحرار فى كل الوطن العربى . ويوم يشعر كل عربى انه فى بلده وانه فى وطنه الذى جزاه الاستعمار ، وان هذا البلد أو هذا الوطن قطعة من العالم العربى ممثلة فى اتحاد اشتراكى عربى ، يؤمن بالهدف ، ويؤمن بالمبدأ ، ويؤمن بالفكرة .. يومها تتحقق الصورة التى نشعر بأن المستقبل لن يكون الا لها ، وسوف لايكون للرجعية فى هذه الحالة مجال تعمل فيه ، ولا اقدام تقف عليها ولن يفيدها فى ذلك أن تستنجد بالغرب دون الشرق .

واننا فى هذا المكان وفى رحاب الأزهر وفى هذه الأيام التى نستقبل بها عام ١٩٦٣ والتى تعيش فيها الأمة العربية مع أحداث عظام يتفاعل فيها كل قطر من أقطارها ، وكل فرد من افرادها . نرى أنه حينما قامت معركة اليمن كيف تفاعلت معها كل الاقطار التى تحب الحرية ، وكيف تفاعلت معها أيضا هذه الرجعية التى لاتحب الحرية ، والتى لاتحب أن تقوم ثورة متحررة تعرف طريقها .

ان الحرية المتطلعة لاتقف عند حد .. واليوم ونحن نكون الاتحاد الاشتراكى العربى يتبادر الى الخاطر سؤال هو هل لهذا التنظيم الشعبى السياسى علاقة بالاسلام ؟

وجوابى على هذا السؤال : هو أن الاسلام قد وضع أحكم تنظيم سياسى بناه على قواعد تفردت بالأصالة والبساطة والاستمرار .. أما الأصالة فان كل أحكام الاسلام فى ذلك كانت جديدة نابعة من السماء . وهناك كثير من الناس يستهويهم الجديد ويخطف ابصارهم البريق فيندفعون اليه بكل حواسهم وهم لايشعرون انهم يسيرون فى الطريق المسدود ، لأن الصورة قد بهرتهم فلم يأخذوا بالأصل فيما اعتزموا القيام به من أعمال .. **وها نحن فى مصر الجمهورية العربية المتحدة نرجع بالأمور الى أصولها فنعتز باننا جزء من العالم العربى ، وباننا عرب ، وباننا نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا الى العالم الاسلامى كما نص الميثاق ..** وكان فرضا علينا ونحن نضع اللبنات الأولى للاتحاد الاشتراكى العربى أن نعود الى الأصل ولا نلتفت الى الصورة ونحن نقيم هذا البناء على هدى من العروبة والاسلام .

أما البساطة فى البناء فقد أوضحها الاسلام فى مجموعة من القواعد التى تؤدى دائما الى الترابط فى العلاقات وفى أسلوب الحياة وفى التصرف الخلقى الانسانى اننا نرى المسلم الذى يصلى بأسلوب بسيط يربطه بربه ويصله بخالقه ، يجعل من هذه الصلاة ببساطتها فى الأداء مجالا للامتناع عن كل شر ، والعمل على مرضاة ربه فى كل عمل .. هذه الصورة من البساطة انما تعبر عن مفهوم الاسلام الحقيقى حينما يقول **« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون »** أسلوب منفرد بسيط فى أدائه لا يحتاج الى اجهزة ولا يحتاج الى رقابة ولا يحتاج الى تحكم ، ولكنه الضمير الحى الذى يتكون من هذه المبادىء البسيطة .

واما الذاتية وهو الأمر الثالث بعد الأصالة والبساطة فليس كالاسلام أسلوب فى اعداد الفرد الذى يشعر بمسئوليته .. مسئوليته عن الرسالة ، فليست الرسالة من مسئوليات محمد – صلى الله عليه وسلم – وحده، ولكنها مسئولية مستمرة يحملها كل من حمل الرسالة ، وهذا يضيف الى هذا المبدأ ، مبدأ الاستمرار . ولو اردنا أن نترجم قواعد التنظيم فى القرآن ترجمة أصيلة ونضمها الى واقع التنظيم السياسى فى الاسلام ، فاننا نجدها مجسمة فى سورة الحجرات .. لقد حوت هذه السورة الكريمة سلسلة من القواعد الأساسية للتنظيم ، ومجموعة من الأوامر والتصرفات التى تحكم علاقات القيادة بالقاعدة وتقدم للمثل الذى يعتبر اصلح

مقياس واقوى أساس لبناء التنظيم السياسى الأفضل ، والخطاب فى هذه السورة موجه للمؤمنين فهم وحدهم الذين يستطيعون البناء .. بناء الأمة القوية المتحدة « **يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله** » اى لاتتقدموا بقول أو عمل بغير اذن من الله ورسوله اجلالا للخالق واحتراما للقائد « **يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ، ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ، ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** » تحديد صريح واضح لعلاقة الأفراد بالقائد لايمكن تأويله بأى نوع من التمييز الطبقى ، فقد وصف الله القائد هنا بأنه رءوف رحيم على خلق عظيم ، ولكنها مقتضيات التنظيم التى تشكل قيام البناء على أساس سليم « **يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ، واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون** » « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم** » « **يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم** » « **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهمتوه** »

اننى اردت أن أسترسل فى سرد هذه الآيات لكى نتبين من الصورة التى تعطيها لنا انه فى مجال التنظيم السياسى انما يريد الله — عز وجل — ان يجعل من المؤمنين فى علاقاتهم بعضهم لبعض مقتدين بالرسول الكريم القائد العظيم صلوات الله وسلامه عليه هذه الصورة التى تدل على هذه العلاقات وما لها من اهمية قد تستطيع ان تحفظ فى يوم من الأيام وقد تعطينا أفضل الافكار ، ثم ينقصنا المؤمنون الذين يؤمنون بهذه الأفكار وبذلك لانستطيع أن نتقدم خطوة واحدة ، ثم نجد الأفكار ونجد المؤمنين ، ثم نتبين انه تنقصهم مجموعة الروابط والعلاقات التى تجعل منهم قوة جماهيرية متحركة فى المجال العملى فى التطبيق .

ان وجود هذه الروابط هو الذى يجعل المجتمع كله كتلة متراصة يمكنها أن تنتهى الى الهدف وتصل الى الفرض بكل قوة وكل تناسق . وانى لأذكر هذا الحديث الذى يبين أن المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد ، فان هذا الجسد حينما يتحرك كتلة واحدة ، وبقوة واحدة نحو فكرة واحدة وهدف واحد ثم تحده فى تصرفاته مبادىء واحدة فلابد لهذا المجتمع من ان ينجز المعجزات ويؤدى العمل المطلوب منه ، ولكن لو كانت مجموعة العلاقات التى تربطهم ببعض ضعيفة ركيكة فلا يمكن لهذا المجتمع أن تقوم له قائمة، ولذلك فان الله — عز وجل — حينما ينبه فى هذه السورة الى مجموعة العلاقات الخلقية التى تربط بين القائد وبين الأفراد والجماعات وتلك الاخلاقيات التى يجب ان تربطها فى مجال العمل انما تحدد ذلك الأسلوب الذى يجعل الترابط حقيقة واقعة

ان الاستعمار لم يتمكن من المسلمين على الاطلاق الا حينما كانت هذه العلاقات بين الأفراد والجماعات وبين المسلمين فى كل بلاد الأرض مفككة ، والا حينما تغاضوا وتناسوا وتساهلوا واستسلموا فى كل هذه المعانى البسيطة التى تربط بين المسلم والمسلم فى فكره وعقيدته ، فى خلقه وتصرفه ، ان هذه الأخلاقيات لم تأت فى سورة أخرى كسورة النور مثلا ولكنها جاءت هنا فى مجال التنظيم السياسى لكى تجعل من الأمة الاسلامية قوة متماسكة مترابطة تربطهم الاخلاقيات التى هى أساس التنظيم السياسى ، حتى لايكون هناك تجسس ولا ظن بالاثم ولا سخرية فرد من فرد كل هذه المعانى هى التى تفسد العلاقات

بين الناس،واذا فسدت العلاقات بين الناس، بين أى مجموعة من الناس لابد لهذه المجموعة أن تتفكك ويتمكن منها العدو وكل من يريد أن يتحكم فيها .. واذا أردنا أن نستعيد مرة أخرى هذا البناء السياسى على أساس من القوة الحقيقية ، فعلينا فى هذه المرحلة التى نجتازها فى بناء الاتحاد الاشتراكى العربى أن نضع نصب أعيننا بكل قوة وكل اصرار وتركيز هذه المعانى الخلقية قبل كل شىء حتى يقوم هذا البناء متعاونا متراصا متفتحا يستشعر بالمسئولية العامة فى علاقته بين نفسه وبين أفراده ، ثم بعد ذلك بين هؤلاء الذين يتصورون أنهم مؤمنون وهم بعيدون عن الايمان **« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم »**

أما مواصفات المؤمنين فهم أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون .. تعريف واضح .. ايمان بالله ، وايمان بالفكرة ، ايمان بالرسول، ايمان بالقائد ، ثم لم يرتابوا أى لم يترددوا أو يتشككوا لأنهم بلغوا درجة اليقين ، فأبوبكر الصديق — رضى الله عنه — كذب عندما تحدثوا معه عن المعراج ولكنه عاد فقال انه الحق ، وانه الصدق عندما قالوا له ان ذلك قد حدث لرسول الله وأنه هو الذى حدث به ، وذلك دليل على درجة ماوصل اليه أبو بكر من الايمان واليقين ، فقد كان عليه وهو يحكم عقله فى المنظور الذى أمامه وبطبائع الأمور أن يكذب ولكن ليقينه بالقيادة وثقته بها قال انه حق مادام الرسول قد قاله وتحدث به .. غير ان الايمان وحده لايكفى لأن الاسلام لا يعترف بالايمان المجرد من العمل ، فأسلوب العمل بالنسبة للمؤمن يتمثل فى قوله سبحانه **« .. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله »**

هذا هو المحك الطبيعى لمعرفة مدى الايمان اننا لانقوم اليوم بتشكيل الاتحاد الاشتراكى ولنبدأ مباشرة بالتعرف على المؤمنين به ، انما يكفينا أن الناس تتقدم لهذا الاتحاد ، ثم نترك السنين بعد ذلك هى التى تجعل المرء يعرف فى نفسه الايمان وأن يلمسه بالمحك الفعلى فى مجال العمل .. وليس من شك فى انه فى هذه المرحلة التى مررنا بها فى عشر السنوات ظهر أناس كثيرون على درجة كبيرة من الايمان الايمان بوطنهم ، والايمان بالمبادىء ، والايمان بالمثل وكانت صورهم واضحة لايمكن أن تغيب عن بالنا ، حدث ذلك فى معركة ١٩٥٦ وكان فى مراحل التطور التى كسبناها من سنة ١٩٥٢ حتى الآن ، غير أن الاتحاد الاشتراكى العربى يجب أن يقوم على أكتاف كل من يؤمن بالميثاق كفكرة ثم كترابط مجموع الناس المؤمنين بهذا الميثاق فى قوة . فالميثاق أول محاولة تبين لنا الأسلوب الواضح فى العمل ودليله . لقد فصلتنا عن الحضارة التى نادى بها الاسلام والمبادىء التى وضعها ، مسافات طويلة من الزمن ، ورغم هذا فقد كانت هناك ومضات براقة تمر فى التاريخ ولازلنا نهتدى بقبسها حتى الآن .. كما حدث فى أيام عمر بن عبد العزيز ..

نخرج من هذا كله أنه لابد من أن يساند العقيدة العمل ، كما أن العمل لايمكن ان يكتب له نجاح بدون عقيدة .

أيها الاخوة :

مرة أخرى أشكر ادارة الأزهر والقائمين بالعمل الذين تفضلوا وأقاموا هذا البرنامج الثقافى على دعوتهم لى لهذا الافتتاح ، كما أشكر جميع الذين حضروا ، وأرجو أن نوفق جميعا فى أداء هذه الرسالة على هدى من الله وسنة رسوله لنتمكن جميعا متكاتفين متعاونين من أن نعلى راية الحق وأن نؤمن بالاشتراكية المؤمنة طريقا الى العمل لكى نرتفع بهذا الميثاق كممثل للفكر الذى أمكن أن نحصل عليه فى مجال التجربة خلال عشر السنوات الماضية ، ودليلا على العمل فى عشر السنوات القادمة لاقامة هذا الصرح العالى من الفكر المتحرر لبناء الفرد المتحرر من أجل مجتمع أفضل .

« والسلام عليكم ورحمة الله »

حديث

مع القائم بأعمال

سفارة العراق

الدكتور عبد المنعم سيد على

تلقى دراسته الثانوية فى العراق..وتخرج من الجامعة الأمريكية فى بيروت ثم أكمل دراسته للدكتوراه فى أمريكا .. وعاد الى العراق بعد ثورة ١٩٥٨ .

اشتغل كمدير للابحاث الاقتصادية بوزارة المالية فى بغداد . ثم دخل السلك الخارجى سنة ١٩٥٩ واشتغل فى وزارة الخارجية كمدير عام للدائرة الاقتصادية حتى مارس سنة ٦١ .. ثم جاء الى القاهرة قائما بأعمال سفارة العراق بالقاهرة ..

تحدث سيادته مع مجلة منبر الاسلام عن انطباعاته عن الجمهورية العربية المتحدة فقال : ان القاهرة جميلة تجمع بين الشرق والغرب فى مظاهرها العمرانية والاجتماعية .. وهى مركز سياسى دولى هام يتركز فيها نشاط دولى واسع النطاق تنعكس آثاره فى السياسة العامة للجمهورية العربية المتحدة

التعليم فى العراق :

وعن التعليم فى العراق تحدث سيادة القائم بأعمال السفارة العراقية فقال : مراحل الدراسة فى العراق هى نفسها مراحل الدراسة فى القاهرة .. وقد قامت حملة كبيرة لتأسيس المدارس ونشرها فى مختلف أنحاء العراق .. والاكثار من البحوث العلمية زاد زيادة ملحوظة .. وتخرج عدد كبير من المدرسين .. الى جانب الاستعانة فى نفس الوقت بالدول الشقيقة والصديقة لتزويد العراق بعدد آخر من المدرسين والأساتذة على جميع المستويات .. واهتم العراق فى نفس الوقت بمكافحة

الأمية وتشجيع التعليم الأهلى وتوسيع التعليم العالى ..

المرأة فى العراق :

- هل للمرأة بالعراق دور ايجابى فى بناء المجتمع .. ؟

وأجاب الدكتور عبد المنعم ، المرأة فى العراق خرجت للعمل وشاركت الرجل فى مختلف أوجه النشاط الانسانى ، وكونت لنفسها جمعيات نسائية كثيرة من أهمها (منظمة نساء الجمهورية .. وهناك كلية خاصة للبنات اسمها (كلية التحرير) جامعة بغداد .. فى نفس الوقت .. التلميذة شاركت الشباب فى الكليات الأخرى .. والعراق كان أول بلد عربى فى الشرق الأوسط يعين وزيرة.

وتقوم المرأة العراقية بنشاط بالغ الأهمية فى أهم مجالاتها وهو التعليم والتمريض والطب ، بالاضافة الى ميدان الخدمة الاجتماعية ..

وفى أثناء ثورة الجزائر قامت المراة العراقية بجمع التبرعات وارسالها الى هناك وفى أثناء الاعتداء الفاشم على بور سعيد .. شاركت المرأة العراقية فى مظاهرات التأييد للجمهورية العربية المتحدة .. متطوعات بأرواحهن ودمائهن من أجل النصر .

المعاهد والجمعيات الاسلامية فى العراق :

وعن المعاهد والجمعيات الاسلامية فى العراق تحدث سيادته فقال : توجد كلية الشريعة وهى تابعة لجامعة بغداد ومدة الدراسة فيها أربع سنوات وتخرج شبانا وشابات متخصصات فى الثقافة الاسلامية باختلاف حقولها ومجالاتها .. ويوجد قسم للفتيات أنشىء حديثا فى السنة الماضية وقد انتدب للتدريس فى هذه الكلية أساتذة من الأزهر بالاضافة الى الأساتذة العراقيين .. وهناك أيضا كليات ومعاهد دينية أخرى فى مناطق مختلفة من العراق وخاصة فى مدينة النجف ..

أما الجمعيات الدينية فمتعددة أهمها : جمعية الآداب الاسلامية ..

والآثار الاسلامية كثيرة فى العراق خاصة فى بغداد وفى سمراء والموصل والنجف وكربلاء والكوفة بصورة خاصة وفى بغداد توجد المدرسة المستنصرية - والملوية فى سمراء ومسجد الكوفة فى الكوفة وبعض المساجد فى الموصل

- من هى الشخصية الاسلامية التى تأثرتم بها سيادتكم ..

- الشخصية المهمة فى حياتى هى شخصية النبى محمد نفسه .. ومن بعده شخصية عمر بن الخطاب ..

وما الكتاب المفضل لديك ؟

القرآن الكريم أولا .. ثم الأحاديث النبوية الشريفة وكتاب اعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى . وحياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، وعلى هامش السيرة لطه حسين ، واحياء علوم الدين للغزالى ..

- ما هى مقترحات سيادتكم لتوثيق الروابط بين الشعوب الاسلامية عامة والشعوب العربية خاصة ؟

- أهم الوسائل هى التبادل الثقافى وارسال البعوث وتبادلها وتشجيع تدريس اللغة العربية فى البلاد الاسلامية - لغة القرآن - وأهم من هذا وذاك كخطوة أولى ، التحرر من الاستعمار بمختلف صوره الداخلية والخارجية ..

وبعد : فالمجلة اذ تشكر سيادة الدكتور عبد المنعم سيد على . القائم باعمال سفارة العراق .. على هذا الحديث القيم بخصوص شعب العراق العربى الشقيق . تتمنى له دوام التوفيق .

الحركة النسائية في مصر

لأستاذ الجيل أحمد لطفي السيد

كانت ترمى هذه الحركة فى مصر الى غرض أصلى كبير ، هو تربية المرأة المصرية وتعليمها حتى تشعر لذاتها بوجود خاص وشخصية مستقلة، لتستكمل حظها هى أيضا من الكمال الذاتى ، ولتنتفع وتنفع بخير الحرية المفيدة التى مامنعتها اياها شريعتنا ، ولكن أنانيتنا وفرط غيرتنا ، لاقت هذه الحركة فى أولها معارضة شديدة ، بل حربا عوانا من المحافظين كادوا يقتلونها جهلا بمزاياها ، وفزعا عن الانتقال مما يألفون الى ما لا يعرفون ، شأنهم أمام كل جديد من الأفكار والآراء والمقاصد . كادوا يقتلونها ، لولا أن اجتمعت لها ظروف كثيرة عرفت أن تستخدمها لنصرتها ، فكان من نصرائها الدين الحنيف الذى لم يحظر على المرأة من مقتضيات الحرية الا ما يضر بكمالها الذاتى ولا يتفق مع الحياء والأدب اللازمين فى كل زمن من الأزمان . ولا شك فى أن حركة تتسلح بالشريعة ، أى تتسلح بسيف يقطع حجج المحافظين والسن السوء وتغطرس الجاهلين .

وكان من نصرائها أيضا هبوب الأمة من نومها العميق للمطالبة بحريتها ، **وبعيد أن يقبل من المطالب بالحرية أن يثبت طويلا واقفا فى وجه حرية غيره ، انما يعتمد المطالب بالحرية على أن الحرية حق طبيعى لكل مخلوق ، فما أسمجه حين يدعى هذه الدعوى ، ويمنع**

الحرية أمه وأخته وزوجته ، انما يعمد المطالب بالحرية صيغة طلبه بأن الحرية وحدها مرقاة بلوغ المرء الى كماله الخاص والأمة الى استقلالها التام ، وبعيد على قائل هذا أن يمنع المرأة وهى أخت الرجل ونصف الأمة ، من الوسيلة الوحيدة لاستحقاقها أن تكون بحق زوج الحر وجزءا من المجموع الناهض الى الاستقلال .

وكان من نصراء هذه الحركة المباركة سيل التمدن الجارف الذى جاءنا من الغرب بمبادئه الفاضلة ورذائله ، ونحن مكرهون على قبوله دفعة واحدة من غير أن نقف فى وجه تياره السريع ، ولا أن نجعل بيننا وبينه ردما بل كل ما نستطيع هو أن نحاول تمصير فضائله وتضييق مجرى رذائله ، حتى نملكه ونحكمه فيكون بيننا وبينه شأن ننفى عنه الضار ونتمتع منه بالمنافع هنيئا مريئا .

ذلك التيار المدينى قد جاء أيضا لمصلحة حرية المرأة ، ومكن له فى عزائم المحافظين فنقضها كما تنقض قوى الحبل الشديد أنكاثا لا قبل لها بالمقاومة .

اجتمع لهذه الحركة المباركة من الظروف المختلفة ما جعلنا نعتقد أنها حركة جاءت فى أوانها واستوفت عددها الضرورية للنجاح فسارت فى طريقها الى الأمام وتخطت عقبتين أولاهما شر تجريب الكاتبين أقلامهم فى الوصف فان أهون موضوعات الوصف وألذها طعما فى أذواق العامة وصف المرأة المتبرجة ، والوقوع فيها بالانتقاد ، وتلمس عيوب لبسها ومشيتها وحديثها ، واستنزال اللعنات على الحالة الاجتماعية الحاضرة ، وسب الزمان والمكان ، أولئك الذين يخلقون من التبرج صورة خيالية يصورون بها امرأة محصنة غافلة سائرة فى قضاء حاجتها من السوق أو بارزة بريئة تستنشق هواء الفسحات العامة ، يخيفون بما يقولون الأزواج على سمعة نسائهم ، والآباء على بناتهم ، فيوقعونهم فى بؤس العيش من الحيرة بين اختيار الظن ومضارة النساء ، والتضييق عليهن بما يأباه الدين ودواعى التقدم ، وبين احتمال الانتقاد المر الذى ما دعا اليه فى نفس الكاتب الا حب الكتابة واستلانة الموضوع ، فالحمد لله قد كف الكاتبون أو كادوا عن تجريب أقلامهم فى هذا الميدان ، فتخطت الحركة النسائية بذلك هذه العقبة الأولى .

وأما العقبة الثانية فهى تردد أولياء الأمر على النساء وبغضهم السير مع بعض نسائهن فى الطريق مشاة أو راكبين الترام والعربات . فانهم كانوا يجدون من ذلك على أنفسهم غضاضة ، يبتل جبين أحدهم بالعرق حياء من مماشاة زوجه اذا قابله أحد معارفه ، كأنما هو يخزى ، من أن تكون له زوجة أو أخت أو أم أو خالة . والواقع أن هذه نسبة لم يخل منها أحد من بنى آدم ، وليست نسبة سوء فى عرف أحد من الناس انه لا يخزى من هذه النسبة ، ولكنه يخزى من سوء الظن به اذا خيل لرائيه أن صاحبته ليست زوجا ، ولا محرما ، ولئن تكن معروفة بأنها محرم منه ، أذاه ما يتوقعه من نظر غير المهذبين اليها نظرا لا يحتمله ذو المروءة . كأن هذا الشعور المختلف الأنواع من شأنه أن يجعل أولى المروءات من الناس يحجمون عن مرافقة نسائهم كما ينفرون من تركهن وحدهن أو فى زمام أحد الخدمة ، فيترتب على ذلك حرمانهن من حقهن فى الخروج مع الحاجة اليه . هذه العقبة قد زالت أو كادت تزول ، فقد دخل فى عادتنا كثير أو قليل من مران الرجال واعتيادهم على الكف عن أن يستلوا ألسن السوء تنال من رجل لمجرد مشيه مع امرأة . وأصبحنا نرى هذا النوع من التنزه العائلى كثيرا بين ظهرانينا وأن دخول هذا النوع فى عادات المدن جعل الحركة النسائية تتخطى هذه العقبة الثانية أيضا . نقول فى المدن لأننا فى القرى لا نجد بأسا من مرافقة الزوج زوجه الى المزارع والى الأسواق . بل تلك هى العادة عندنا نحن الفلاحين .

اجتمعت للحركة النسائية تلك الظروف المناسبة ، وتخطت تينك العقبتين ، فنحن فى حل من أن نأمن عليها طوارىء التأخر أو معوقات السير فى طريقها الصالح الى الأمام وأصبحنا نشعر بمزايا نتائجها . **فان المرأة المصرية قد أصبحت تتشبث باثبات وجودها**

الخاص بعد أن كان وجودها فانيا فى وجود من يكفلها من الرجال . وصارت تدخل بنصيب فى الأعمال الاجتماعية العامة ، وسواء كان مظهرها فى ذلك قد أفاد أو لم يفد فالقدر المتيقن من هذه المظاهر أنها أصبحت غيورا على اثبات وجودها ، ضنينا بشخصيتها أن تمحى فى شخصية ابنها الرشيد أو زوجها المسيطر ، أو أخيها الكفيل ، شاعرة بأن عليها مسئولية عامة بقدر طاقتها . فاننا نجد الآن على الصحف أسماء كثيرات من النساء متبرعات للخيرات ولو من أموال ذويهن ، وكاتبات فى الصحف آراءهن ، وخاطبات فى المجالس بأفكارهن . كل ذلك ليس على الرغم من ولاة أمورهن ، فنلنا بذلك نتيجة مزدوجة ، وهى أن المرأة أخذت تشعر بوجودها الخاص ومسئوليتها العامة فى الأمة **وأن الرجل أخذ يسهل لها سبل هذه الحياة الجديدة من غير اكراه ولا مضض ،** أعنى أن الرجل والمرأة قد اتفقا بهذا العهد على (تحرير المرأة) فلم يبق الا الزمن الكافى للحصول على الثمرات المنتظرة من هذا التحرير .

نحن لا ننكر تماما آثار الاضطراب الاجتماعى الذى قد يكون مسببا على الحركة النسائية وكثرة توقف الشبان عن الاقدام بسهولة على الزواج .

ولكننا نعرف أن هذا الاضطراب وقتى اقتضاه الانتقال من حال الى حال أخرى ، فلن يكون من الصبر عليه الا زواله ، والاغتباط بنتيجة الانتقال ، وهى الوصول الى جيل تكون فيه المرأة المصرية مستحقة لزواج الشاب المتعلم كبير الأطماع . ذلك **الجيل هو الذى نعتمد عليه فى جنى ثمرات أتعابنا الحاضرة ، وهو الذى سيشرف صحيفة تاريخنا ، ويرد الى مصر مركزها العالى فى مصاف الأمم الكبيرة ان شاء الله .**

هل يُفهم من القرآن الكريم وجود مخلوقات حيّة في الكواكب ؟!

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

١ ـ كتب السيد محمود سامى النبهانى من ملوى ، بكلية الآداب بجامعة عين شمس ـ قسم الفلسفة ، الى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، يتساءل عن تفسير قوله تعالى : **« ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير »** ويرى أن هذه الآية الكريمة تدل على وجود مخلوقات فى القمر شبيهة بالآدميين ، وأن من الممكن أن يجتمع هؤلاء وهؤلاء يوما ما فلاينبغى للناس أن يعجبوا من ذلك أويحاولوا انكاره باستحالته أو بمخالفته لحقائق الدين»

وقد حول الى هذا الكتاب من السيد السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لأكتب فى موضوع هذه الآية ما أراه للسيد السائل ولغيره من قراء **« منبر الاسلام » :**

ورأيى فى هذه الآية وأمثالها مما تضمن **بعض الاشارات الى حقائق كونية كانت أو ستكون يتلخص فيما يلى :**

(١) ان القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذى يعلم السر فى السموات والأرض ، وقد أتت ألفاظه وتراكيبه كلها مقصودة لله تعالى، فلا يمكن أن يكون لفظ ما ، قد جاء مصادفة واتفاقا ، ولا أن تكون دلالة تركيب ما على معنى من المعانى ، قد جاءت عفوا دون قصد من منزله جل جلاله .

ولولا هذا لما صح أن تتخذ نصوص القرآن الكريم قوانين ، يعتد بعباراتها ودلالاتها وما يستنبط منها ، وتتلاقى عليها أفكار العلماء وجهود المجتهدين فهما وتخريجا .

(٢) وقد جرت عادة البشر أن يتحدثوا بألسنتهم ، أو يكتبوا بأقلامهم فى حدود ما يعرفون ، ولن تجد أحدا منهم يسبق زمانه فيأتى بنبأ عما سيكون الا اذا كان ذلك على سبيل الخيال ، أو على سبيل التحديث عن الغيب الذى لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه الا من ارتضى من رسول ، أو أن يجىء كلامه فى ذلك رمية من غير رام ، فلا يكون مقصودا له وان صادف الواقع أو جانبا منه .

هذا هو شأن البشر ، لقصور علمهم ، ولأنهم محدودون بزمانهم ومكانهم ، أما الله جل جلاله فلا حد لعلمه ولا يحكمه زمان ولا مكان ،، وكل الكائنات منذ وجدت الى أن تفنى معلومة له بكل تفصيل من تفاصيلها ، فهو خالقها ومكونها وواضع قوانينها ، فلن يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السموات ، فاذا تحدث فى كتابه فلا يمكن أن يجىء لفظ من الفاظ هذا الحديث ، او تركيب من تراكيبه متضاربا مع حقيقة من الحقائق الكونية ، لأن هذا التضارب اما أن يكون لجهل بهذه الحقيقة — تعالى الله عن ذلك — واما أن يكون لعجز أو قصور عن التعبير والاتيان باللفظ المناسب او التركيب المناسب — والله اعلى واجل — وكما يقال ان اللفظ القرآنى لا يمكن أن يقصر عن افادة معنى يكون به متمشيا مع الحقائق الكونية ، يقال أيضا : ان اللفظ القرآنى لا يمكن أن يترك للدلالة على معنى غير مراد لله تعالى ، بل لابد من حياطة اللفظ والتركيب بقرائن أو دلائل تدل على عدم ارادة هذا المعنى والا لكان الكلام على نوع آخر من القصور . **وفى هذا الاحكام والاتقان ، وفى هذه الحصانة والمناعة يقول الله تعالى وصفا لكتابه الكريم « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافا كثيرا » .**

٣ — وعلى هذا الضوء يجب ان نستقبل دلالات القرآن الكريم واشاراته ، وما قد يدل عليه بعض ألفاظه أو تراكيبه ، وان لم يكن الفرض الأصلى هو تقريرها .

غير أن بعض الناس يستمسكون من ذلك فى كثير من الأحيان ، بالتوهم أو التكليف فيحاولون تحميل القرآن ما لا يحتمل وصرفه بطريق اللى والتأويل الى دلالات يتكلفون أمرها ويشتطون فى سبيلها ، حرصا منهم على الوصول الى القول بأن القرآن قد انطوى على علوم الأولين والآخرين ، وأن كل ما كان أو هو كائن ، ففى عباراته أو دلالاته أو اشاراته ما يهدى اليه .

والواقع أن القرآن كتاب هدى ونور ، وليس من أغراضه التى نزل من أجلها أن يكشف للناس عن حقائق العلوم ، أو يبين لهم نظرياتها،ولكن عباراته — كما قلنا — قد تشير أو تدل على شىء من ذلك ، ولا يمكن أبدا أن تكون معارضة أو منافية لحقيقة مقررة علميا ولا أن تكون اشاراتها قد جاءت عفوا دون قصد .

بعد هذا ننظر فى الآية الكريمة التى أوردها السائل ، وهى قوله تعالى **« ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » :**

اننا نجد فى بعض عبارات هذه الآية الكريمة احتمالات متعددة :

* نجد فيها احتمالا عند قوله تعالى « وما بث فيهما من دابة » — وقد وقف المفسرون المتقدمون انفسهم عند هذا الاحتمال —

ا — فقال الفراء « أراد : ما بث فى الأرض دون السماء ، كقوله تعالى **« يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان »** وانما يخرج من الملح دون العذب »

وهذا المعنى الذى ذهب اليه الفراء ، ذهب اليه ايضا ابو على — مع اختلاف فى التعبير اذ يقول :

« تقديره : وما بث فى احدهما ، فحذف المضاف ، وقوله « يخرج منهما » اى من أحدهما »

هذا هو الاحتمال الأول . ولا يخفى انه خلاف الظاهر من الآية ، لأن الآية تقول « وما بث فيهما » فالمتبادر منها أن الدواب مبثوثة فى كل منهما ، ولو أراد أن يتحدث عن دواب الأرض بخصوصها لكان التعبير الذى يفيد هذا المعنى بطريق مباشر أو متبادر هو أن يقول : ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فى الأرض من دابة .

فعدوله عن هذا التعبير لا يمكن أن يكون مصادفة ، واتيانه بالتعبير الذى أتى به لابد أن يكون له سر

ب — والاحتمال الثانى هو ما فسره به مجاهد حيث يقول : « يدخل فى هذا : الملائكة

والناس ، وقد قال تعالى ((**ويخلق ما لا تعلمون**))

وهذا الاحتمال يلتقى مع المتبادر من التعبير تلاقيا من حيث المبدأ ، اذ هو قائم على اعتبار أن الدواب مبثوثة فى كل من السموات والأرض ، لا فى احداهما فقط ، كما فى تفسير الفراء وأبى على ، ولكنه يقرر أن المراد بالدابة التى فى السموات هو الملائكة على اعتبار أن السموات هى مسكن الملائكة .

غير أن اطلاق الدابة وارادة الملائكة منها ، لم يعهد فى القرآن ولا فى اللغة ، وانما المعهود أن كل ما دب أى مشى ، فهو دابة ، ولا يمكن أن نحدد نوع الحركة التى يتحركها الملائكة : أهى دبيب أو ليست بدبيب ، وهل هم ذوو أجسام مادية فيوصفون بأنهم دواب)

وعلى هذا نرى الفراء قد اقترب فى جانب وابتعد فى جانب : اقترب فى اعترافه بأن الآية تدل على أن الدواب المتحدث عنها ، فى كل من السموات والأرض ، لا فى الأرض فقط ـ وهذا تفسير مقبول متلاق مع الظاهر والمتبادر من الكلام ، وابتعد حيث فسر الدابة التى فى السموات بالملائكة ، لاننا لا نستطيع أن نقره فى اطلاق اللفظ على الملائكة للاعتبار الذى ذكرناه

وقد يعذر هذا المفسر فى تقريره أن دواب السموات هى الملائكة ، لأنه لم يكن من السهل أن يتصور وجود سكان فى السموات سوى الملائكة ، ومع ذلك يبدو أن هذا الخاطر قد راوده على نحو من اللمح ، اذ يقول بعد تفسيره هذا ، وقد قال الله تعالى ((ويخلق ما لا تعلمون))

ولا شك أنه لا يقصد « الملائكة » بايراد قوله تعالى ((**ويخلق ما لا تعلمون**)) لأن من المعلوم أن لله ملائكة وانهم يسكنون السماء ، ولكنه أراد أن يسجل هذه اللمحة التى لمحها ، وهى أن من الجائز أن يكون لله تعالى فى السموات خلق الآن أو فيما بعد ، لا نعلمه . وكأنه يقول : قد عرفنا دواب الأرض وأنواعها ، فما هى دواب السموات ؟ لعلها الملائكة ، ولعلها خلق آخر فى السموات لم نعلمه ، لأن الله تعالى يقول فى آية أخرى « ويخلق ما لا تعلمون » فمن الجائز أن تكون هذه الدواب مما لا نعلمه من خلق الله .

وهذه اللمحة الأخيرة التى لمحناها فى كلام مجاهد أولمحنا أن مجاهدا قد لمحها ـ نراها على وجه قد يكون أصرح فى كلام ابن كثير ، اذ يقول فى تفسيره : « وما بث فيهما » اى ذرأ فيهما ، أى فى السموات والأرض « من دابة » وهذا يشمل الملائكة والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم ، وقد فرقهم فى أرجاء أقطار السموات والأرض .

هذا كلام ابن كثير ، وقد اقتصر عليه فى تفسير الآية ، ولم يردد بين الاحتمالين ، ولم يأت بما يدل على أنه يرى أن دواب السموات هى الملائكة دون سواهم ، ولكنه أطلق القول وعمم فيه وقرر أن لفظ الدابة شامل لكل أنواع الأحياء فى السموات والأرض .

فهل نفهم من ذلك أن اللمحة التى لمحها مجاهد، قد أكدها ابن كثير بهذا التفسير وان لم يصرح بها تصريحا خوفا من ألا يفهمه الناس ؟

* ونجد فى هذه الآية أيضا احتمالا آخر عند قوله تعالى ((**وهو على جمعهم اذا يشاء قدير**)) .

ا ـ فالمفسرون جميعا يقررون أن المراد الجمع يوم القيامة ، ـ فهذا احتمال ـ

ولكن الجمع يوم القيامة هو البعث ، فهل من القريب فى التعبير أن يقال : اذا شاء الله جمع الناس للبعث فانه قدير على ذلك ان المعهود أن القرآن الكريم حين يتحدث عن البعث يقرره حقيقة فى نفسه ، ثم يبين أنه داخل فى نطاق قدرة الله تعالى ، وذلك كقوله جل شأنه « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » فهنا تجد تقريرا للبعث ، وقياسا له على النشأة الأولى ، وبيانا لأن النشأة الثانية أولى فى دخولها تحت القدرة من النشأة الأولى .

وكذلك قوله تعالى : ((وقالوا أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى

صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة »

فالكلام أيضا فيه تقرير للمعاد واستدلال عليه

اما اخراج هذا المبدأ على أنه لو شاء الله لكان ، كما فسر به قوله تعالى « وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » فلم يعهد فى القرآن

وقد ساعدهم على تفسير الجمع بأنه الجمع فى يوم القيامة أن القرآن عبر به فى مثل : « هذا يوم البعث جمعناكم والأولين » « ذلك يوم مجموع له الناس » « يوم يجمع الله الرسل » وان النبى صلى الله عليه وسلم عبر به أيضا فى بعض حديثه ، اذ يقول « اذا جمع الله الأولين والآخرين .. الخ » فاستأنسوا بمجيىء هذا التعبير وفسروا المعنى عليه

ولكن هذا الاستئناس باستعمال لفظ الجمع فى معنى القيامة والبعث انما يتمشى مع اللفظ فقط ، ومناقشتنا انما هى فى أنه هل عهد فى القرآن أسلوب : **« اذا شاء الله البعث فانه قادر عليه »** ، وهذا ما نقول انه غير معهود فى القرآن .

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن هذا الاحتمال وان تلاقى عليه المفسرون ، ليس احتمالا قريبا بالنسبة لأسلوب القرآن فى الحديث عن البعث والجمع .

ب ـ ولنا بعد هذا أن ننظر فى احتمال آخر ، وان لم يذكره المفسرون ، ذلك هو أن المعنى : وهو على جمعهم فى الدنيا اذا يشاء قدير . كأنه قال : ان هذه الدواب المنبثة فى كل من السموات والأرض ، يمكن فى قدرة الله تعالى أن تجتمع فى الدنيا ، فيتلاقى سكان الكواكب بعضهم ببعض ، وما الأرض الا كوكب من الكواكب السابحة فى الفضاء ، وما تسمية الكواكب الأخرى بالسموات الا لأنها فى نظرنا وما يبدو لنا ، عالية والسماء كل ما علاك ، فيجتمع من فى الأرض بمن فى السماء ، أى صنف هؤلاء وصنف هؤلاء ، فربما قدم الى الأرض من عالم السماء قادمون وربما رحل الى السماء من عالم الأرض راحلون ، وربما أصبحت الكواكب مجالات لاجتماع خلق الله من سكانها ، وهذا الأمر كان عجيبا يوم نزل القرآن ، فأخبر الله تعالى أنه داخل فى نطاق قدرته اذا شاءه ، وها نحن أولاء بين يدى أن نراه حقيقة واقعة فى عصرنا هذا ، وسنعلم حين يتم أن الله شاءه ، وأنه حين قال **« وهو على جمعهم اذا يشاء قدير »** كان يشير الى مرحلة من مراحل العلم سوف يصل اليها الانسان بقدرة الله وتعليمه واذنه وبفضل قوانين الكون الثابتة التى تعلم منها الناس كيف يصنعون المراكب التى تصعد بهم الى الكواكب ، ويتلاقون بمن فيها ، ومن يدرى لعل سكانا من الكواكب يسبقون فيصلون الينا قبل أن نصل اليهم ، وسواء أوقع هذا أم ذاك ، فان الأمر فى نطاق قدرة الله وآياته الدالة على وجوده ودقة صنعته « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »

*** وفى الآية موضع ثالث من مواضع الاحتمال فى قوله تعالى « من دابة » مع قوله « جمعهم » بضمير الجمع : الهاء والميم**

بيان ذلك أننا قد نفهم من قوله تعالى « جمعهم » أن المراد بالدواب السكان العقلاء حيث اشتهر أن التعبير بالهاء والميم يكون عمن يعقل ، فلا نقول عن البهائم ، رأيتهم ، وانما نقول ، رأيتها ، واذن فقوله تعالى « وهو على جمعهم » أى جمع « من » فى السموات والأرض من العقلاء

فهذا احتمال .

وقد يقال : ان تخصص الضمير المذكور بالعقلاء ، ليس مطردا ، ففى القرآن عن الأصنام « **فانهم عدو لى الا رب العالمين** » ، « **فاسألوهم ان كانوا ينطقون** »

فالأولى تفسير الضمير فى « جمعهم » على معنى من يعقل وما لا يعقل جميعا على سنة التغليب ، وبذلك يتلاقى المعنى مع التعبير بقوله « من دابة » فلا يتعارض مع ما عساه أن يثبت من أن سكان الكواكب ليسوا من صنف العقلاء فقط ، ولكنهم كسكان الأرض فيهم عقلاء وحيوانات غير عاقلة كالبهائم ، ونحوها .

واذن فكل كوكب من الكواكب يحتمل أن يكون فيه مثل ما فى الأرض من أنواع الخلق ، ولا ينبغى أن يعد هذا مستحيلا أو متعارضا مع الدين . والله أعلم .

العلم
بين الميثاق والشرقيات

الدكتور أحمد الحوفي

— ١ —

تعددت سمات العصر الحديث ، فقيل انه عصر البخار ، ثم قيل انه عصر الكهربا ، ثم سمى عصر الطيران تارة ، وسمى عصر تحرر الشعوب تارة فلما حطم العلماء الذرة أطلق عليه عصر تحطيم الذرة،فلما نجحوا فى اطلاق الصواريخ الدوارة والمنطلقة الى النجوم قالوا انه عصر غزو الفضاء .

ولسنا نجد لهذا العصر سمة أعم فى شمولها ولا أدق فى اطلاقها ، من أنه عصر العلم ، لأن العلم مصدر هذه المظاهر كلها فرادى ومجتمعة والحق أن ما نشهده من جديد فى العالم ، وما نعجب به من طريف فى الحياة ، ونستمتع به من خير ، أو نصطلى به من شر ، وما يذهلنا من أعاجيب الاختراع ، انما مرده الى العلم ، ومرجعه الى العلماء .

وليس من شك فى أن الأمم تسمو بعلمها وبعلمائها ، فتعظم فى عهود السلم ، وترهب فى أعاصير الحرب .

ولم يكن من المصادفة أن الاستعمار فى حقيقته سيطرة العلماء على الجهال ، فان أوروبا لم تستعمر الشرق الا فى عهود جهالته لأنها جنت عليه الضعف والفقر والعجز والتواكل والمرض ، وجرت وراءها الفرقة والانقسام واختلاف الوسيلة والفرض،وأعمت الشرقيين عن كنوز خيراتهم التى يطئونها بأقدامهم ، فتزاحم الغربيون على استغلالها وامتلاكها واحتكارها ، ومنوا على بعض المواطنين بنفاياتها .

وما زال الشرق فى غفلته او سكرته الى ان بعثه العلم من رقدته ، اذ تعلم أفراد منه ، وتصدروا صفوفه ، ونفخوا من روحهم القوى فى روحه ، ونصبوا امامه المثل العالية لحياة العزة والكرامة ، واتخذوا من نشر العلم وسيلة لبث آرائهم ، فسرعان ما استفاق الغافل ، ونشط الخامل ، وهبت امم الشرق تجاهد وتناضل .

فالعلم هو الباعث على وثبات الشعوب ونهضات الأمم ، وأيما نهضة اصطنعتها القوة التى لاتعتمد على أساس وطيد من العلم

كانت كالحصن المشيد على كثبان من الرمال لابقاء له ولا صولة ، ولا طاقة له بأول جولة

وللعلم في نهضة مصر الحديثة تاريخ حافل، وله في ثوراتها ووثباتها صوت موقظ باعث في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

فقد عادت البعوث العلمية التى أوفدت الى أوروبا تحمل الى مصر تفكيرا جديدا ، وترسم لمستقبل الوطن صورا أرقى من صورته .

ذلك ان المبعوثين لم يكونوا أوعية يصب فيها العلم صبا ، ثم لايعون غير العلم الصرف شيئا ، بل كانوا يدرسون ، ويتذوقون ما يدرسون ، ويفكرون فى أحوال وطنهم وهم يدرسون

كانوا محبين لوطنهم ، متطلعين الى نهوضه ، وكانوا أصحاب عيون تنظر ، وآذان تسمع ، وعقول تفكر وقلوب ترجو وتأمل ، وعزيمة تريد وتحفز على العمل .

وحسبنا أن نمثل برفاعة الطهطاوى ، فقد تحدث سنة ١٨٣٠ م عن مجلس النواب الفرنسى معجبا ، وتحدث عن الملك وحقوقه وواجباته ، وتحدث عن الحرية والمساواة ، ولخص الثورة الفرنسية ، وترجم الدستور الفرنسى ، ولم يقتصر على الترجمة ، بل كان يعلق برأيه .

ثم الف كتبا للتلاميذ ، عنى فيها بتعليم الفتاة وآدابها ، ولم يكن فى مصر حينئذ مدرسة للبنات ، ولكن بعد طبع كتابه (المرشد الأمين للبنات والبنين ، بعام انشئت سنة ١٨٧٣ أول مدرسة لتعليم الفتيات .

كان شوقى شديد الحرص على أن تتسلح مصر بالعلم ، فى الحرب وفى السلم ، وكان كلفا بالدعوات الى العلم يرددها فى كثير من قصائده .

وهذا طبيعى لأنه ذاق حلاوة الثقافة شرقية وغربية ، قديمة وعصرية ، وعلم من تجارب الأيام وعبر التاريخ أن العلم ذريعة القوة ، وعاش فى عصر الافاقة واليقظة ونشاط الحركة العلمية فى مصر ، وعاصر الدعاة الى انهاض الشعب بالتعليم والتثقيف .

ثم انه رأى أوروبا تتسابق فى ميادين المعرفة ، وتتنافس فى حلبة الاختراع ، وتعتز بعلمائها وأدبائها كما تعتز بقوتها المادية ، فود أن تقتدى مصر بها ، والا يبقى جاهل تحت سمائها .

وهو فى هذا كله مسلم يعرف أن الاسلام دين العلم ، والعقل ، وطالما أشاد شوقى بحضارة الاسلام وعظمة المسلمين ، وطالما فاخر بجهودهم العلمية وبفضلهم على الغرب كقوله :

حب السيادة فى شمائل دينكم
والجد روح منه والاقدام

والعلم من آياته الكبرى اذا
رجعت الى آياته الأقوام

لو تقرئون صغاركم تاريخه
عرف البنون المجد كيف يرام

ولقد نوه الميثاق بآثار العلم مرات .

منها انه اشاد بشباب مصر الذين ارسلوا الى اوروبا ليدرسوا العلم الحديث ، فجلبوا معهم الى الوطن بذورا صالحة مالبثت تربة مصر الثورية الخصبة أن احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد ، راح ينشر ألوانا رائعة من الأزهار على ضفاف النيل الخالد . ولم يكن من المصادفة أن الأزهار المتفتحة على ضفاف النيل كانت كالومضات اللامعة التى لفتت نحو مصر أنظار العناصر المتطلعة الى التقدم فى المنطقة كلها ، وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر منبرا للفكر العربى كله ، ومسرحا لفنونه ، وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحدود المصطنعة الموهومة .

واذا كان الاستعمار قد استجمع قواه لاخماد الشعلة التى تألقت فى مصر على يد عرابى واعوانه فان أصوات المدافع لم تكد تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت ، وعن حركة اليقظة التى لا تقهر ، وكانت صيحات مصطفى كامل ومحمد عبده ولطفى السيد وقاسم أمين وسعد زغلول ، تدوى بالاصلاح وبنشر العلم والتعليم بين الفتيان والفتيات .

كذلك ذكر الميثاق أن من أسلحة النضال العربى الوعى القائم على الاقتناع العلمى النابع من الفكر المستنير ، والناتج من المناقشة الحرة ، التى تتمرد على سياط التعصب أو الارهاب .

حملة شوقى على تعويق الاحتلال للعلم

رأى شوقى تعويق الاحتلال البريطانى لنهضة التعليم فى مصر ، فجهر بحزنه مرات ، وأنحى بالسخط على الاحتلال كرات ، وهاله أن تتعثر خطوات التعليم هذا التعثر الذى يشهد به « تيودور روتستين » فى كلام طويل مفصل اجتزىء منه بقوله : «ان اهمال التعليم فى مصر لمن أظهر سمات حكم اللورد كرومر ولقد وعد اللورد دوفرين أن ترقية التعليم ستكون من أهم ما يحرص عليه الحكام الجدد ، ولكن ما أعظم الخلف بين القول والعمل فى كل معاملات الانجليز للمصريين . وليس التقهقر بالتعليم مقصورا على عدد المدارس ، بل انه يتناول المنهج أيضا . ولغة التعليم فى المدارس العالية ليست العربية ، بل الانجليزية ثم الفرنسية ، بدعوى أن العربية ليست لغة علمية :وهذا طعن سخيف يكذبه تاريخ الحضارة والعلوم العربية فى القرون الوسطى ، اننا قلما نجد فى قطر من الأقطار ظمأ الى حياض العلم كالذى نجده فى مصر ، ومع ذلك لانجد حكومة قد سعت الى ارواء ذلك الظمأ أضعف من سعى الحكومة المصرية .

كذلك ندد المستر بويد كاربنتر بسياسة دنلوب ، وافساده التعليم المصرى والرجوع به القهقرى .

أسى شوقى من سوء حال التعليم بمصر ، وتخلل أساه كثيرا من قصائده ، سواء أكان يدافع عن مصر وحقوقها ، أم يخايل بماضيها العظيم ، أم يستحث على نهضتها ، أم يشجع على عمل نافع ، أم يعرض لشأن يتداعى معه الأسى من الحاضر الأليم .

فهو يعزو الى دنلوب مستشار المعارف من سنة ١٩٠٦ الى ١٩١٩ أنه عوق التعليم ، فصارت مصر تمشى فى ميدانه سحفا بينما تمشى الأمم الأخرى عدوا ، حتى صار المصريون عجزة عن صنع ابرة ، وهم الذين بنى آباؤهم المسلات ، فى زمن لا روافع فيه ولا آلات ، وقد ضرب المثل بالمسلة مشاكلة للابرة ، فجاءت مشاكلة لطيفة :

كانت لنا قدم اليه خفيفة
ورمت بدنلوب فكان الفيلا
حتى رأينا مصر تخطو اصبعا
فى العلم ان مشت الممالك ميلا
تجد الذين بنى المسلة جدهم
لا يحسنون لابرة تشكيلا
الجهل لا تحيا عليه جماعة
كيف الحياة على يدى عزريلا

ويقسم أن مصر ماكانت لتبلغ مابلغته من رقى التعليم على الرغم من دنلوب وخططه المعوقة لولا ذكاء بنيها ، واخلاص معلميها ، وحماسة شبابها ورجالها :

والله لولا ألسن وقرائح
دارت على فطن الشباب شمولا
وتعهدت من أربعين نفوسهم
تغزو القنوط وتغرس التأميلا
عرفت مواضع جدبهم فتتابعت
كالعين فيضا والغمام مسيلا
تسدى الجميل الى البلاد وتستحى
من أن تكافأ بالثناء جميلا
ما كان دنلوب ولا تعليمه
عند الشدائد يغنيان فتيلا

ويرى أن الاحتلال جنى على التعليم اذ جعل المدارس مصانع لتخريج الموظفين على برامج محدودة ممسوخة ، فصاروا عاجزين عن منافسة الأجانب فى ميادين التجارة والصناعة ، فأخذوها لهم ، واضطروا الى القناعة بفتات أرباحهم :

أرى وطنا تحير ناشئوه
فما يجدون من عمل قواما
فلا أسس التجارة فيه قرت
ولا ركن الصناعة فيه قاما
مدارس لم تهيئهم لكسب
ولم تبن الحياة ولا النظاما

وكان من أثر ذلك كله أن قل النابغون ، وندر الأسخياء على التعليم بما لهم ، فضعفت الصناعة والتجارة ، وتأخرت الزراعة ،وصار المصريون يعتمدون على القطن وحده ينبوعا للثروة ، فاذاكسدت سوقه اضطربوا ،وكادوا يشغلون بسوء حالهم المالية عن متابعة الجهاد ومناضلة العدو الغاصب :

فاض الزمان من النبوغ فهل فتى
غمر الزمان بعلمه وبيانه ؟
أين التجارة وهى مضمار الغنى
أين الصناعة وهى وجه عنانه ؟
أين الجواد على العلوم بما له
أين المشارك مصر فى فدانه ؟
أين الزراعة فى جنان تحتكم
كخمائل الفردوس أو كجنانه؟
أئذا أصاب القطن كاسد سوقه
قمنا على ساق الى أثمانه ؟
أيا من الشعب رزؤه فى ماله
أنساه ذكر مصابه بكيانه
الملك كان ولم يكن قطن فلم
يغلب أبوتنا على عمرانه

وقد عرض الميثاق لهذا فى قوله : ان حرية العلم التى كان فى مقدورها أن تفتح طاقات جديدة للأمل تعرضت لعبث الديمقراطية الرجعية ، فان الرجعية الحاكمة كان لابد لها أن تطمئن الى سيطرة المفاهيم المعبرة عن مصالحها ، فانعكست آثار ذلك على نظم العلم ومناهجه ، وأصبحت لا تسمح الا بشعارات الاستسلام والخضوع .

وقد لقنت أجيال متعاقبة من شباب مصر أن بلادهم لاتصلح للصناعة ولا تقدر عليها وقرأت أجيال متعاقبة تاريخها الوطنى على غير حقيقته ، وصور لها الأبطال فى تاريخها صورا مشوهة وراء سحب من الشك والغموض على حين وضعت هالات التمجيد والاكبار حول الذين خانوا كفاح الوطن

ان أجيالا متعاقبة من شباب مصر انتظمت فى المدارس والجامعات ، والهدف من التعليم كله لا يزيد على اخراج موظفين يعملون فى نطاق أنظمة لا تأبه بمصالح الشعب .

أما الآن فانه ليس الغرض من التعليم تخريج موظفين للعمل فى مكاتب الحكومة ، فيجب أن تغير مناهجه ، وأن يكون هدفه تمكين الفرد من القدرة على تطوير الحياة

اشادة شوقى بآثار العلم

ذكر الميثاق ضروبا من جهود العلم التى ينوط بها الأمل كقوله : هناك احتمالات عظيمة عن طريق العلم المنظم ، تمكن من تنمية الثروة الحيوانية ، بما يدعم الاقتصاد الزراعى . وهناك احتمالات كبيرة وراء دراسة اقتصاديات المحاصيل الزراعية للارض المصرية وتنويعها على أساس من نتائج هذه الدراسة .

وسوف تكون بداية الوعى التخطيطى لدى الأفراد هى رفع المستوى الثقافى فى القرية الى مستوى المدينة ، وهو الوعى الذى يقدر على مواجهة أصعب المشاكل التى تعترض التنمية وتهددها ، وهى مشكلة تزايد عدد السكان .

ثم قرر الميثاق أن لكل مواطن حقا فى العلم على قدر استعداده ومواهبه ، لأن العلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها ، ولأنه الطاقة القادرة على تجديد شباب العمل الوطنى ، واضافة أفكار جديدة اليه كل يوم ، وعناصر قائدة جديدة فى ميادينه المختلفة .

وسوف يتيح العمل الديمقراطى فرصا لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة عميقة فى احساسها بالانسان ، صادقة فى تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك على اضاءة جوانب فكره وحسه ، وتحريك طاقات كامنة فى أعماقه . خلاقة ومبدعة ، ينعكس أثرها على ممارسته للديمقراطية ، وفهمه لأصولها ، وكشفه عن جوهرها النقى الصافى .

ونص الميثاق على أن العمل الثورى لابد أن يكون عملا علميا ، لأن الثورة ليست هدم أنقاض الماضى ، بل هى بناء المستقبل ، واذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك أنها انفجار عصبى تنفس به الأمة عن كبتها الطويل ، ولكنها لا تغير من واقعها شيئا .

فالعلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية

ومن هنا يتضح الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولمراكز العلم أن تقوم به .

واذا كان الشعب هو قائد الثورة ، فان العلم هو السلاح الذى يحقق للشعب النصر .

والعلم وحده هو الذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقدما مأمون العواقب وبدون العلم تصير التجربة والخطأ نزعات اعتباطية ، قد تصيب مرة ، ولكنها تخطىء عشرات المرات .

لهذا فان الجامعات ليست أبراجا عاجية ، انما هى طلائع متقدمة ، تستكشف للشعب طريق الحياة ، وتعوضه عن التخلف ، وتحل مشاكله الاقتصادية والاجتماعية الكبرى .

وقد أشاد شوقى بآثار العلم ، فصوره وسيلة القوة والفوز والسعادة والسيادة ، وصوره سياج الأمة وحارسها وحاميها ، لأن العلماء بآرائهم واختراعهم وتدبيرهم ينهضون بشئون الوطن ومرافقه ، ويذودون عنه ، ويحمونه من الغاصبين كما تحمى الأسود عرينها .

وله فى هذا كثير من الدعاء المردد كقوله :

بالعلم تمتلك الدنيا ونضرتها
ولا نصيب من الدنيا لجهال
والعلم يعتصم الملك الكبير به
كالغاب ما بين آساد وأشبال

وقوله :

الملك حول لسان تحته أدب
وتحت عقل على جنبيه عرفان

ولم يفته أن يقرن العلم بالمال فى الجلال والأثر والقدر ، لأنه دعامة من دعائم النهضة ، ولا قيمة للمال بغير علم ، فالعلم هو الذى يثمر المال فى ميادين نافعة ، ويبتكر الوسائل للحصول على المال . وهذه مصر قد احتكر الأجانب صناعتها وتجارتها ، وزاحموا المصريين حتى فى زراعتها ، حينما كانت مصر تجهل كنوزها ، فلما تعلمت مصر شرعت تدبر شئونها ، وتسترد حقوقها ، وتسيطر على خيرات الوطن :

يا طالبا لمعالى الملك مجتهدا
خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل واقلال

لهذا كان كلفا بحث الحكومات على الاكثار من افتتاح المدارس ونشر التعليم ، حتى لقد جهر لعباس الثانى بأنه لا قيمة لسلطانه اذا لم يعز العلم ويرفع لواءه :

فانصر بهمتك العلوم وأهلها
ان العلوم قليلة الأنصار
لا يظهر الكبراء آية عزهم
حتى يعزوا آية الأفكار

وردد الدعوة له ولمن بعده ، كقوله :

أعد بالعلم سؤددها فانى
وجدت العصر علما واختراعا

وقوله :

وألق فى أرض منف أس جامعة
من نورها تهتدى الدنيا بنبراس
ترك النفوس بلا علم ولا أدب
ترك المريض بلا طب ولا آس

وقوله :

ان سرك الملك تبنيه على أسس
فاستنهض البانيين العلم والأدبا

وقال فى الاشادة بالجامعة :

العلم فى سبل الحضارة والعلا
حاد لكل جماعة وزمام
بانى الممالك حين تنشد بانيا
ومثابة الأوطان حين تضام

وقال فى تهنئته لأستاذ الجيل احمد لطفى السيد حينما ترجم (علم الأخلاق) لأرسطو :

وشغلت نفسك بالخصيـ
ـب من الجهود عن العقيم
فخدمت بالعلم البلا
د ولم تزل أوفى خديم
والعلم بناء المآ
ثر والممالك من قديم

كسروا به نير الهوا
ن وحطموا ذل الشكيم

وقال فى الترحيب بالطيارين الفرنسيين سنة ١٩١٠

فى سبيل المجد أودى نفر
شهداء العلم أعلاهم مقاما

خلفاء الرسل فى الأرض هم
يبعث الله بهم عاما فعاما

قطرة من دمهم فى ملكه
تملأ الملك جمالا ونظاما

وما أجمل وصفه لتلاميذ المدرسة ، وما اروع قوله فى هذا الوصف :

بيوت منزهة كالعتيـ
ـق وان لم تستر ولم تحجب

يدانى ثراها ثرى مكة
ويقرب فى الطهر من يثرب

اذا ما رأيتهم عندها
يموجون كالنحل عند الربى

رأيت الحضارة فى حصنها
هناك وفى جندها الأغلب

وتعرضهم موكبا موكبا
وتسأل عن علم الموكب

دع الحظ يطلع به فى غد
فانك لم تدر من يجتبى

لقد زين الأرض بالعبقرى
محلى السماوات بالكوكب

بل لقد دعا الى العناية بتعليم المكفوفين ، وجعل العالم الكفيف العبقرى يعدل نصف الملك فى قوله :

والله ما تدرى لعل كفيفهم
يوما يكون أبا العلاء المبصرا

لو تشتريه بنصف ملكك لم تجد
غبنا وجل المشترى والمشترى

وناشد وزير المعارف سعدزغلول على لسان المطرية أن ينشىء بها مدرسة فقال له :

يا ناشر العلم بهذى البلاد
وفقت ، نشر العلم مثل الجهاد

بالعلم ساد الناس فى عصرهم
واخترقوا السبع الطباق الشداد

ليطلب المجد ويبغى العلا ..
قوم لسوق العلم فيهم كساد ؟

ثم صور التلاميذ والطلاب أبناء لسعد فى قوله :

ان فاتك النسل فأكرم بهم
ورب نسل بالندى يستفاد

وكان يحض الشعب على افتتاح المدارس ، والعناية بالتعليم ، كقوله :

فرب صغير قوم علموه
سما وحمى المسومة العرابا

وكان لقومه نفعا وفخرا
ولو تركوه كان أذى وعابا

فعلم ما استطعت لعل جيلا
سيأتى يحدث العجب العجابا

وحمل الشباب نصيبه فى تنوير الشعب وتثقيفه ، لأن الشباب فى رايه أعصاب القرى ورواد أهليها ، والمثقفون من بنيها .

هزوا القرى من كهفها ورقيمها
أنتم لعمر الله أعصاب القرى

الغافل الأمى ينطق عنكم
كالببغاء مرددا ومكررا

يمسى ويصبح فى أوامر دينه
وأمور دنياه بكم مستبصرا

ولما شارف أول مجلس نيابى أن يجتمع ، امل شوقى أن يختص المجلس التعليم بقدر كبير من مال الخزانة :

البرلمان غدا يمد رواقه
ظلا على الوادى السعيد ظليلا

نرجو اذا التعليم حرك شجوه
ألا يكون على البلاد بخيلا

« للبحث بقية »

من كلام النبوة

نحو المبادئ ٢

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

١ - « يأيها الناس : ان لكم معالم ، فارجعوا الى معالمكم » .

اذا كان الاسلام فى تشريعه يقتضينا السمع والطاعة لما يخاطبنا به ، فانه يأبى علينا البله ويحاول أن يغرس فينا ملكة التعقل ، وينادينا دائما بالتدبر ، والعبرة ، ولا يكفيه منا التقليد ، لأنه الدين الحق .. والأخذ بالحق لا يكون على هيئة الباطل : من الهوادة الساذجة ، أو الاستكانة الذليلة الى الجهالة ، والقناعة بالجمود ، والتسليم فى غير فطنة واعية ..

لذلك : نرى فى الحديث الذى توجنا به موضوعنا دعوة قوية الى اليقظة نحو ما فى دنيانا من معالم قائمة مشهودة لنا ، أو معلومة عندنا .. وكلها هادية الى العلم النافع ، والى تجدد المعرفة كلما استهديناها ، ووعينا أهدافها ، وربطنا بها حياتنا ومسالكنا فى الدين أو فى الدنيا .

وحينما نتفقد هذه الدعوة النبوية الجهيرة ينطلق وعينا من معوقات تحبسه ، ونتحلل من غمرة التقليد ، ولا يكون الفرد ، ولا الجماعة عرضة لأن يلدغ من الجحر الواحد مرة .. فضلا عن مرتين ، أو أكثر .

٢ - فى آفاق الدنيا مشاهد نحسها ..

ومنطقها البين : هو نظامها الرتيب ، ودعوتها الى الله الذى أنشأها ، وأبدعها ، وسخرها فى مستقرها ، أو فى مجاريها ، بعمارة الكون ومنافع للناس ، والتدليل بها على عظمة منشئها ، وتفرده بالأمر فى ملكوته الذى أبدعه كما شاء ، فهذه هى السماء والكواكب، والسحاب المتنقل والرياح المسخرة بين السماء والأرض .

وهذا مجال الطبيعة فى الأرضين ، وما تتكشف عنه مظاهرها البهيجة فى ألوان الزروع ، واختلاف الثمار ، وشموخ الجبال، وترامى الصحارى ، وتماوج الأنهار والبحار، الى ما فى عجائب العلم ، وما يطالعنا به كل يوم من أسرار هذا الوجود ، وما أودع الله فيه من غرائب تتجدد بها الحياة حينا بعد حين ..

هذه نماذج مما نحسه، ومن خلالها نستشف قدرة الصانع لها ويستقر فى أنفس الواعين لها مبدأ حق .. مبدأ الوفاء بما لله على عباده من وجوب الايمان ، واخلاصه لمن بيده ملكوت هذا العالم .

ويكون ذلك تجاوبا مع هذه المشاهد ، فيما نطقت به من جلال مبدعها على خير ما تعلقت حكمته فى تنوعها ، وابرازها على ما يبهر العقول ، ويأبى المكابرة .

ومبدأ الوفاء لله بحقه على عباده هو الايمان الحق الذى يناط بنا عقلا ، والذى دعانا اليه فى كتابه ، وفيما سبق من شرائعه ، وعلى ألسنة رسله جميعا .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

وفى اطار هذا المبدأ تقف النفس عند حدودها بالنسبة لخالقها ، وولى أمرها فيما تملك وما لا تملك ، وفيما تعلم وما لا تعلم ،

وفيما ترضاه ، أو لا ترضاه مما سبق به القضاء الحكيم :

« يأيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد » ٠

وكذلك فى اطار هذا المبدأ يتربى المسلم على الاعتراف بالنعمة لصاحبها ، وتقدير الفضل لذويه ، ويتضح من ذلك أن الوفاء بين الناس شعبة من شعب الايمان هدتنا اليها المشاهدة الواعية لما فى الكون من معالم يبصرها كل ذى نظر ، ويحسها كل موجود ، ويتذكر بها كل من ألقى اليه السمع وهو شهيد ، وشكر النعمة لذويها مفروض « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » ٠

٣ ـ ومن المعالم التى يشيد بها الحديث فيما يحتويه : روابط الاخاء فى الانسانية ٠٠ ووشائج اللحم والدم بين خلق ذراهم الله من نفس واحدة ، وجعل بينهم آصرة القربى تمت بهم الى أصلهم الأول ، وتنعطف ببعضهم على البعض مهما انحدرت الأنساب ، واتسع مجال الاخاء ، وكلما بسقت الشجرة ، وتشعبت الفروع كان ذلك أدعى الى تمجيد الأصل ، والاعتزاز بتوثيق العلائق ٠

وتلك هى الأرحام التى من شأنها أن تجمع ولا تفرق ، والتى من مقتضياتها ألا تتجافى القلوب عن التعاطف ، وألا تجف من نداوة الود ، والحنين الى التلاقى ، كما يحن الشقيق الى شقيقه ، وكما يتجاذب الأخ وأخوه ذكريات الأمومة ورحمتها ، لينهلا من عطف الأمومة وذكراها مايرطب الأكباد ، ويجدد رثيث المحبة فى القلوب .

هذا الاخاء : لو تعاهدنا بالرجوع اليه ، والاهتداء به كما يتضمنه توجيه الحديث لما استفحلت الأنانية ، ولا تجهمت الوجوه ، ولا أصبحت الأنانية شاكية من بنيها ، وباكية مما حاق بها على يد ذوى الأرحام من أهليها ٠

ولقد جاءت الأديان ـ والاسلام بصفة أتم ـ تؤازر هذه العلاقة الطبيعية وتحاول التقريب بين الانسان وأخيه من أى لون ، وبأى لسان، وفى كل زمان ، ومكان ٠٠ وتنبه على أن الله جعل الناس شعوبا وقبائل ، ومايز بينهم بالخصائص اللونية واللسانية ، ونحوهما ، ليكون هذا التمايز أمارات على الجماعات ، ووسيلة الى التعرف والتحديد،والتخلص من فوضى الاختلاط الجماعى ، كما هو واقع فى الفصائل الحيوانية الأخرى فى الأغلب ٠

جاءت الديانات ـ والاسلام بعنايته الخاصه ـ موجهة الى الرابطة الأولى ، والى تعزيزها بذلك التنويع والتنظيم: لا ليكون هذا مثار التجاهل والتدابر ، والشقاق المضنى ، وكثيرا ما يشيد القرآن ـ وهو أحدث تنظيم سماوى للحياة البشرية ـ بذكر الأرحام ، والدعوة الى تقديرها ، والتقرب الى الله بالوفاء لها ، والمحافظة عليها ، وأكرم الوعود من جانب الله لمن يرعى للأرحام جانبها ٠

حتى بلغ من عناية الاسلام فى شأنها أن يجعل ذلك شطرا من عبادة الله فى نص كتاب الله :

« واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »٠ بعطف الأرحام على لفظ الجلالة فى حيز التقوى المأمور بها أمرا حتميا ٠

بل بلغ من العناية أن الله تعالى سمى هذه الرابطة باسم مما سمى به نفسه ـ الرحمن ، الرحيم ـ وبلغ كذلك من شأنها عند الله أن رعاية حقها تعتبر صلة من العبد لربه ، وتقتضى الصلة من جانب الله لعبده **((الرحم منى ، من وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته)) .**

فتلك هى الرحم ٠٠

ولئن كان مفهومها القريب هو خصوص القرابة الذاتية فى محيط الأمر ، فان مفهومها الفسيح يتفق مع التوجيه الانسانى العام ، واللفظ لا يضيق بما يراد منه فى هذا المقام ٠

واختلاف الدين لا يمنع من رعاية الرحم الانسانية بقدر ما يستطاع ٠

هذه الرابطة : من المعالم ، وبقدر ما عنيت بها الديانات نراها مهضومة بيننا من كل

ناحية ، حتى أصبح أبناء الدين الواحد ٠٠ وأبناء الاسلام كذلك ، على نفور شديد ، وعداء غاشم ٠٠ وحينما يقصدها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى توجيهه ، يريد وقايتنا من هذا التناحر ، ويريد أن نقف موقف الرحمة بأنفسنا وبغيرنا مااستطعنا فى حدود الاخاء والعدالة ٠٠ وسيظل من مسئوليتنا دينيا ، واجتماعيا أن نرجع الى هذه الصلة بين المعالم

٤ ـ ولدينا ـ ثالثا ـ من المعالمالتى نتجه اليها فيما نتجه ، صفحات التاريخ ، ومآثره ٠
فالتاريخ مرآة تتمثل فيها قومية كل جماعة ، وتبرز لهم ما سلف من أمجاد ، أو خساسة ، فتكشف للجاحدين تراثهم فى الفضل ، فيعتزون بماضيهم ، ويبنون على قواعد أسلافهم ، وينشطون فى مساعيهم ليظلوا حاملين لواءهم ، وغير مستهان بهم ، وتدوم لهم الذكرى فى فم الدنيا ، وتلك سيادة وسعادة ، والسيادة والسعادة من أسمى أهداف الاسلام أو هما هدفه المرموق فى كل تعاليمه ٠

ومرآة التاريخ تكشف كذلك نقائص الأمم المتخلفة ، وتبدى مساقطها ، فيكون من ذلك عبرة لسواها ، وتحس هى بأسباب انحدارها وتشيد ما لغيرها من سبق ٠ ولعلها تدرك نفسها ، وتنهض الى المتابعة فى الميدان الحيوى ولا تعيش ميتة فى مجال الأحياء ٠ فالرجوع الى التاريخ رجوع الى معلمة من معالم الدنيا ، تغرس فى الأنفس مبدأ الشعور بالذات ، والشعور بالذات قاعدة ترتكز عليها الانسانية فى مساعيها وحيويتها ، ومنهذا ندرك اهتمام القرآن بالقصص عن الأولين ، وندرك ثناءه على أقوام ، وأشخاص ، وتنديده بالسخط على آخرين ٠

« فاعتبروا يا أولى الأبصار » ، « قد أفلح من تزكى ٠٠ »

ونحن نرى فى أنفسنا أن نظرة المرء الى ماضيه تنهض به الى سماء المجد ، حينما يكون منتميا الى أصل كريم ، يتسامى به عن المغامز ، ويفاخر به عند ذكر المناقب ، ويترفع من أجله عن المساوىء ، ويرى فى عنقه دينا لآبائه وأصوله أن يصون ذكراهم عن السقوط فى خسيسة ، وأن يرتبط بتاريخهم الذى نسجوه فى حياتهم ، وسطروه فى صحائف ذكرياتهم ، فلا يرضى الانسان النبيل أن يجنى على أصوله فى تاريخهم ، أو يخون دراسته عنهم ٠

فالدين فى معالمه ٠٠ والاخاء فى أصوله ووشائجه ٠٠ والتاريخ فى حقائقه : كلها منابع للفكرة الرشيدة ٠ وكلها توحى بالمبادىء الحيوية ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوجهنا اليها فى وعى ، وكلها تنادى بأن حياتنا لا تسير اعتباطا ، ولا تستقيم على غير مبادىء قويمة ٠

والمبادىء ـ لا شك ـ هى قوام الاستقرار فى كل شأن ، وفى حياة الأفراد والجماعات

وسواء : أكانت المبادىء روحية ٠٠ أم أدبية ٠٠ أم اقتصادية الخ ٠٠ فالمبادىء كلها خطر جدى فى الحياة ، وذات قدر فى حساب الدين ، وعلى المبادىء تكون الحياة التى يحبها الله لعباده ، فلا يسيرون على ضلالة ، ولا يكون أمرهم فرطا ، ولا يكونون كالأنعام ٠٠ ومن هذا ، تكون دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الرجوع نحوالمعالم واستيحائها التوجيه ٠٠ دعوة الى السير فى آفاق مأمونة من العثرات ، والى التضامن فى الاتجاه ، ليسير الناس جماعة فى سبيل الأهداف الانسانية،وليتناصروا فى التماس الهداية الى ربهم غير متعصبين ٠

وهى دعوة فى واقعها متجاوبة مع الفطر السليمة فى مقاصد تبتغيها على شغف بها ، وعلى عجل فى تحصيلها ، لندرك الحظ أوفر ما يكون ، وأكمل ما يستطاع ٠

واذا لم تكن للناس معالم يرجعون اليها ٠٠ فلن تكون حياتهم الا لونا من ألوان العجمة ، وضربا من العيش المضطرب ، وسلسلة من الأيام نقضيها فى فراغ ، وننتهى منها الى غير غاية محمودة ، وماهكذا تكون الحياة للانسان وقد كرمه الله ، وصدق رسول الله ٠

دعوة
الميثاق الوطني
من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

الواقع أننا كلما توغلنا فى الميثاق الوطنى وحاولنا مخلصين أن نرى صورة مجتمعنا من خلال الميثاق نفسه لعثرنا على أبعاد الاشتراكية الاسلامية الصحيحة . والاسلام دين واقعى. وكل ما تضيفه الأزمنة الى سجل الحياة . يفسح الاسلام له مكانا ويرعى له حقه بين مبادئه وأحكامه ، ونحن بدراستنا المتوالية للميثاق من بابه الثانى « أن الطريق الثورى هو الجسر الوحيد الذى تتمكن به الأمة العربية من الانتقال بين ماكانت فيه وبين ماتتطلع اليه » .

كما جاء أيضا فى هذا الباب « ان الثورة العربية أداة النضال العربى الآن وصورته المعاصرة تحتاج الى أن تسلح نفسها بقدرات ثلاث تستطيع أن تصمد لمعركة المصير التى تخوض غمارهااليوم، لأنالثورة العربيةمطالبة اليوم بأن تشق طريقا جديدا أمام أهداف النضال العربى » ..

الأمة العربية طوال القرون الماضية لم يخف حالها على أحد ، بل وكلما تباعدت عن كتاب الله وسنة رسوله زاد هوانها ودب الضعف فيها ينخر فى حشاياها حتى أصبحت صورة مسخ هو أبعد ما يكون عن الاسلام الحنيف الوضاء ، وأصبحت الأمة العربية تنتظر رحمة الله تعالى فى ثورة رائدة تأخذ بيدها وتفتح أمامها طريقا أغلقه الهوى والمصلحة لكل حاكم عربى دخيل . وبلورت الأمة العربية فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة. صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للأمة وهى **الحرية والاشتراكية والوحدة**، وأصبحت الحرية الآن تعنى حرية الوطن وحرية المواطن.

وأصبحت **الاشتراكية وسيلة وغاية هى الكفاية والعدل ، وأصبح طريق الوحدة هو الدعوة الجماهيرية لعودة الأمر الطبيعى لأمة عربية واحدة (باب ٢ من الميثاق) وهنا نجد لزاما علينا أن نطرق ونمس باب التشريع الاسلامى الرحب الفسيح الذى جمع فأوعى والذى يدفعنا الى عدالة اجتماعية شاملة تنشر رخاءها على المسلمين جميعا ، يقول تعالى: « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »** .. سورة النحل .

وما هى الحكمة ان لم تكن دعوة الناس الى الحق والخير والرغد ، ويتحدث القرآن فى كل مناسبة الى فعل الخير واتباع الحق ونشر المحبة والسلام بين الناس والأخذ بالعدل ومجانبة الظلم فيقول الرسول الكريم : « **انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » ، ولاشك أن أكرم القيم الأخلاقية فى أى مجتمع انما تتركز فى بر الانسان بأخيه الانسان واحترامه له ، ومسارعته الى نجدته واسعافه عند الحاجة والفاقة . والحياة فى حد ذاتها منحة الله تعالى للانسان :

« **وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون** » ، سورة الحجر .

« **وانا نحن نحيى ونميت والينا المصير** » ، سورة ق .

والعدوان على حياة فرد بدون حق هو عدوان على المجتمع كله :

« **من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا** » . **المائدة .**

فالحاكمون الطغاة الذين يصادرون الحريات، والذين يشيعون الرعب فى نفوس الناس فى نظر القرآن فسقة ظالمون يعاقبهم الله العقاب الرادع الأليم لأنهم استباحوا حريات الناس والاسلام فى عظيم تشريعاته لم يكتف باعلان هذا المبدأ ، مبدأ حق الحياة ، بل أعلن مع ذلك وجوب صيانة الحياة نفسها من كل ما يقضى عليها أو يتلفها أو يضعفها ، يقول الرسول الكريم :

« **اذا كان الوباء بأرض ولست بها فلا تدخلها ، وان كان بأرض وأنت بها فلا تخرج منها ..** »

والاسلام فى كل هذا يقدس الحياة والحرية حيث يقول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا** » . فالانسان لا يوصف بالعبودية لأحد من البشر ولكنه عبد لله تبارك وتعالى فقط . خالق الحياة وما فيها ومن فيها . وكل مسلم حر متساو مع قومه ومجتمعه وأمته فى انسانيته الحرة . والدولة كيان معنوى يقوم به أفراد من الشعب لخدمة الشعب لا لاستعباده حتى أن رئيس الدولة فى الاسلام ليس الا خادما لمصلحة الشعب .

يقول أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ : أول ما ولى الخلافة: « **انى وليت عليكم ولست بخيركم** » ، أما اذا رضى بعض الناس فى الأمة العربية أن يقيموا على الذل والهوان تحت امرة حكام رجعيين فسقة كان ذلك ظلما من هؤلاء المتقاعسين لأنفسهم . يعاقبون عليه بسوء المصير ، يقول تعالى :

« **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالواكنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروافيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** » .. سورة النساء .

واذا كان الميثاق الوطنى قد بلور أهداف النضال العربى للأمة العربية جمعاء وجعل الحرية احدى دعائمها فانما هو عمل فيه سبق ورشد وايمان . والأمة العربية الحرة عليها أن تهب لنجدة المستضعفين المعتدى على حريتهم لتدفع عنهم الظلم . يقول تعالى :

« **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان سورة النساء .**

والحرية فى مفهومها انما تشمل الحرية الدينية أيضا ، فالانسان حر فيما يدين به من دين . والاسلام الحنيف حيث سورة البقرة، يقول فيها الله تعالى « لا اكراه فى الدين » ، وفى سورة يونس « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وفى سورة الغاشية : « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » .. حتى حرية الرأى والفكر والعقيدة لم يقتلها الاسلام أو ينال منها ـ حاشا لله ـ وليس أدل على ذلك من هذه الآراء والمدارس الفكرية المتعددة التى انتشرت فى أنحاء العالم الاسلامى كله . كان منها ما يمس العقيدة الاسلامية ومنها ما كان يخالف بعض الحقائق

الاسلامية ٠ ومع ذلك فلم تكن هنالك سلطة دينية أو سياسية تحظر هذه الآراء أو تصادر حريات أصحابها ، بل كان علماء الشريعة يتصدون لها بالرد المفحم وبيان زيفها وبطلانها بالحجة والبرهان ، وكان ميدان هذا النقاش هو الكتب والحلقات والمجالس العلمية لا السيف والسجن والحرمان والبطش ٠٠ والحرية السياسية نماها الاسلام ورعاها منذ القدم ، ومنذ قيام المجتمع الاسلامى القديم ، فقد كان رئيس الدولة – الخليفة أو امير المؤمنين – يختار من قبل أهل الرأى والفكر وان اتفقوا على رأى بايعوه على السمع والطاعة والنصرة ، ثم يتبعهم الجمهور فى المبايعة وهكذا تمت مبايعة أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – ٠ والشورى فى الاسلام هى عماد حرية الرأى ، يقول تعالى :

« وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » سورة آل عمران .

وذهب الايمان بالحريات فى صدر الاسلام حداكبيرا جعل أول الخلفاء يقول «ان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فسددونى » ٠ وهنا لنا وقفة مع الميثاق الوطنى فى بابه السابع : « أن حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة – ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ٠ وأخيرا ينص الميثاق « ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة والحرية» ٠٠كما لم يفت الميثاق أن يشير الى النقد الذاتى بقوله : ان ممارسة النقد والنقد الذاتى يمنح للعمل الوطنى دائما فرصة تصحيح أوضاعه ٠ ان أى محاولة لاخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم ٠

ويضع الميثاق دعامة ثانية من دعامات أهداف النضال العربى كتعبير عن الضمير الوطنى للأمة العربية الا وهى الاشتراكية ٠٠ وينص الميثاق على أن الاشتراكية وسيلة وغاية ٠٠ هى الكفاية والعدل ٠٠ والاسلام بكماله وشموله ووقوفه على أسس ومقومات الحياة منذ أطل الاسلام بفجره على البشرية انما فتح باب العمل أمام العاملين حيث يقول تعالى :

« وأن ليس للانسان الا ماسعى » – سورة النجم ٠

ولكل انسان منها بحسب طاقته وجهده وكفاءته – والميثاق فى بابه الثامن ينص : « العمل شرف ٠ العمل حق ٠ العمل واجب ٠ العمل حياة » ٠

والاسلام الحنيف حينما يقرر حق التملك فانما لعلمه بأن جو الحياة الحرة الكريمة انما يدفع الناس الى العمل للكسب الحلال ، وحتى لا تستأثر بخيرات الدنيا فئة قليلة٠ واذاكانت خيرات الأرض فى متناول الناس جميعا وكان كل انسان قد قرر الله له من خيرات الكون رزقا ونصيبا :

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها» سورة هود ٠

واذا كان المال وسيلة الى الخير وتيسيرا للكسب والتعامل كان من واجب الناس أن يسعوا للحصول على المال ولا عذر لأحد فى ترك العمل بحجة أن الله قد كتب عليه الفقر ، بل أمرنا الله تعالى بالسعى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » سورة الملك ٠٠ وكان من دعاء النبى الكريم : « **اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل** »٠٠ وحيث يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد رواه أحمد والحاكم « **أطيب الكسب عمل الرجل بيده** » ، وبذلك أصبح العمل فى الاسلام مشرفا والعمل حقا والعمل واجبا ، والعمل حياة ٠

وقد ثبت فى حديث عن النبى – صلى الله عليه وسلم – وقد رواه أحمد وأبو داود : أن قال : « **الناس شركاء فى ثلاث : الماء ، والكلأ والنار** » ٠٠ وهنا لنا وقفة ٠٠ ويمكننا

أن نتساءل على ضوء المنطق والعقـــل الذى أودعه الله تعالى، للحكم الأمين على كل مايحتاج الى تبيان وتوضيح ٠٠ هل ورد هذا النص عن الرسول الكريم للحصر ؟ فان قواعد الشريعـة تقضى بأن كل ما كان مثل هذه المواد ضروريا للمجتمع لا يصح تركه لفرد أو أفـراد تملكه اذا كان ينشأ عن احتكارهم له استغلال وتحكم وسيطرة تعكس حرمانا على عامة الشعب ٠ بل يجب أن تشراف الدولة على استثماره وتوزيعه حيث تعرض الميثاق الوطنى فى بابه السادس: « حتمية الحل الاشتراكى من الناحية الأخرى المقابلة لجانب زيادة ألانتاج وهى ناحية عدالة التوزيع فان الأمر يقتضى وضع برامج شاملة للعمـل الاجتمـاعى تعود بخيرات العمـل الاقتصادى ونتائجـه على الجموع الشـعبية العاملة وتصنع له مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى يقترب يومه - ان الحـــل الاشتراكى هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن تتلاقى عليه جميع العناصر فى عملية الانتـاج على قواعد علمية وانسانية تقدر على مد المجتمع بجميع الطاقات التى تمكنه من أن يصـنـع حياته من جديد وفق خطة مرسومة مدروســة وشاملة » ٠

والاسلام يســمح بالتملك عن طريقيـن رئيسيين ٠ أولهما عن طريق الهبـة والوصية والارث مما لا سعى للانسان فيه ، وكذا عن طريق السعى والاكتساب الحلال النافع ٠٠ والاسلام يكره كل الكره تكدس الثروات فى أيد قليلة فقد جاء فى سورة الحشر « كيـلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » ٠

وهنا يتلاقى الميثاق الوطنى فى بابه السادس مع هدى الاسلام الحنيف « ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لا تسـتلزم تأميم كل وسائل الانتاج ٠ ولا تلغى الملكية الخاصـة ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليهـا وانما يمكن الوصول اليها بطريقتين :

أولاهما : خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية ٠

ثانيهما : وجود قطاع خـاص يشـارك فى التنمية فى اطار الخطة الشـاملة لها من غير استغلال على أن تكون رقابة الشعب شـاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا ٠

ان ذلك الحل الاشتراكى هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن تتلاقى عليه جميع العناصر فى عملية الانتاج على قواعد علمية وانسانية تقدر على مد المجتمع بجميع الطاقات التى تمكنه من أن يصنع حياته من جديد وفق خطة مرسومة مدروسة وشاملة ٠ واذا كان الميثاق قد خص رقابة الشعب على معظم وسائل الانتاج فانما ليتجنب الاحتكار والاستغلال وليخلق مبـدأ التكافل الاجتماعى ، واذا كان الميثاق فى بابه السادس قد أشار « **الى أن الحرية الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق الا بفرصة متكافئة أمام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنيـــة ونص على أن ذلك لا يقتصر على مجرد اعـادة توزيع الثروة الوطنية بين المواطنين وانما هو يتطلب أولا وقبل كل شىء توسيع قاعدة هذه الثروة الوطنية بحيث تستطيع الوفاء بالحقوق المشروعة لجماهير الشعب العـاملة ٠٠ فانما يعنى الميثاق أن الاشـتراكية بدعامتيها من الكفاية والعدل هى طريق الحرية الاجتماعية٠ والقرآن الكريم يأتى فى سورة الحجـرات : « انما المؤمنون اخوة »** ٠٠ واعلان الاخاء فى مجتمع واحد يوجب التكافل بينهـم لا فى حاجاتهم المادية فحسب ، بل فى كل حاجات الحياة وتقرير الاخـاء بين اثنين هو تقرير التضامن بينهما فى المشاعر والأحاسيس ٠٠ وجاء فى كتاب الله المنزل: « **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » ٠٠ سورة المائدة ٠

ويمكننا أن نتساءل ما هـو معنى البر فى فى الاسلام ٠٠؟ ونقـول ان البر جاء معنى شـاملا لحسن المعاملة وطيب العشرة ومكارم الأخلاق ، فيقول الله تعالى :

« **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** » ، سورة آل عمران ٠ ويقول تعالى :

« **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسـكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** » ٠ سورة البقرة ٠

ثم يأتى البر شاملا كاملا منيرا أمامنا طريقا رحبا واسعا :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين – وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » – سورة البقرة .

فالله – سبحانه وتعالى – أمرنا بالتعاون والتكافل على جميع معانى البر والتقوى حيث أكد الرسول الكريم فى قوله – البخارى مسلم وأحمد – « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ومما لاشك فيه أن هذا نص كامل شامل فى تكافل المجتمع ومسئولية أفراده عن آلام فرد واحد . ويذهب الاسلام عميقا فى كل شيء فيولى عنايته الكبرى باقتصاد الأمة فيعمل على حفظ ثروات الأفراد من الضياع والتبذير ويمنع سوء استعمال الاقتصاد الوطنى بالاحتكار والتلاعب بالأسعار والغش فى المعاملات ، لهذا وجب على الدولة أن تحول دون الاحتكار والتلاعب والغش ، وأن تضرب على أيدى المحتكرين بيد من حديد ، وبنظرة فاحصة فى الباب السابع من الميثاق « الانتاج والمجتمع » الانتاج كله للمجتمع . فى خدمته ولتحقيق سعادته ولتأمين الرفاهية وتوفيرها لكل فرد فيه ، ان المجتمع هو كل انسان فرد يعيش على تربة الوطن وترتبط آماله مع آمال غيره من المواطنين من أجل غد عزيز لهم جميعا وللأجيال القادمة من أبنائهم وأحفادهم . وغاية الانتاج الحقيقية هى توفير أكبر قدر ممكن من الخدمات لتكون أعلام الرفاهية التى ترفرف على المجتمع كله .. وبقدر اتساع قاعدة الانتاج وبقدر الاستثمارات الجديدة من المدخرات الوطنية التى يمكن أن تضاف اليها بالعمل الوطنى مع كل يوم تتفتح آفاق جديدة لتكافؤ الفرص بين المواطنين .

قال الفضل : سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل . وتؤذى جيرانها بلسانها .. فقال عليه الصلاة والسلام : « لا خير فيها .. هى من أهل النار » .

ماذا ينفقون

الأستاذ البهى الخولى

ـ ١ ـ

من أجمل الآثار التى أثمرتها الاشتراكية الاسلامية ، ذلك الضمير النقى ، الذى تحرج فى نفقة المال ،فلم يمسسه بأخراج شىء منه حتى ذهب الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يساله : ماذا ينفق منـــه ، وماذا يبقى ؟!

وقد تكرر هذا الســؤال أكثر من مرة ، وسجل منه القرآن الكريم موقفين فى سورة البقرة : احدهما فى قوله تعالى : « ويسالونك ماذا ينفقون ؟ . قل : ما أنفقتم من خير ، فللوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين..» الآية .. والآخر فى قوله تعالى : « ويسالونك ماذا ينفقون ؟. قل العفو » .. الآية .. وقد سجلت منه السنة مواقف شتى جميلـة ، لسنا بصدد استقصائها .

ونستطيع أن نتمثل الورع الصادق فى ذلك الضمير ، وقد أثار فى نفس صاحبـه أزمة حرج وقلق : ماذا ينفق، وماذا يدع؟.. لعله ان أمسك درهما ، أمسكه ولا حق له فيه ، فيغضب الله تعالى ، أو لعله ان أنفقه ، وقع حيث لا يحب سبحانه !! فخـرج من تلك الحيرة الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأله الطمانينة والرشد ..

ولا يسعنا أن نمضى الى غرضنا من هـذا المقال دون التنويه بذلك الضمير ، والاشـادة بالاشتراكية التى أثمرته ، ونحـن نرى تلك الاشتراكيات المتطرفـة التى يسمونهـا الشيوعية ، وقد قامت فى ضمائر ذويها مقام العقيدة ، وحلت مراسمها بينهم محل شعائر الدين ـ لم تثمر فى تلك الضمـائر شيئا الا أنانية اللذة ، وشياطين الجشع الجائعة الى مال الشعب .. وكل من يتابع الأنباء العالمية يعرف أنباء المحاكمات الروسية التى قـدم لها وزراء الدولة وكبار موظفيها والمسئولين فيها ، وانتهت عليهم بأحكام الاعدام والسجن لأنهم سطوا علـى أموال الشعب ، فسرقوا الحاصلات الزراعية من مخازنها ، وغيرها ، وفى كل يوم يعلن خروشوف زعيمهم العالمى جديدا! من أنباء تلك المحاكمات .. نعم نذكر ذلك ، ونذكر الى جانبه ان الضمير الذى تحدثنـا عنه ليس ضميرا أسطوريا ، ولا متخيلا فى ذهن روائى يعشق المثاليات ، بل هو ضمير عرفه الواقع فى سيرة أناس من البشر عاشوا على هذه الأرض ، وسجلته السنة ، ونزل الوحى بتزكيته والاجابة عما يسأل عنـه ، وقرأ الجيل النبوى ذلك الوحى ، فألفـاه ترديدا وتسجيلا لما عرف وشاهد ، وتعبدوا بتلاوته والقراءة به فى الصلاة .. ولا نعرف تحية لذلك الضمير ازكى من تلك الموازنة التى ترينا تألقه فى أمانة مثالية عفت عن أن تمد يدها الى مال فى حوزتها .. لا فى مخـازن الدولة وحواصل الشعب .. عفت أن تمـد يدها الى مالها لا الى مال غيرها .. ولو أنها امتدت لكان حسبها حلا أنها امتدت الى مالها .. أو لكان حسبها عذرا أن نصا صريحا لم ينزل بنهيهـا .. أو لكان حسبها مغريا بالامتداد ، أن أحدا لا يراها ، ولا يحصى عليها

ما دخل وما خرج .. وانا لندرك انه ليس اقسى على مذاهب الخداع والزيف ، من تلك الموازنة الحاطمة ، فما ابعد الفرق بين مذهب يحمل فى تعاليمه لضمير البشر بذور الحياة وحقيقة الضوء ، ومذهب لا يحمل سوى جراثيم الموت ومحنة الظلام ..

ذلك ـ اذن ـ مذهب راشد ، أو هو المذهب الراشد فى الاشتراكية ، اذ يشمر لنا ذلك الضمير النقى ، ويقرر لأول مرة مبدأ « المسئولية فى النفقة » .

وقبل ان يقرر القرآن ذلك مهد له بذكر ما كان سائدا من وجوه الفساد فى انفاق المال او اهلاكه ، من ذلك أن الله تعالى أقسم فى سورة البلد : **« لقد خلقنا الانسان فى كبد »** ، ونعى عليه انه ينفق ماله عبثا فى غير مبالاة ، على نهج اجتمعت معايبه فى قوله : **« أهلكت مالا لبدا »** ـ اى كثيرا مجتمعا ـ وهو نهج جاهلى لا يعرف فى نفقة المال حدودا مرسومة ولا مصارف حق ينتهى اليها .

والجاهلية ليست هى العصر الذى سبق نبوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بل هى خصال من الطغيان ينزع لها المرء يده من ميثاق الله تعالى ، وينفلت وجدانه من عروة الايمان به ـ جل شأنه ـ .. فيغشاه غرور القوة ـ ان كان حاكما أو جبارا فى الناس ـ فينسخ فى ضميره كل سلطان فوقه ، فيحسب **« أن لن يقدر عليه أحد »** .. وتأخذه حمية السرف ـ ان كان ذا مال ـ فيغدو جامد الحس عن آلام الضعفاء والمساكين ، متفجر الهوى لبواعث الفخر واللذة والرياء ، لا يعنيه ما ينفق فى ذلك ، الا ان يشعر بتمام الرضا عن المدى الذى انتهى اليه كل باعث ، وان تطمئن تلك البواعث الى انها مستجابة الرغبات سلفا فى كل ما تنزع اليه .. وهى حال من نسخت فى وجدانه معقبات الجزاء والمسئولية ، فلا يبالى مما انفق الا انه منهاج الاستعلاء بين أقران يتفاضلون باهراق المال فى دواعى الفخر واللذة والرياء ، أو النهج الذى اجتمعت معايبه ـ كما اسلفنا ـ فى نطاق قوله : **« اهلكت مالا لبدا »** .. ويدركه فجور الاثم ، فلا يتورع عن مظلمة ، ولا يستحى من نقص ، ولا يخجل من شين او خطيئة ، فقد بلغ من استعلائه وقلة حيائه أن نسخ وجود الناس فى اعتباره، فهو يفعل ما يفعل غير محتشم من أحد ، ولا مكترث لشىء ، وكأنه وحده ، او كأنهم قوالب لا تبصر ولا تحس ، على المعنى الذى يلم به قوله سبحانه : **« أيحسب أن لم يره أحد ؟ »**

تلك خصال الجاهلية ، جمعها سبحانه فى ثلاث جمل ، أو ثلاثة أصول ، فايما عصر أو جيل استعلن بها ـ قبل الاسلام أو بعده ـ فهو الجاهلية المرادة .. ويعنينا من خصالها تلك ، نهجها الذى « الذى لا يعرف فى نفقة المال حدودا مرسومة ، ولا مصارف حق ينتهى اليها » فهو الذى نعاه سبحانه على « انسان الجاهلية » ، وكان المسلمون يومئذ ـ وهم اهل البيئة ـ يدركون عمق ما يرمى اليه القرآن ، فدعاهم ذلك أن يستبرئوا لدينهم ، وأن يخرجوا من تبعة أى نفقة بسؤال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وبهذا التمهيد ومثله تحول المجتمع من فوضى الجاهلية ، وحمية النفقة الحمقاء ، الى وقار الحكمة فى عمق الفهم ، وسداد المقاصد وضوابط الخشية والنظام ..

ـ ٢ ـ

والاسلام فى تشريعه الاقتصادى وغير الاقتصادى لا يفرض القوانين بالقوة ، ولا يمهد لها فى نفوس الناس باللين الذى يؤلف نافرها ، ويروض اباءها على الانقياد والطاعة، لأنه ليس فى حاجة الى شىء من ذلك ، فانما يحتاج الى قسوة الشدة أو حكمة اللين من يخترع القوانين اختراعا ، ويبتدع التكاليف على وفق ما يسنح له من خواطر أو يؤديه اليه الاجتهاد .

أما الاسلام ، فلا يبتدع ولا يخترع ، فانه فطرة الله فى الناس ، ونواميسه فى الكون ، وحقائقه السافرة التى تزاحم البدهيات الى معايير العقل الأولية .. وكل ذلك امور واقعة ، هيىء الانسان على أن يحيا بينها ، وامد بملكات فهمها والتجاوب معها .. وما على الانسان الا أن يدرك نفسه ، ويبصر ما حوله بعين فكره ، كما يبصره بعينه العادية .. فاذا أبصر ووعى ، استطاع أن يلائم بين

نفسه وبين ما يرى ، وأن ينظم علاقته وسلوكه بين بنى جنسه ، على مقتضى ما يهديه اليه ذلك الاستبصار ، فان الحقائق الكبرى اذا استعلنت فى الضمير ، قام لها سلطان على النفس يوجهها حيث أراد ، وتتوجه هى به مختارة مغتبطة ، لأنها انما تتوجه على محض فطرتها والناموس الذى ينتظم اشتات وجودها وتبلغ به ماقدر من اكتمال .. ومثل تلك الحقائق العليا فى استعلانها للضمير ، كمثل قوانين الطبيعة فى استعلانها للفكر ، فاستعلان قانون الاجسام الطافية — مثلا — للمهندس الذى « يصمم » السفن ، يلزمه قطعا أن يجعله أساسا لقواعد تصميمه ، ولا يجعل له خيارا فى مخالفته البتة .. والمهندس حين يمتثل ذلك الألزام ، لا يلتزمه راغما أو ضجرا ، انما يمتثله قريرا راضيا ، ولا يسيغ أن يتحول عنه بأى حال ، لأنه قانون قطعى الثبوت اتخذ مكانه الطبيعى من ذهنه .. وما مهمة الرسل الا ارشاد الناس الى ما خفى عنهم من تلك الحقائق ، وتنبيه بصائرهم الى ما لا يدرك بالأبصار ، فاذا تنبه الوعى الباطن على مثل تنبه الحواس الظاهرة الى ما حولها ، انقشع الغيم ، وتبددت الجهالة ، وصار سلوك الحق هو الضرورة التى يوجبها اسفار الحقائق ، على مثال ما يلتزمه أحدنا اذا رأى امامه طريقين : أحدهما واضح الاستقامة ، والآخر كثير الحفر والعثرات .

ذلك شأن الاسلام فى تشريعه ، فهو بصائر كاشفة ، ونواميس قائمة ثابتة ، وليس اكراها تعطل به الارادة ، ولا ابتداعا يقحم به على النفس ما ليس منها ، وقد سماه الله بصائر ، فقال سبحانه : **« قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ »** . فاذا كان الاسلام صالحا لكل زمان ومكان ، فذلك سر صلاحيته ، وسيأتى اليوم الذى تبلغ فيه الانسانية رشدها فتدرك الحقائق المعنوية ، ادراكها الكائنات المحسة ، وستغدو تلك الحقائق من الوضوح بمكان قول أحدنا : ان السماء فوقنا ،والأرض تحتنا ..

نقول ذلك لندرك سر نجاح المشرع الاسلامى فانه لايرجع الى قواعد عقدت ، وقوانين أصلت ، فامتثلها قوم وعملوا بها فى رغبة ، بل الى وعى باطن ، أدركت بصائره ما كان خافيا من الحقائق ، فامتثلته السريرة ، وجاء امتثال الجوارح تعبيرا متسقا مع مافى السريرة من حياة وغبطة وادراك .. ونقرره فى هذا المقام لندخله فى اعتبارنا ، ونحن نعرض قطاعا من الاشتراكية الاسلامية ، فان عرض قواعد تلك الاشتراكية ، دون ملاحظته ، يطفىء الفهم ، فلا يتسنى النفوذ الى غورها ، ويفقدها الروح المجدد للطاقة ، الباعث للضمير ، المبدع لأروع مثل الامانة والبذل ، فتبدو كأنها مقحمة على الواقع ، منافرة لأصول القرآن ، شاقة على النفس ، متأبية على التحقيق والتنفيذ ، فمن تلك القواعد — مثلا — أن ينفق المرء ما فضل من حاجته ، تنفيذا لقوله تعالى: « **ويسألونك: ماذا ينفقون؟ قل العفو** » فان الناظر اليها من زاوية الاقتصاد المدنى البحت يرى فيها المنافرة والمشقة التى ذكرناها ، أو قد يرى فيها عدم الصلاحية للتنفيذ ، لكنه حين يلاحظ ما قدمنا وينظر اليها من خلال بصيرته ، تبدو له بمكان القانون الذى لا حول عنه ، كما يشخص قانون الاجسام الطافية فى أذهان « مصممى » السفن .

ولذا نرى من الضرورى أن نقدم بعض تلك الحقائق لتكون اطارا عاما نفهم فى نطاقه قواعد النفقة فى دستور اشتراكية الاسلام ، على ما يأتى :

١ — ان المال مال الله .. وهى مثال للحقائق التى قلنا انها تزاحم البدهيات فى سبقها الى معايير العقل الأولية ، وتمتاز بأنها حقائق ثابتة أصيلة لا يطرأ عليها بتة أى تبديل ، وليست بدعا من سوانح الخواطر ، أو ثمار الاجتهاد ..

والعبرة فى تلك الحقيقة انها مع وضوحها غاية الوضوح فى ذهننا الظاهر العادى ، مجهولة كل الجهل لوجداننا الباطن الذى اليه المرجع فى توجيه الانسان على وفق تلك الحقائق .. فعلينا أن نشهد تلك الحقيقة ببصائرنا ، كما نشهد الكائنات المحسة بأبصارنا العادية ، لتحل فى ضمائرنا محل القانون الذى لا حول عنه ، فتكون تصرفاتنا

المالية اوضاعا مفصلة على سمتها ، وصورا معبرة عنها أصدق التعبير ..

٢ ـ ان هذا المال اذا كان لله بحق الابداع الأول ، والخلق على غير مثال سبق ، فقد جعله سبحانه للبشر فضلا ومنة منه ، وهو سبحانه يقول ((**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**)) . فهو للناس كافة ، لا لطبقة معينة ، ولا امتياز لبشر فيه على آخر ، حين ننظر من جانب الفضل الالهى المحض .. فليس ثمة دخيل على هذا المال او أصيل .

ونعنى بالمال كل ما خلق الله من موارد الثروة الزراعية ، والحيوانية ، والمعدنية ، وما يتعلق بها أو يخرج منها من منفعة ضرورية ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ((**عادى الأرض لله ورسوله .. ثم هى لكم**)) .. على أن العبرة فى فهم تلك الحقيقة ، ليس بمنطقها الواضح للذهن ، بل بوجدانها الهادى الموجه على نحو ما اسلفنا فى سابقتها ..

٣ ـ ان الناس لا يثمرون تلك الموارد أو المرافق ((**بمجموعهم**)) بل ((**بأفرادهم**)) فان المجموع ليس كائنا عضويا ، أو ((**وحدة آلية**)) ذات ارادة وتدبير وموهبة ، بل هو مجموع ((**وحدات**)) منفصلة ، متباينة ، يستقل كل منها عن الأخرى بارادة خاصة ، وملكات ذاتية ومواهب فى التدبير والطموح دافعة الى الامتداد والعمارة ، والعمل .. تلك الوحدة الذاتية المستقلة ، هى **الفرد** .. وذلك من الوضوح بحيث لا يحتاج الى اطالة فى تقريره .

٤ ـ ان الناس اذا كانوا يثمرون المال ((**بأفرادهم**)) لا ((**بمجموعهم**)) ، فمقتضى هذا ـ بداهة ـ أن الفرد انما يعمل فى مال ((**المجموع**)) لا فى مال خاص بفرد أو طائفة ، فقد قدمنا أن ليس ثمة من صفة للمرافق والموارد الا وصف ((**الملكية العامة**)) أو ((**ملكية الجماعة**)) .. فالفرد على هذا لا بد ((أن يبصر)) فى عمق انه اذ يعمل ، ويجد ، ويثمر ، انما يعمل ، ويثمر فى موارد الجماعة .. ولاقرار ذلك فى يقينه يجب أن يدرك أن ((**المواهب**)) فى الافراد هى فضل الله ، كما أن موارد المال هى محض فضله سبحانه ، فليس له أن يرى لنفسه فضلا فى تلك المواهب أكثر مما يرى لها من فضل فى موارد المال .. وأن يفهم ان المواهب ـ فى مجال الاقتصاد ـ انما هى وسيلة تثمير وتعمير ، لا وسيلة استعلاء وأثرة .. وانه سبحانه اذ وزع مواهب النفوس ، ووضع ملكات العقول فى شتى الافراد على أنماط متباينة الصنوف والمشارب انما أراد ما فعل ، وفعل ما أراد ، ليعم التثمير صنوف الموارد ، ويشمل التعمير شتى جوانب الحياة ، ويعمل كل فيما يسر له .. ويجب أن يبصر أن التنويع فى توزيع المواهب اذا قصد به عموم التثمير والتعمير ، فمصلحته هو مكفولة بذلك غاية الكفالة ، اى ان فضل مواهب غيره على صالحه الخاص ، لا يقل عن فضل مواهب نفسه فى ذلك .. واخيرا يجب أن يبصر ان مواهب المرء ـ مع أنها محض فضل الله عليه ـ أعجز من أن تخلق مالا أو تبدع مرفقا ، فهى وسيلة تثمير وتعمير فقط ، لا وسيلة ابداع وخلق ، فحالها حال السالب المحض من حيث ايجاد الارزاق ، وجهدها فيه لا يزيد على جهد اى حيوان لا حيلة له ولا موهبة ، والله سبحانه يقول : ((**وكأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها واياكم**)) فقوله سبحانه ((**الله يرزقها واياكم**)) ـ بعد ان نفى عنها ان تستقل فى رزقها بحيلة ـ يسلك الانسان واياها فى فطرة الاضطرار اليه جل شأنه اى يجعل حيلة الانسان ومواهبه الرائعة ، وسائل ملغاة أو معطلة لا يمتاز بها فى عالم الخلق من اى حيوان قاصر الحيلة أو لا حيلة له ..

تلك حقائق يجب أن يبصرها الانسان حتى تغدو فى يقينه بمقام أن السماء فوقنا ، والأرض تحتنا ، فاذا استعلنت له هذا الاستعلان ، اتضحت له حقيقة صلته بالمال ، وأنه انما هو عامل فى مال الجماعة ، وأن القدر الصحيح لمواهبه أنها وسائل تثمير وعمارة لا وسائل ابداع وخلق ..

٥ ـ انه اذ كان المال مال الجماعة ، والفرد عاملا فيه ، والمواهب وسيلة للتثمير ، فان ذلك يفضى الى حقيقتين :

الاولى : أن المواهب بمثابة اذن من الله للفرد ، أو تكليف له أن ينوب عن الجماعة فى تثمير الموارد ..

والثانية : أن تلك المواهب يجب أن تعمل جميعا ، وأن تمتد كل منها الى غاية مداها لتحقيق أهدافها .. فثمة الذكاء الذى يرجع الى تنظيم التثمير ، واستفادة الخبرة له من تكرار التجارب .. وثمة الطموح الدافع للامتداد ، والكشف ، وتطلب الكمال .. وهما - الذكاء والطموح - قائمان فى نطاق ((**استقلال الشخصية**)) الذى تمثله ((**حرية الاختيار**)) و ((**الارادة**)) المنبثقة عنه، وللاختيار والارادة أثرهما فى تعيين ميدان التثمير والتوجيه اليه .. فهذه كلها يجب ان تعمل ، وأن تمتد كل منها الى غاية مداها لتحقيق أهدافها .. فالطموح ، اذا كان ذا أثر فى اكثار الانتاج ، ودفع الذكاء الى تطويره ، فانه - أصلا - منبعث من مركز ((**الفردية**)) فى المرء ، مركز الارادة والاختيار ، منبعث لا ليحقق التثمير نفسه ، بل ليحقق رغبات ذاتية فى حصيلته ، هى أهدافه التى نيطت به، ولا يتم ذلك بداهة الا ان ينتهى مداه بتحقيق منطقه الازلى فى حيازة تلك الحصيلة .. **وذلك قطعا هو تمام سنة الله وارادته التى لا تجوز معارضتها ..**

٦ - ومن الحقائق التى تسلمها البديهة - بناء على ما تقدم - انه ما دام الفرد يتولى تلك النيابة بحق ما اهل به من مواهب ، فهى نيابة يمتد سلطانها - ولا بد - حتى يغطى آفاق المواهب جميعا، آفاق نشاطها وأهدافها، ابتداء من انبعاث موهبة ((**الاختيار**)) لاداء مهمتها فى تعيين نوع التثمير وميدانه .. وانبعاث ((**الارادة**)) للتنفيذ بتوجيه الذكاء والطموح ليعمل كل فى اختصاصه .. وامدادها بطاقات الشوق المتجددة .. وتسخير أعضاء البدن لخدمتها .. الى الانتهاء بالحصيلة الى مركز الانبعاث الأول .. أى يمتد سلطان تلك النيابة على حصيلة العمل فى حيازة المرء، امتدادها على الوان النشاط فى آفاق الموارد والتثمير ..

وقد تبدو تلك النيابة فى بعض الأذهان من قبيل الفروض الحسنة ، أو بدائع الشعر المستملحة ، وذلك لخمود الوجدان ، وقصور الهمة عن تحقيقها ، فلنعلم انها الحق الأزلى ، الذى لا يلبث ان يغدو قانونا ذا فاعلية وايجاب اذا المرء عمق له باطنه ، وكشف ما فيه من ملكات الرؤى والاستبصار .. والله يوجز ذلك كله فى جانب من قوله تعالى : ((**آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**)) فذلك الاستخلاف هو النيابة التى أسلفنا على ما قرره ائمة التفسير .

ووضع ذلك النائب أو الخليفة فيما يحرز ويثمر ، يتجرد ويتحدد بأنه ليس وضع المالك المطلق ، فانه انما يحرز مال الجماعة .. وليس وضع الحيوان الأعجم أو الآلة الصماء ، لأن مواهبه اذن من الله باحراز ما يثمر .. أو هى تكليف بذلك ..

٧ - ونخلص مما تقدم بحقيقة اخيرة هى بمقام المنطق الحتمى لسلسلة الحقائق السالفة ، تلك انه لا حق لأى فرد - اطلاقا - ان يكنز ما تحت يده من المال ، فيعطله عن التثمير ، ويحتجبه من دون أرباب الحق فيه ..

ولكن ، ماذا له فيه ؟. وماذا عليه للمجموع ؟.

ذلك هو ما حدا بالصحابة ان يسألوا سؤالهم السابق .. وقد أجاب عنه الاسلام فى نطاق الحقائق التى قدمنا بما نوجزه فيما يأتى :

- ٣ -

أولا : يفرض الاسلام على كل مالك لأنصبة معينة فى الذهب ، والفضة ، وعروض التجارة ، والماشية ، وثمار الزرع ، ونحوها ان يخرج عنها مقادير معينة ، مقررة فى كتب الفقه .. على أنها حد ادنى لما يجب لاقرار التوازن فى المجتمع .. وتلك الفريضة هى الزكاة المعروفة ..

ثانيا : ينفق المرء على نفسه ، وخاصته .. فى الحدود الآتية :

١ - الاعتدال فى ضرورات المطعم والملبس، والمسكن ، وقد جاء قوله تعالى فى ذلك : ((**كلوا من ثمره اذا أثمر - وآتوا حقه يوم حصاده - ولا تسرفوا**)) .. ((**كلوا واشربوا**

ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » .. على أن حد الاعتدال أمر اعتبارى ، يختلف باختلاف الاوساط ومستويات الدخل .. والله سبحانه يقول : « **لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله »** .

٢ ـ النفقة فى الكماليات مكروهة ـ وذلك طبيعى فى نطاق ما قدمنا ـ وقد رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عائشة ـ رضى الله عنها ـ وقد سترت حائطا لها بشىء فأزاله ـ عليه السلام ـ وقال : « **يا عائشة ان الله لم يأمرنا فيما رزقنا ، أن نكسو الحجارة والطين »** . ودخل أبو الدرداء على عبد الله ابن عمر اجابة لوليمة فرأى جدارا مكسوا بمثل ما تقدم فى حديث عائشة ، فقال : ما هذا يا بن عمر ؟ فقال فى شىء من الخجل : « هذا شىء غلبنا عليه النساء » .. فقال : « والله لا أطعم لك طعاما » .

٣ ـ النفقة فيما هو محرم ، محرمة قطعا ، فالنفقة فى الخمر والميسر ، وشراء آنية الذهب والفضة ، وما جرى هذا المجرى .. محرمة بالاجماع ..

والاسلام يرمى بذلك الى الاحتفاظ بحقوق المجتمع فى أموال الفرد ، وتجنيب مال الله ان ينفق فى معصية ..

واذا كان من ضرورات التوازن الاجتماعى ان تتقارب دخول الافراد ، فان من تلك الضرورات أن تتقارب فوارق النفقة .. فتضيق الشقة ـ مثلا ـ بين تلك التى تدفع فى تفصيل فستانها خمسمائة جنيه ، وتلك التى تدفع فيه خمسمائة مليم أو ثلاثمائة .. ولسنا بصدد احصاء ألوان السرف المحنقة ، فالمعروف منها يغنى فى التمثيل لما نريد ..

والاسلام بهذا هو الشرع الوحيد ـ بين الشرائع جميعا ، السماوية والوضعية ـ الذى جاء بتقييد النفقة على ما بينا ، ونسخ حرية الفرد المطلقة فيها ، حتى يقى مجتمعه شرور النهج الجاهلى الذى تجتمع معايبه فى قول قائله : « **أهلكت مالا لبدا** » على ماقدمنا.

ثالثا : ما يبقى بعد تلك النفقة فسبيله احد امرين :

١ ـ أن ينفق منه على من فى بيئته ـ وغيرهم جهد استطاعته ـ من ذوى قرابته ، وضعفائهم ، وذلك انفاذا لقوله سبحانه : « **ويسألونك ماذا ينفقون؟ قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والاقربين ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل »** .. وهو فى تلك النفقة ـ بطبيعة الحال ـ غير متفضل ، بل يؤدى واجبه فى ايصال الحقوق الى ذويها .. ثم ثم يثمر الباقى ، ولا يكنزه البتة .

٢ ـ ان ينفقه كله ، فانه هو الذى جاء فى قوله تعالى : « **ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو »** فان العفو فى الآية الكريمة هو ما فضل من مال المرء بعد نفقته على نفسه وخاصته . نقل ابن كثير عن ابن عباس وابن عمر ، ومجاهد وعطاء وعكرمة وجماعة من كبار التابعين انهم قالوا فى قوله تعالى : « **قل العفو** » انه هو الفضل الذى يفضل عن أهلك ، وروى قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **ابن آدم ، انك ان تنفق الفضل ، خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف »** . ومدلول الآيات والأحاديث يرجع هذا القول .

* * *

ونعود فنذكر بأن فهم تلك الآيات والأحاديث فى ظل مواريثنا القائمة التى خلفتها عهود الفساد والفوضى ، يقصر بنا عن ادراك حقيقتها ، ويبديها كأنها أمر لا يساير طبيعة النفس ، ولا نواميس العمران .. فعلينا أن نحرر منطقنا ووعينا من آصار تلك المخلفات، لينكشف لبصائرنا ما غاب خلفها من جمال الحق واشتراكيته السمحة .. وليكون لنا ذلك الضمير النقى الذى يتحرج أن يمد يده الى فضل المال ، قبل أن يعرف ما يكون موقعه من مرضاة الله .. وعلينا أن نذكر أخيرا أن جرثومة العلة كامنة فى البون الشاسع بين رجل ينظر فى ماله الى مرضاة الله .. وآخر ينظر فيه الى مرضاة هواه ونفسه .. والله يهدينا جميعا سواء السبيل .

مشروعية النضال فى تحرير الشعوب العربية

حربنا فى اليمن مشروعة
من وجهة نظر القانون الدولى
ومن وجهة نظر الشريعة الإسلامية

المستشار على على منصور

استميح القارىء عذرا فى أن أقطع عليه سلسلة المقالات عن المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام للتحدث عن أمر من أمور الساعة اختلفت فيه الآراء وهو حربنا فى اليمن وهو أمر وثيق الصلة أيضا بموضوع المقالات المسلسلة ..

ثارت بين الناس فى هذه الأيام مناقشات حول الحرب التى تدور رحاها فى اليمن ، بين قوات الشعب اليمنى وقوات الجمهورية العربية المتحدة من جانب ، وبين فلول الملكية الرجعية الباغية ومن ورائها قوات الاستعمار من الجانب الآخر . وقد يشتد هذا النقاش فيصل الى حد الجدل والمراء وقد يهون حتى يصل الى حد التخافت بالهراء ، فأردت أن القى بهذه الكلمة عسى أن يكون فيها غناء :

والراى عندى ان كل نضال فى سبيل تحرير الشعوب العربية نضال مشروع ، وان قواعد القانون الدولى العام وقواعد الشريعة الاسلامية ، كلاهما يقضى بمشروعية الوقوف فى جانب الشعب اليمنى ومحاربة أعدائه ، وذلك من عدة أوجه :

أولها : أن بين مصر وبين اليمن محالفة وعهد يقضى بتبادل المعونة العسكرية ، ولا يعترض على ذلك بأن المعاهدة عقدت فى عهد الملكية الامامية فى اليمن . وذلك لأنها عقدت بين دولتين ، اليمن من ناحية والجمهورية العربية المتحدة من ناحية أخرى ، ولا يهم بعد ذلك أن يتغير نظام الحكم فى اليمن من ملكى الى جمهورى ولا أن تنفصم الوحدة بين مصر وسوريا . لأن تغير نظم الحكم فى الدول أمر داخلى تختص به الشعوب ، فلكل منها حق اختيار نظام الحكم وتغييره من حال الى حال ، دون أن يترتب على ذلك سقوط الحقوق والواجبات التى ترتبت بمقتضى الاتفاقات والمعاهدات . هكذا تقضى قواعد القانون الدولى العام كما تقضى قواعد الشريعة الاسلامية : « **وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا** » « **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** » . هذا ونحن على كل حال قد اعترفنا بالوضع القائم فى اليمن ، احتراما لارادة الشعب كما طلبت الجمهورية اليمنية تجديد المحالفة وأجبناها الى ذلك .

وثانيها : ان اليمن أصل العروبة ومهدها الأول ، فهى بذلك الدولة الأم بالنسبة لباقى الدول العربية ، ويقتضينا الأمر فى هذا المقام الرجوع الى التاريخ فنستوحيه الأدلة .

والتاريخ يحدثنا بأن اليمن كانت مهد حضارة وتوحيد وديمقراطية وجماع ذلك كله تشهد به قصة بلقيس مع سليمان وقد ورد ذكرها فى الكتب السماوية ويكفينا ما ورد فى القرآن الكريم من أنها لما وصلها كتاب سيدنا سليمان لم تنفرد بالبت فيه بل طلبت المشورة والرأى من قومها : « **قالت يأيها**

الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون . قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين . قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » سورة النمل ٣٢-٣٤ .

ويحدثنا التاريخ أيضا بأن العرب من قبيلة جرهم باليمن هم أول من سكن مكة قبلة المسلمين جميعا، وذلك أنه لما أمر الله سبحانه وتعالى ابراهيم - عليه السلام - أن ينقل زوجه هاجر وابنها اسماعيل الى مكان البيت فصدع بأمر ربه ، ولما هم بالرجوع تاركا وراءه زوجه وولدها الرضيع فى ذلك المكان القفر الذى لم يكن يسكنه أحد اتجه الى ربه فى ضراعة وخشوع يسأله رعايتهما : **« رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »** . وهناك تبعته هاجر تسأله الى من تركتنا ؟» فقال : أتركُكما لله .. قالت : رضينا بجوار الله . ولما نفد الماء من شقتها وجف ضرعها وأشرف رضيعها على الموت ، خرجت ملتاعة تهرول بين الصفا والمروة ، لما غرر بها السراب فحسبته ماء ، ولما يئست تداركت الوليد رحمة الله ، فهمز بعقب قدمه فنبع الماء من الأرض وفاضت به بئر زمزم ، وكان من وراء الجبال التى تحيط بهذه البقعة المباركة مسير قوافل العرب ، تخرج من اليمن وتعود اليها من الشام ، تصل متاجر الشرق بمتاجر الغرب ، فى رحلة الشتاء والصيف ، فلفت نظر احدى هذه القوافل حومان الطيور وراء جبل أبى قبيس، فعجب السيارة لذلك ، اذ أن الطيور لا تحوم الا حول المياه . وهم يعلمون أن هذا البلقع ليس فيه ماء ، فمالوا يستطلعون الخبر ، واذا بهم يجدون بئرا لا عهد لهم بها وعليها هاجر وابنها اسماعيل ، فعدلوا طريقهم فى الرواح والغدو بحيث يعرجون عليها ليستقوا ويستريحوا ، ثم جاء رهط من قبيلة جرهم من عرب اليمن فسكنوا هذه البقعة باذن من هاجر واسماعيل . ولما أن أقام ابراهيم واسماعيل البيت **« الكعبة »** بأمر من الله تزوج اسماعيل من نساء جرهم يمنى الأصل وكان من نسله الشريف خير خلق الله وخاتم رسل الله محمد بن عبد الله ، حيث يقول فى الحديث الشريف : **« أنا ابن الذبيحين »** يقصد والده عبد الله وجده اسماعيل .

وثالثها : أن الاسلام حدد معالم القومية العربية مبتدئا بالدولة الأم ، وذلك أنه لما عم الاسلام الجزيرة العربية وقامت دولته الأولى كتب الرسول - عليه الصلاة والسلام - الى رؤساء الدول المعروفة اذ ذاك ينبئهم بذلك ويدعوهم الى الدخول فى الدين الجديد ، كتب الى كسرى فارس وملك الروم والمقوقس عظيم القبط بمصر والى نجاشى الحبشة والمنذر بن ساوى فى عمان وأمير بصرى فمنهم من رد ردا حسنا ، ومنهم من والى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو هاداه فكان ذلك بمثابة اعتراف بالدولة الجديدة . ومنهم من مزق الكتاب وهو كسرى ، ومنهم من قتل حامل الكتاب ، وهو شرحبيل الغسانى، فكان ذلك عداء سافرا وبمثابة اعلان الحرب على الدولة الاسلامية ، بل ان أمراء العرب من المناذرة والغساسنة الموالين للفرس والروم اعتدوا على من أسلم من قبائلهم وممن جاورهم وفتنوهم فى دينهم . فوجبت الاغاثة والنجدة على الدولة الاسلامية لهؤلاء المستضعفين فبدأت الحرب مؤتة والشام وانهارت الدولتان العظيمتان ، وشرق الاسلام الى أن وصل شمال الصين وجنوب روسيا وغرب فشمل مصر وشمال افريقيا وبلغ الاندلس ووصل الى وسط أوروبا . ومن هذه البلاد من انصهر فى بوتقة الدعوة الجديدة فغدا الاسلام دينها والعربية لغتها ، ويحدها شرقا الخليج العربى وغربا المحيط الأطلسى . ومن فقهاء الاسلام من قصر القومية العربية على هذه الحدود ، فشملت فى رأيه الجزيرة العربية كلها بما فيها اليمن وما جاورها والعراق والشام وشمال افريقيا . وهذا هو رأى الامام ابن تيمية ، ويذهب غيره من الفقهاء الى أن القومية العربية أوسع مدى وأرحب صدرا . اذ هى تشمل كل بقعة من الأرض لانت ألسنة بعض سكانها للعربية فنطقوا بها

ولو لم يحسنوها ، ما داموا قد اتخـذوا الاسلام دينا ، وعلى هذا الرأى تدخـل اندونيسيا والملايو والباكستان والافغـان وايران بل وكل دولة أخرى دخلها الاسـلام واللغة العربية ولو على لسان قلة من أهلها . تدخل كل هذه الدول فى نطاق القوميـة العربية . هذا فمن المسلمات أن الأمة العربية والقومية العربية تمتد شرقا من الخليج وغربا الى المحيط مهما فعلت بين أقطارها الحدود المصطنعة والفواصل الاستعمارية ، وصـدق الله فهو القائل : ((**ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** »

فالقومية العربية حقيقة واقعة لم يتحقق لغيرها من القوميات ما تحقق لها من مقومات فاللغة واحدة والدين الغالب واحد والأصل فى الجنس واحد ، وظلت طوال الأحقـاب متميزة بارزة الى أن وفد عليها العنصر التركى ونقل الخلافة الاسلاميـة الى عاصمته فى الاستانة ، ولم ينصهر هذا العنصر فى بوتقـة العروبة — رغم دخوله فى الاسلام — على نحو ما حدث للقبط فى مصر والبربر فى شمـال افريقيا وغيرها من الشـعوب التى تأقلمت بالاسلام والعروبة معا . وظل الاتراك حكاما للفلاحين فى مصر وغيرها من البلاد العربية ، يميزون انفسهم بعنصرية مرذولة وعنجهيـة قبلية متعالية ، فلم يعنوا بالثقافة الاسلامية الدينى منها والعلمى لعدم اتقانهم للغة العربية فقفل باب الاجتهاد ، وظن الأجانب ان الدين الاسلامى لا يتسع لمشاكل العصر ، وأهملت العلوم العصرية ، ولم يكن بمصر فى القـرن الماضى سـوى الكتاتيب لتحفيظ القـرآن واتخاذه وسـيلة للشحاذة والاستجـداء والشعوذة ، وهكذا كان الحال فى جميع البلاد العربية ابان الحكم التركى ، ومنها اليمن .

ولما ضعفت دولة الخـلافة التركية وباتت فى حالة نزع أطلق عليها لقب الرجل المريض وسمح مؤتمر الدول بأوروبا بقبـول تركيا عضـوا به عام ١٨٥٦ ، حتى اذا ما قضت نحبها اقتسموا التركة . وهو ما حـدث اذ بانهزام تركيا فى الحرب العظمى الأولى قطعوا أوصال الأمة العربية وابتدعوا نظرية الانتداب وانتدبت كل من الدول العظمى على جزء من أجزاء الأمة العربية ، فانتدبت انجلترا على العراق وعلى فلسطين فبرت بوعدها لليهود وانشأت هى وأعوانها وطنا لليهود فى اسرائيل. كما انتدبت فرنسا على سوريا ولبنان وكانت تسيطر من قبل على المغرب العـربى تونس والجزائر ومراكش . وكانت انجلترا تحتـل مصر والسودان . وكانت ايطاليا قد استقرت فى ليبيا — أما الحجـاز فلم يستطيعوا ان يندبوا له دولة غير اسلامية لادارته خشـية هياج الرأى العام الاسلامى ، فاصطنعوا لذلك الصنائع من أذنابهم فأمدوا عبد العزيز آل سعود وأتباعه من الوهابيين بالمال والعتـاد وأعانوهم على حكم نجد والحجاز وهكذا حقت نبوءة رسولنا — صلى الله عليه وسلم — حيث قال : « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم كمـا تتداعى الأكلة الى قصعتها ، قالوا : أمن قلة فينا يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغثاء السيل ينزع الوهن من قلوب أعدائكم ويوضع فى قلوبكم من حبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**)) .

ورابعها : ان الدول المنتدبة تبارت فى القضاء على مقومات القومية العربية من لغـة ودين فحرموا تعليمهما بالمدارس وانتشرت اللغـة الايطالية فى ليبيا حتى صارت لغة التفاهم بين العامة ، وكذلك الحال بالنسبة للغة الفرنسية فى تونس والجزائر والمغرب الى ان قيض الله لهذه الأمة العربية زعيما خالص العـروبة عميق الايمان . قام يدعوها بدعـوة الله : ((**ان هذه أمتكم أمة واحدة**)) فأخذ يجمـع شمل شعوبها ويذكرهم بأمجادهم ، فاستقلت مصر ، وبعدت الشيوعية عن سوريا ، واستقلت تونس والمغرب والجزائر ، بعد أن أمدتها مصر بالمال والسلاح وكل أنواع العون والمدد .

اما اليمن الدولة الأم للعروبة فظلت علـى ما كانت عليه من تأخر أيام الاتراك ، ثم زاد الطين بلة ان تولى الحكم فيها أسرة حميـد الدين فعمت الجهـالة والمـرض والفقر وانعدمت الحريات ، وانتشر الظلم واحتكرت على الناس أرزاقهم ومعايشهم ودفعوا الـى

الادمان على المخدرات دفعا حيث كانت مزارعها ملكا للأئمة الحاكمين فى اليمـــن ، وانعدمت العدالة فالاتهامات تلقى جزافا ويلقى الأبرياء فى غيابات الجب وليته كجب يوسف بئر غاض ماؤه بل هو جب يحـــوى الأفاعى والهوام — حرم الأئمة الظلمة أفراد الشعب اليمنى لقمة العيش وخصوا انفسهم بالثراء وركزوه فى الذهب ونقلوه الى خارج البلاد فحل للشعب اليمنى أن يقاتل حاكمه على حقوقه اذ الرسول — صلى الله عليه وسلم — يقول : **« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »** واول خليفة له يقول : أطيعونى ما أطعت الله فيكم . والمسلمون الأوائل يقولون لعمر بن الخطاب : والله لو وجدنا فيك اعوجاجـــا لقومناه بحد السيف ، فيقرهم على ذلك ويحمد الله على ان جعل فى أمة محمد من يقـــوم اعوجاج عمر بحد السيف .

هذا ومن حقوق المسلم على الدولة تساوى الفرص فى العمـــل فان قصرت أبواب العمل عن أن تكفى الجميع فافتقر البعض فرزق من افتقر ورزق عياله فى بيت مال المسلمين والا فان سرق لمأكله فلا حد عليه ، وهذا خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز يأمر خازن بيت المال بعد ان سدت حوائج الفقراء والمساكين وأصحاب المصارف الشرعية وفاض الكثير من المال ، بعد ذلك يأمر خزنة بيت المال بأن يؤدوا الدين عن المدينين الغارمين ، فيقال له يا أمير المؤمنين انا نجد للرجـــل دارا وفراشا وفرسا فهل هو من الغارمين ؟ فيقول لهم : لا بد للمسلم من دار تؤيه وفراش ياوى اليه وفرس يغزو عليه فان كان مدينا فهـــو غارم وأدوا الدين عنه .

أفلا نستطيع بعد هذا الاستشهاد أن نقطع باطمئنان ان ثورة أهل اليمن ضد حكامهم وجلاديهم ثورة مشروعة ، وأن نصرتهم واجبة على جميع المسلمين ، سواء اطلبوا هذه النجدة ام لم يطلبوها ، فالله يقول فى محكم آياته : **« وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر »** فاذا ما انعكست الآية فى رءوس حـــكام السعودية والأردن ، فبدلا من أن يخفوا لنجدة شعب اليمن راحوا يعتدون عليه مستعيثين فى ذلك بسلاح وعتاد من دول الاستعمار ، كانوا بذلك متنكبين سبيل الاسلام السوى .. باغين على هؤلاء المستضعفين من شعب اليمن ووجب على الأمة العربية جمعاء قتالهم حتى تخلوا أرض الاسلام منهم ، فجزاء البغـــاة بنص القرآن : « **أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خـــلاف أو ينفوا من الأرض »** .

عند ذلك اضطر شعب اليمن وثوار اليمن أن يستنجدوا بحليفتهم الجمهورية العربية المتحدة لرد قوى الظلم والبغى التى تريد أن تعيدهم سيرتهم الأولى من الذل والحرمان والظلم والهوان . فوجبت علينـــا الاغاثة والنجدة لما سبق ذكره ولقول الله تعـــالى : **«ومالكم لاتقاتلون فىسبيل الله والمستضعفين — أى وفى سبيل المستضعفين — من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا »** .

ورب معترض يقول ان هذه الآية على قول بعض المفسرين نزلت فى شـــأن المسلمين المستضعفين الذين كانوا فى دار الشرك بمكة ولا يســتطيعون حيلة ولا يهتدون ســبيلا للخروج منها . والرد على ذلك سهل يسير بما قاله الأصوليون من أن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب ، وقد مر بنا القول بأن من حق المسلم أن يقاتل حاكمه على قوته وعلى بقية حقوقه فمانع هذه الحقوق ظالم ، ومن حيل بينه وبين حقـــوقه مستضعف تجب نصرته واغاثته .

هذا كله فضـــلا عما أوجبه الله علينا من التدخل بين كل طائفتين من طوائف المسلمين قام بينهما القتال ويكون تدخلنـــا لتاديب الطائفة الباغية ، والله سبحانه وتعالى يقول : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطـــوا ان الله يحب المقسطين » .

المجتمع الإسلامي بين الرجعية والتقدمية

٣ - مبادئ اشتراكية

الدكتور محمد بيصار

فى استعمالى لكلمة « اشتراكية » هنــا ، وبصدد الحديث عن اشتراكيات أربع (كمـا أشرت اليه فى مقالى السابق) كوجوه مختلفة لاشتراكية واحدة ، وكجماع لعناصر الاصلاح الأساسية فى مجتمعنا الجديد ، لا أعنى ذلك المعنى العلمى ــ كما يراه «كارل ماركس» . ولا ذلك النظام الاشتراكى المطبق فى بريطانيــا مثلا ، ولا الاشتراكية المتطرفة كما هى ممثلة فى المذهب الشيوعى كنظام اجتماعى . وانما أساير هذه المذاهب فى مجرد التسمية لا فى مدلولها الاصطلاحى أو مفهومهـا العلمى . وذلك لشيوع استعمال الكلمة فى أى نظام اصطلاحى تقدمى يرمى الى تحقيق العـدل الاجتماعى وازالة أسباب الشحناء بين أفراد المجتمع الواحد ، مع اختلاف النظم وتغاير المدلولات .

وما سأعرض له فى هذا الصدد كمظهر من مظاهر النهوض والتقدم فى المجتمع الاسلامى، وعامل من عوامل الدفع القوى المتوثب الى الأمام ، ليس نظاما مستوردا من هنا أو من هناك ، وانما هو نظام تقتضيه ضرورة الحياة لمجتمعنا العربى والاسلامى معا ، وتتطلبـه ظروفهما الراهنة ليمضيا قدما الى آماليهما وأمانيهما بخطى فسيحة وعزم أكيد وايمان راسخ .

ثم لا يعنينى بعـد ذلك أن أسميـه « اشتراكية » أو « مبادىء اصلاحية » أو « نظاما اسلاميا » ، ما دام الغرض منه بينا ، والقصد منه واضحا .

وانما الذى يعنينا ونضعه فى محل الاعتبار الأول بيان مدى ملاءمة ذلك أو عدم ملاءمته لروح الاسلام وسمو أهدافه .

١ ــ الاشتراكية فى النشأة وتكوين الجماعات:

أما اشتراك الناس جميعا فى نشأتهم الأولى، وفى أصل وجودهم فقد قرره الاسلام فى أكثر من مناسبة سواء كان ذلك فى نصوص القرآن الكريم أو فى السنة المطهرة . وكان منهج الاسلام فى تأكيده واضحا ، وهو لفت نظر الناس على اختلاف أجناسهم وأديانهـم ولغاتهم الى أن أصلهم واحد ، لا فرق بين حاكم ومحكوم ، ولا بين غنى وفقير أو عظيم وحقير . وذلك ما يقرره الحق جل وعلا فى قوله فى الآية الأولى من سورة النساء :

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة واخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » وقوله فى الآية العشرين من سورة الروم : **« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » .**

وارجاع أنواع البشر الى أصل واحد هو « آدم » الذى عبر عنه « بالنفس » فى الآية الأولى لا يتنافى مع ارجاعهم لأصل واحد هو « التراب » كما تفيـده الآية الثانيـة أو « الطين » كما يستفاد من آيات كثيرة أخرى. غاية ما هنالك أن الآية الأولى تكفلت ببيـان الأصل المباشر أو الثانى وهو « آدم » بينما تكفلت الآية الثانية ببيان الأصـل البعيد أو الأول وهو « التراب » .

وقد ربط الأصلين معا ، بعيدهما وقريبهما حديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ **« كلكم لآدم ، وآدم من تراب » .**

ولهذا كانت عناية القرآن بتأكيد الأصل الأول » أكثر من عنايته بتأكيد « الأصـل الثانى » . حيث كثر فيه تكرار خلق الانسان من الطين وهو التراب الرطب كما فى الآيات السادسة من سورة الأنعام والسابعـة من

سورة الأعراف والثانية والثلاثين من سورة السجدة :

« هو الذى خلقكم من طين » . « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » . « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين » .

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا المقام أن تقرير القرآن والسنة - كذلك - لهذا الأصل غالبا ما يقترن بكلمتى « الخلق » « ومن » المقيدتان لمعنى الاشتقاق من هذه المادة ، بينما فى مقام الأصل الثانى أو القريب وهو آدم اكتفى القرآن - الا فى القليل - بالتنويه ببنوة الناس جميعا لآدم ، لا بخلق الناس من آدم . وربما استشعر هذا المعنى أيضا من عبارة حديث الرسول المتقدم :

« كلكم لآدم ، وآدم من تراب » .

ولما كانت طبيعة الأصل واحدة ، ومبدأ النشأة الأولى للبشرية عنصرا مشتركا بين الناس جميعا ، كان من الطبعى أن ينتج عن هذا الاشتراك أيضا فى الصفات العامة التى عدها الاسلام لازمة لطبيعة الانسان ، وطابعا عاما لبشريته ليجتمع الاشتراك فى الأصل وفى الصفات المترتبة على هذا الأصل ، امعانا فى الاشعار بوحدة النشأة ، وتأكيدا لمعنى المساواة . فمن هذه الصفات :

أولا : نزوع الانسان الى الشر اكثر من نزوعه الى الخير : **«ان النفس لأمارة بالسوء»**

ثانيا : هلعه عند نزول الكوارث به ، وبخله على الناس بما عنده عند فيضان النعم عليه .

« ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا » .

ثالثا : البغى والطغيان عند الاحساس بالاستغناء :

«كلا . . ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى»

رابعا : نسيان الله ، والاعراض عنه ، والبعد عن طريقه ، عندما تغمره نعمه ، أو يصيبه خير عميم ، ثم الاقبال على الله والالتجاء اليه بالتضرع والدعاء ، وطلب النجاة عندما يصيبه شر ، أو يحيق به مكروه :

« واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه ، واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ».

خامسا : كفران نعمة الله وفضل الناس عليه :

« قتل الانسان ما أكفره » . « ان الانسان لظلوم كفار » .

سادسا : الاستعجال فى طلب تحقيق ما يريد :

« . . وكان الانسان عجولا » « خلق الانسان من عجل ، سأريكم آياتى فلا تستعجلون » .

كل هذه الصفات وغيرها مما هو مشترك بين بنى الانسان كافة ، من شأنها أن تؤكد المعنى الذى أراده الله سبحانه من تقرير وحدة الأصل والنشأة وهو اشعار الناس جميعا - أفرادهم وجماعاتهم - بأنهم من طبيعة مشتركة فيها يتساوون ، ومنها ينحدرون ، بل واليها يرجعون .

فاذا ما وقر هذا المعنى فى نفوسهم ، واستكن فى قلوبهم ، كان من الضرورى أن يتولد عنه شعور بالمحبة والاخاء ، وبأن الجميع مهما تباعدت ديارهم ومهما وجد بينهم من حواجز جغرافية ، أو اختلافات لغوية أو اقليمية ، أفراد أسرة واحدة ، هى الانسانية ، وأبناء لأب واحد هو آدم وأم واحدة هى حواء .

فعليهم اذن ، أن يكون تصورهم لحياتهم على ظهر هذه الأرض تصور الأسرة الواحدة لحياتها فى البيت الواحد، أو المدينة الواحدة. هذا التصور الذى يعكس فى نفوس الجميع - لا محالة - ترابط المصالح ، والاشتراك فى الضر والنفع ، ويقضى بالتعاون والتعاطف والتحاب ، وتبادل الأحاسيس والمشاعر . وعندئذ تصير الجماعة الانسانية فى كافة بقاع العالم ، وقد تماسكت وتراصت وتفاعلت فى مصالحا ، وسرائها وضرائها ، وعندئذ أيضا يسود السلام وتعم المحبة ويخلص الناس مما يخلقون بأيديهم من شرور وآثام .

والى هذا المعنى يشير القرآن الكريم بقوله :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

وهذا المعنى نفسه هو الذى قرره الرسول الأكرم — صلى الله عليه وسلم — حين قال :

« المؤمن آلف مالوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس » حيث لم يقل — عليه السلام — وخير المسلمين — مثلا — أنفعهم للمسلمين .. كما لم يقل وخير المسيحيين أنفعهم للمسيحيين ، وانما قال : « وخير الناس انفعهم للناس » ايذانا بأن الترابط الانسانى ، والاخاء البشرى يجب أن لا تقف دونه حدود أو فواصل ، وأن لا يحول بيننا وبينه اختلاف الألوان أو الأجناس ، وانما يجب أن يتبادل الناس جميعا النفع ، وأن يتعاونوا فيه بصرف النظر عن كل ما تقدم من اعتبارات عنصرية أو لغوية أو جغرافية أو دينية .

على هذا المستوى الدولى ، وفى صعيد عالمى ، يقرر الاسلام المبدأ الانسانى العام :

اشتراكية الأصل ، ووحدة النشأة .

٢ — اشتراكية العقيدة :

غير انه قد تتميز فئة من الناس عن فئة اخرى بميزات وخصائص تربط أفرادها برباط أوثق ، وتضم الىهذا الرباط الانسانى العام — بالنسبة لها وحدها — رباطا ، أو عدة روابط خاصة ، كوحدة الدين ، ووحدة اللغة ، ووحدة التاريخ والمصالح المشتركة ، والمصير الواحد . وحينئذ يتكون من هذه الفئة أو تلك مجتمع معين ، له خصائصه ، وله مصالحه . ويكون التماسك بين افراد هذا المجتمع أقوى ، والتعاون بينهم اشد ، لما يتوافر فيهم حينئذ من مقومات المجتمع الواحد .

وفى مثل هذه المجتمعات يتحقق النوع الثانى أو الوجه الثانى من وجوه الاشتراكية وهو « اشتراكية العقيدة » ، سواء كانت عقيدة دينية ، او عقيدة اجتماعية ، أو عقيدة وطنية . فكل واحدة من هذه تصبح طابعا مميزا لهذا المجتمع أو ذاك ، وتبلغ فى نفس افراده مبلغ القداسة والاحترام بحيث يعتبر الخارج عليها مارقا فى نظر الجماعة ، يستحق ما تفرضه قوانينه وتشريعاته من عقوبات ، مادية كانت او ادبية . لأنه بهذا الخروج سيكون عاملا من عوامل تقويض ركن من اركانه ، ودعامة من دعائمه .

فالمجتمع العربى ، او المجتمع الاسلامى مثلا ، يكون الترابط بين أفراده بعضهم وبعض اقوى بكثير من الترابط بينهم وبين أفراد مجتمع آخر لا يجمعه به الا الرباط الانسانى العام . وهكذا يتفق أفراد المجتمع الواحد فى كل وجه من وجوه حياتهم فيسلكون الى غايتهم المشتركة منهجا واحدا ويسيرون اليها وقد تضافرت قواهم وتعاقدت خناصرهم . وعندئذ يكون مثل الأفراد فى هذا المجتمع كما قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — **« كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** .

٣ — اشتراكية الهدف :

والمجتمع الذى يشعر كل فرد من افراده بهذه الروابط الوثيقة بينه وبين بقية الأفراد ، لا بد أن يسود أفراده جميعا الشعور — أيضا — بالاشتراك فى « الهدف » . والهدف لأى جماعة من الجماعات انما هو ترقيتها ، والسير بها الى حياة أفضل ، وتوفير كل ما يحفظ بقاءها ، ويسد اوجه النقص فيها ، ويعود عليها بالنمو والكمال فى محيطها الفكرى والمادى ، والروحى .

فاذا ما تساوى افراد المجتمع فى الشعور بهذا الهدف تولد عن ذلك شعور أقوى واشد بوجوب التعاون والتفانى فى تهيئة الأسباب الطبيعية ، والأسس الضرورية لتحقيق هذا الهدف .

ولا يناسب مجتمعا هذا شأنه ، وتلك غايته ، أن توجد بين أفراده « طبقية » ، أو ينحرف بهم الهوى الى استغلال بعضهم لبعض ، أو تقعد بهم الأنانية وحب الأثرة عن البذل فى سبيله ، والتضحية من أجل رفعته واعلاء شأنه .

وبالتالى لا يناسب مجتمعا هذا شأنه وتلك غايته ، أن يستبد بعض أفراده بالبعض

الآخر حكاما كانوا او محكومين ، ملاكا او مستأجرين ، ثم لا ينبغى أن تثور بينهم الشحناء والبغضاء من أجل مركز ، مهما سما ، أو ثروة مهما كثرت ، أو جاه مهما قوى .

وانما الذى يناسب مثل هذا المجتمع – سواء فى طبيعته او فى طريقه الى غايته المشتركة – أن يشكل حياته ومختلف النظم فيه على أسس ، تعاونية ، ديمقراطية ، اشتراكية .

فمن الشعور بحاجة كل فرد الى الآخر فى الحياة العملية وفى تحقيق الغاية المشتركة تتولد ضرورة « التعاون » .

ومن الشعور بالأخوة وتحقيق ذاتية الفرد فى اطار الأسرة الواحدة ، وبالمساواة فى الحقوق المشروعة والواجبات المقررة ، تتولد طبيعة « الحكم الديمقراطى » .

ثم فوق هذا او ذاك ، بدافع مما تقدم وصيانة للمجتمع عن نيران الحقد الناشىء عن التفاوت فى الثروات واستغلال الأغنياء لجهود الفقراء ، تكون ضرورة « العدالة فى توزيع الثروات ، والحد من تضخمها فى يد افراد دون آخرين » .

وكذلك ضرورة توجيه راس المال – سواء كان فرديا او جماعيا – لما يعود على المجتمع بأطيب النتائج وأوفر الثمرات .

٤ – اشتراكية الوسيلة :

غير ان أفراد المجتمع الواحد قد يختلفون فى وجهات نظرهم ، وفى مبلغ تقديرهم للامور وادراكهم لسلامة المنهج وصحة الوسيلة او الوسائل التى قد تتخذ للوصول الى الغاية المشتركة .

وهنا يثور الخلاف بينهم حول اتخاذ هذه الوسيلة أو تلك ، وحول اختيار هذا الطريق او ذاك .

هذا الخلاف ، وان كان لا يؤثر فى علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، اولا : لأنه مشفوع بحسن النية ، وسلامة القصد ، وخيرية الارادة . وثانيا : لانه لا يعدو ان يكون خلاف افراد اسرة واحدة على تصميم البيت وتنظيم ما به من اثاث ، ولكنه يؤثر قطعا تأثيرا عكسيا فى تحصيل الهدف ويعوق الوصول اليه نتيجة لاختلاف الوسائل وبعثرة الجهود . وقد يزداد ذلك احيانا ويتسع نطاقه ، الى حد ان أسلوبا من الأساليب يتعارض مع اسلوب آخر ، او جهدا من الجهود يذهب بجهد آخر . وعندئذ يعظم الخطر وتشتد المحنة ، ويكون ضياع الهدف بين التيارات المنهجية المختلفة اقرب من تحقيقه بها .

فتحرى الوسائل الفعالة – اذن – وتوحيد الجهود المخلصة مقومان هامان لاشتراكية الوسيلة ، التى هى ضرورية لسلامة المجتمع من الانهيار والتفكك ولتحقيق أهدافه العليا وغاياته البعيدة .

وليس من الضرورى أن تكون الوسيلة بسيطة او مكونة من عنصر واحد . ولكنها فى ذاتها كما يمكن أن تتمدد فى خط مستقيم واحد ، يمكن كذلك ان تتمدد فى عدة خطوط متوازية تنتهى اطرافها الى الهدف وتجتمع عليه .

وقد ورثنا نحن ابناء هذا الجيل الحاضر عن الأجيال الماضية فى مجتمعاتنا الاسلامية عامة والعربية خاصة العدد العديد من المشاكل الاجتماعية ، والأساليب الملتوية ، والأفهام المنحرفة لمعظم القيم الانسانية والمقاييس الأخلاقية . فكان من الضرورى – اذن – أن تتمثل فى « اشتراكية الوسيلة » مجموعة من العناصر الأساسية التى تبنى عليها القواعد الأولى ، ومنها تتخذ نقطة البدء فى بناء مجتمعنا الجديد . وكان من الطبعى كذلك ان يكون كل عنصر من تلكم العناصر وجها من وجوه الاصلاح فى هذا المجتمع وجدولا من جداول حياته .

وعندئذ يحق لنا أن نقول : ان « اشتراكية الوسيلة » بهذا المعنى ، وعلى هذا النحو ، ليست الا العمود الفقرى ، او مصدر القوة المؤثرة ، والحركة الدائبة فى اشتراكيتنا العربية ، وفى الاطار العام لمجتمعنا الجديد .

« يتبع »

تعدد الزوجات في تاريخ الحضارة الإسلامية وفي شريعة الإسلام ومبرراته الطبيعية والعمرانية

الدكتور على عبد الواحد وافى

كان نظام تعدد الزوجات سائدا قبل ظهور الاسلام فى كثير من شعوب العالم ، وخاصة فى الشعوب الآرية والسامية . فمن الشعوب الآرية التى أخذت به شعوب الصقالبة أو « السلافيين » التى ينتمى اليها معظم أهل البلاد التى نسميها الآن – روسيا وليتوانيا وليتونيا واستوانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا – ومنها كذلك الشعوب الجرمانية والسكسونية التى ينتمى اليها معظم أهل البلاد التى نسميها الآن – ألمانيا والنمسا وسويسرا وبلجيكا وهولاندا والدانيمرك والسويد والنرويج وانجلترا – ومنها كذلك الشعوب الهندية القديمة ، وقد أقرته ديانتهم البرهمية ، كما تدل على ذلك مواد الكتاب الثالث من قوانينهم المقدسة وهى « قوانين مانو » . ومنها كذلك الشعوب الايرانية ، بل لقد حثت الديانة الزرادشتية – وهى ديانة الايرانيين قبل الاسلام – على تعدد الزوجات « ليكثر النسل ، ويزداد عدد الجيوش المجاهدة فى سبيل نشر النور » ، حسب تعبير أسفارهم المقدسة ، وهى أسفار « الأبستاق » . ولا نكاد نعثر على شعب من الشعوب السامية القديمة ، لم يأخذ بهذا النظام . فقدسار عليه العبرانيون فى أقدم عصورهم ، وجاءت الشريعة اليهودية فأقرته فى أسفار العهد القديم وأسفار التلمود وسار عليه كذلك العرب فى الجاهلية مع اختلاف بين قبائلهم فيما يتعلق بعدد الزوجات اللاتى يباح الجمع بينهن . ويظهر أن بعض قبائلهم كان يقف عند حد الأربع أو مايقرب منه ، على حين أن معظمها كان غير مقيد بعدد أو كان العدد المقيد به يتجاوز هذا النطاق ، فربما كان لديهم فى عصمة الرجل ثمان نساء ، أو عشر نساء أو أكثر من ذلك . فعن نوفل بن معاوية قال « أسلمت وتحتى خمس نسوة ، فسألت النبى – صلى الله عليه وسلم – **فقال « فارق واحدة وأمسك أربعا »** (رواه الشافعى والبيهقى) . وعن قيس بن الحارث قال : **أسلمت وعندى ثمان نسوة ، فأتيت النبى – صلى الله عليه وسلم – فذكرت له ذلك فقال : « اختر منهن أربعا » (رواه أبو داود وابن ماجه) . وعن عبد الله بن عمر قال : « أسلم غيلان الثقفى وتحته عشر نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه ، فأمره النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يختار منهن أربعا » (رواه أحمد والترمذى وابن ماجه)**

ولايزال نظام تعدد الزوجات منتشرا فى الوقت الحاضر فى عدة شعوب لاتدين بالاسلام فى أفريقيا والهند والصين واليابان .

ولا علاقة للدين المسيحى فى أصله بتحريم التعدد . وذلك أنه لم يرد فى الانجيل نص صريح يدل على هذا التحريم . واذا كان السابقون الأولون من أهل أوروبا قد ساروا على نظام وحدة الزوجة ، فماذاك الا لأن معظم الأمم الأوربية الوثنية التى انتشرت فيها المسيحية فى أول الأمر ، وهى شعوب اليونان والرومان ، كانت تقاليدها تحرم تعدد الزوجات المعقود عليهن . وقد سار أهلها بعد اعتناقهم المسيحية على ماوجدوا عليه آباءهم من قبل ، فلم يكن نظام وحدة الزوجة لديهم نظاما طارئا جاء به الدين الجديد الذى دخلوا فيه ، وانما كان نظاما قديما جرى عليه العمل فى وثنيتهم الأولى ولا أدل على ذلك من أن كثيرا من الشعوب الأوروبية الأخرى التى كانت تسير على نظام تعدد الزوجات قبل اعتناقها المسيحية ، ظلت تسير عليه أمدا طويلا ، بعد دخولها فى هذا الدين .

فقد كان « لديارميت » ملك ايرلندهفى القرن السادس الميلادى زوجتان شرعيتان . وكان « لشارلمان» ملكفرنسا وامبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة « وهى الامبراطورية التى قامت فى أواخر القرن الثامن الميلادى على أساس القواعد المسيحية ولحماية هذا الدين » زوجتان شرعيتان وعدة جوار ، **ويستفاد من أحد قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن محظورا على عامة الشعب ولا على رجال الدين أنفسهم .**

وقد كان فى عصمة الملك « هيس فيليب » ملك بروسيا أكثر من زوجة واحدة ، وأقره على ذلك « مارتن لوثر » نفسه منشىء المذهب « البروتستانتى » فى القرن السادس عشر الميلادى . — **وكل ماهنالك أن النظم الكنسية المستحدثة بعد ذلك قد استقرت على تحريم تعدد الزوجات ، واعتبرت هذا التحريم من تعاليم الدين ، على الرغم من أن أسفار الانجيل نفسها لم يرد فيها شىء يدل على هذا التحريم .**

هذا ، ولم يبد نظام تعدد الزوجات فىصورة واضحة الا فى الشعوب المتقدمة فى الحضارة ، على حين أنه قليل الانتشارأو منعدم فىالشعوب البدائية المتأخرة . فقد لوحظ أن نظام وحدة الزوجة كان النظام السائد فى أكثر الشعوب تأخرا وبدائية ، وهى الشعوب التى تعيش على الصيد أو على جمع الثمار التى تجود بها الطبيعة عفوا ، وفى الشعوب التى لم تتزحزح تزحزحا كبيرا عن بدائيتها وهى الشعوب الحديثة العهد بالزراعة ، على حين أن نظام تعدد الزوجات لم يبد فى صورة واضحة الا فى الشعوب التى قطعت مرحلة كبيرة فى الحضارة وهى الشعوب التى تجاوزت مرحلة الصيد البدائى الى مرحلة استئناس الأنعام وتربيتها ورعيها واستغلالها ، والشعوب التى تجاوزت مرحلة جمع الثمار والزراعة البدائية الى مرحلة الزراعة المتقنة . **ويرى كثير من علماء الاجتماع أن نظام تعدد الزوجات سيتسع نطاقه حتما ويكثر عدد الشعوب الآخذة به كلما تقدمت المدنية واتسع نطاق الحضارة .**

وقد أباح الدين الاسلامى للرجل أن يكون فى عصمته أكثر من زوجة واحدة معقود عليها على ألا يتجاوز العدد أربع زوجات ، وبشرط أن يكون على ثقة من قدرته على الانفاق عليهن وعلى العدل بينهن فى جميع الأمور المادية التى يستطاع العدل فيها ، كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت ، فان خشى ألا يقدر على ذلك اقتصر على واحدة .

ولنظام التعدد مبررات كثيرة يرجع أهمها الى ثلاث طوائف : احداها مبررات طبيعية ، وثانيتها مبررات اجتماعية عامة ، وثالثتها ضرورات خاصة تطرأ أحيانا فى الحياة الزوجية .

١ — أما المبررات الطبيعية : فتتمثل فى القوانين التى تخضع لها الفصيلة الانسانيةفيما يتعلق بالنسبة بين الذكور والاناث . فمن المقرر فى بحوث « الديموجرافيا » أو علماحصاء

السكان أن ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضا للوفاة من الاناث فى أثناء الولادة وفى الطفولة الأولى ، كما تدل على ذلك الاحصائيات الخاصة بوفيات الأطفال فى جميع الشعوب الانسانية ، وأنه يترتب على ذلك أن عدد من يبقى على قيد الحياة الى نهاية الطفولة الأولى من الذكور يقل فى كثير من الشعوب عن عدد من يبقى على قيد الحياة الى نهاية هذه المرحلة من الاناث ، وأن هذه الظاهرة متحققة حتى فى الشعوب التى يزيد فيها عدد المواليد من الذكور على عدد المواليد من الاناث • فمع أن المواليد من الذكور فى الشعوب الأوربية وبعض شعوب أخرى يزيدون على المواليد من الاناث بنسبة ٥ أو ٦ فى المائة ، فان عدد من يبقى على قيد الحياة الى نهاية الطفولة الأولى من الذكور يقل كثيرا فى هذه الشعوب نفسها عن عدد من يبقى على قيد الحياة الى نهاية هذه المرحلة من الاناث • وذلك نتيجة لما ذكرناه من أن ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضا للوفاة من الاناث فى أثناء الولادة وفى الطفولة الأولى •

وقد أصبحت هذه الحقيقة من أوليات الحقائق الاجتماعية ، بل لقد عرفها الناس بالملاحظة منذ عصور سحيقة فى القدم من قبل أن يكشفها العلماء بالاحصاء ، وسجلت فى الأمثلة العامية المتداولة فى جميع الشعوب • ففى مصر مثلا يتداول الناس هذا المثل العامى : « جدر البنت على المعين وجدر الولد عايم » فيشبه هذا المثل البنت فى قوة مقاومتها للامراض وغيرها بشجرة وصلت جذورها الى المياه الجوفية فى الأرض وهو مايسمونه « المعين » فأصبح أصلها ثابتا قويا ، وأصبحت شديدة المقاومة للعواصف والعوارض الجوية ، كما أصبحت فى غير حاجة الى من يتعهدها بالسقى ، ويشبه الولد من الذكور فى ضعف مقاومته وشدة حاجته الى الرعاية وتعرض حياته للاخطار بشجرة ضعيفة جذورها عائمة على وجه الأرض •

٢ ـ وأما المبررات الاجتماعية العامة : فيرجع أهمها الى أمرين :

«**أحدهما**» أن أعباء الحياة الاجتماعية وتوزيع الأعمال بين الجنسين كل ذلك يجعل الذكور أكثر تعرضا للوفاة من الاناث فى مراحل الشباب ومابعدها وأقصر منهن أعمارا • وذلك أن الأوضاع الاجتماعية تلقى على كاهل الرجال أكبر عبء فى شئون الحروب والكفاح للحياة وكسب العيش ، فهم لذلك أكثر تعرضا للمهالك والأخطار من النساء • وبحسبنا دليلا على ذلك أن نعلم أن عدد من قتل من شباب الرجال فى الحرب العالمية الثانية قد بلغ زهاء عشرين مليونا ، على حين أن من قتل من النساء لأمور متصلة بالعمليات الحربية لايتجاوز بضعة آلاف

وقد ترتب على هذه الأمور جميعا أن عدد النساء يزيد على عدد الرجال فى معظم الأمم فى العصر الحاضر •

« **وثانيهما** » أن أعباء الحياة الاجتماعية وتوزيع الأعمال بين الجنسين كل ذلك يجعل نسبة القادرين على الزواج من الذكور أقل من نسبة الصالحات للزواج من الاناث • وذلك أن الرجل لايكون قادرا على الزواج بحسب الأوضاع الاجتماعية الا اذا كان قادرا على نفقات المعيشة لزوجه أوسرته وبيته فى المستوى اللائق به وبالطبقة التى ينتمى اليها ، لأنه قد جرت العادة واستقرت الشرائع فى جميع الشعوب الانسانية أن تقع هذه الأعباء جميعا أو يقع معظمها على كاهل الرجال ، ولذلك نرى أن من الرجال من يظل عاجزا عن الزواج طول حياته ، وأن منهم من يظل عاجزا عن الزواج الى أن يبلغ مرحلة متقدمة من العمر ، تصل أحيانا الى سن الثلاثين أو مايقرب منها ، بل تتجاوز أحيانا هذه السن ويبلغ هذا القسم فى كثير من الأمم نحو ٥٠٪ من مجموع الرجال البالغين • على حين أن كل بنت عادية تكون صالحة للزواج وقادرة عليه بمجرد وصولها الى سن البلوغ • والنتيجة المترتبة على هذا الوضع أن نسبة القادرين على الزواج من الذكور تقل كثيرا عن نسبة الصالحات للزواج والقادرات عليه من الاناث • وتتحقق هذه النتيجة فى جميع الشعوب ومختلف الظروف ، حتى فى الحالات التى يكون فيها عدد الرجال مساويا لعدد النساء أو أكثر منه • فعدد الاناث فى مصر مثلا فى الوقت

الحاضر لايكاد يزيد على عدد الذكور ، ومع ذلك نرى أن نسبة القادرين على الزواج من بين فتياننا تقل كثيرا عن نسبة الصالحات للزواج من بين فتياتنا ٠

٣ ـ وأما الضرورات الخاصة : فتتمثل فيما يطرأ أحيانا فى حياة الأسرة من أمور تجعل الزوجة غير صالحة للحياة الزوجية فى أخص شئونها أو غير محققة لأغراض الزواج ٠ فقد تكون الزوجة عقيما عقما أصيلا ، أو قد تصاب بالعقم بعد زواجها فلا تحقق فى كلتا الحالتين أهم غرض من أغراض الزواج ٠ وقد تصبح على أثر اصابتها بمرض جسمى أو عصبى أو بعاهة غير صالحة للحياة الزوجية فى أخص شئونها ٠ ففى هذه الأحوال وأحوال أخرى كثيرة من نوعها يكون زواج الرجل بغير زوجته ضرورة لازمة لضمان الاستقرار العائلى وتحقيق الأغراض العمرانية من الزواج وللوقاية من الوقوع فى الرذيلة ٠٠ وكثيرا مايكون بقاء الزوجة الأولى فى عصمة زوجها فى مثل هذه الأحوال أكرم لها هى نفسها وأدنى الى صيانتها من طلاقها ، فان طلاقها قد يعرضها لكثير من مآزق الحياة ، ويهدر كثيرا من كرامتها ومكانتها الاجتماعية ، وخاصة اذا لاحظنا أن مثلها لايرغب فى الزواج بها للاسباب نفسها التى دعت زوجها الى الزواج بأخرى ٠

وغنى عن البيان أن هذه الأوضاع لاتتلاءم مطلقا مع نظام وحدة الزوجة ، لأن السير على هذا النظام مع وجود الأوضاع التى ذكرناها يقضى فى معظم الشعوب الانسانية ـ ان لم يكن فى جميعها ـ على نسبة كبيرة من النساء بأن يظللن طول حياتهن عوانس بدون زواج ، ويوقع ذوى الضرورات الخاصة فى العنت والحرج ويسد أمامهم السبل لحياة سليمة

ولا يخفى مايترتب على ذلك كله من اختلال التوازن بين الجنسين ، واضطراب الحياة الاجتماعية ، وانتشار البغاء والفسق والفجور ، وشيوع طرق المخادنة ، واتخاذ الأزواج للخليلات ، واضطرار كثير من النساء الى التردى فى الرذيلة لكسب العيش أو لاشباع رغباتهن وكثرة المواليد من السفاح ، وقلة النسل ، وانتشار الأمراض ، وتسرب عوامل الضعف والانحلال الى النوع الانسانى نفسه ٠

وهذا هو ماحدث بالفعل فى كثير من الأمم الغربية التى تسير على نظام وحدة الزوجة ٠ وقد أفزعت هذه النتائج الخطيرة المفكرين فى أمم الغرب المسيحى ، وخاصة القادة وزعماء الاصلاح الاجتماعى ٠ ولما أخفقت جميع الوسائل التى لجأوا اليها فى نطاق النظام المسيحى لعلاج هذه الحال ، فكر كثير منهم فى الخروج على هذا النظام واباحة تعدد الزوجات ٠ وقد كان قادة ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية يخرجون بهذا التفكير الى حيز التنفيذ ويجعلونه من شرائع بلادهم ٠

فلما كانت القوانين الطبيعية والشئون الاجتماعية العامة التى أشرنا اليها تؤدى فى كثير من الشعوب الانسانية الى زيادة عدد النساء على عدد الرجال ، وتؤدى فى جميع الشعوب الى زيادة عدد الصالحات للزواج من النساء على عدد القادرين على الزواج من الرجال ، ولما كان ثمة ضرورات خاصة تطرأ أحيانا فى حياة الزوجين فتجعل الزوجة غير صالحة للحياة الزوجية فى أخص شئونها ، أو تجعلها غير صالحة لتحقيق المقاصد العمرانية من الزواج ، وتجعل مع ذلك بقاءها مع زوجها أكرم لها وأدنى الى صيانتها من طلاقها ، ولما كان السير على نظام وحدة الزوجة مع هذه الأوضاع العامة والضرورات الخاصة يفضى لامحالة الى الكوارث الاجتماعية الخطيرة السابق ذكرها ، ولما كان الدين الاسلامى دينا عاما لجميع الشعوب ، وكان حريصا على وقاية الفرد والمجتمع من كل مايؤدى الى ضرر أو ضرار ، **لذلك أباح تعدد الزوجات فى الحدود التى نص عليها القرآن ، وبينتها السنة الشريفة ، فأزال بذلك العنت والحرج فى حياة الأفراد والأسرات ، وحقق الصالح العام للنوع الانسانى نفسه ، ومنح المجتمعات رخصة تتيح لها تحقيق التوازن بين الجنسين ، واتقاء الأضرار التى تنجم عن اختلال هذا التوازن**

إحياء المفاهيم الإسلامية

٤ الشهادتين

الدكتور عبد الحليم محمود

وأشهد أن محمدا رسول الله :

وما من شك فى أن كل شخص مخلص يستمع الى الدعوة الاسلامية يقر مع النجاشى أن الذى جاء به محمد ، والذى جاء به عيسى ، عليهما الصلاة والسلام : يخرج من مشكاة واحدة ، لقد كان النجاشى يؤمن بعيسى عليه السلام ايمانا لايخالجه فيه شك ، فلما سمع وصفا لموضوع الدعوة الاسلامية آمن بمحمد عليه السلام ايمانا كايمانه بعيسى عليه السلام فى صدقه ، وفى أنه يستمد دعوته من الله

لقد قالها النجاشى ، حينما سمع جعفر بن أبى طالب يقص عليه أمر الجاهليه وأمر الاسلام ٠

وقد عاش جعفر بن أبى طالب حياة الجاهلية ، وعاش حياة الاسلام ، وكل الأخبار والوثائق تؤيده فيما يتعلق بالجاهلية ٠

والقرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة تؤيده فيما يتعلق بالاسلام ، يقول جعفر :

« أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ٠

فكنا على ذلك حتى بعث الله رسولا منا : نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ،

فدعانا الى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة، والأوثان ٠ وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة وأمرنا : أن نعبد الله وحده ، ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، ٠٠ وعدد عليه أمور الاسلام ٠

فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ماجاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ماحرم علينا ، وأحللنا ماأحل لنا »

فلما سمع النجاشى ذلك وقر فى قلبه يقين لايتزعزع بصدق محمد فقال كلمته المشهورة السابقة ٠

أما هرقل ، فيما رواه البخارى ، فانه حينما سأل أبا سفيان عن الدعوة الاسلامية ، ذكر له أبو سفيان أن محمدا ، يأمر الناس : أن يعبدوا الله وحده ، ولا يشركوا به شيئا ، وينهاهم عن

عبادة الأوثان ، ويأمرهم بالصلاة ، والصدق والعفاف ، وصلة الرحم ، فقال هرقل :

« ان كان ماتقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم أننى أخلص اليه ، لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه »

هذا النهج : من الاستدلال بالدعوة على الصدق وجعل النظر فى الدعوة : احدى الوسائل التى تسلم - مع غيرها من الملابسات - الى اليقين بصدق الداعي ، هذا النهج الذى اتخذه هرقل والنجاشي : هو النهج الذى أقره الامام الغزالى فانك اذا :

« أكثرت النظر فى القرآن ، والأخبار ، يحصل لك العلم الضرورى بكونه ، - صلى الله عليه وسلم - على أعلى درجات النبوة .

وأعضد ذلك بتجربة ماقاله فى العبادات ، وتأثيرها فى تصفية القلوب ، وكيف صدق فى قوله :

« من علم بما علم ورثه الله علم مالم يعلم »
وكيف صدق فى قوله :
« من أعان ظالما سلطه الله عليه »
وكيف صدق فى قوله :
« من أصبح وهمومه هم واحد - هو التقوى - كفاه الله هموم الدنيا والآخرة » .

فاذا أجريت ذلك فى ألف وألفين وآلاف حصل لك علم ضرورى لاتتمارى فيه » ان النظر الى الدعوة الاسلامية فى نظر الامام الغزالى ، هو أحد الوسائل التى تثبت صدق الرسول .

وقد تابع هذا الاتجاه فى الاستدلال العالم الاجتماعى الكبير ابن خلدون وهو يستوعب - فى نظرة عامة - الكثير من الاتجاهات المستقيمة فى شأن النبوات ، وتنقل هنا ماكتبه خاصا بموضوع الاستدلال بالدعوة - حينما تكون الدعوة خيرا محضا كالدعوة الاسلامية - على صدق الرسول فيما يدعيه ، يقول : -

« ومن علاماتهم أيضا :

دعاؤهم الى الدين والعبادة : من الصلاة والصدقة والعفاف ، وقد استدلت خديجة على صدقه ، صلى الله عليه وسلم ، بذلك وكذلك أبو بكر ، ولم يحتاجا فى أمره الى دليل خارج عن حاله وخلقه وفى الصحيح : أن هرقل حين جاءه كتاب النبى - صلى الله عليه وسلم - يدعوه الى الاسلام ، أحضر من وجد فى بلده من قريش ، وفيهم أبو سفيان يسألهم عن حاله ، فكان فيما سأل : ان قال : بم يأمركم ؟ فقال أبو سفيان : بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف ... الى آخر ماسأل ، فأجابه ، فقال :

« ان يكن ماتقوله حقا فهو نبى ، وسيملك ماتحت قدمى هاتين »

والعفاف الذى أشار اليه هرقل : هو العصمة .

فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته ، ولم يحتج الى معجزة فدل ذلك على أن ذلك من علامات النبوة . »

والواقع : أننا اذا نظرنا الى موضوع الرسالة الاسلامية ، فاننا نجده يحقق فى صورة دقيقة الهدف الذى حدده الله ، من انزالها ، وهو الرحمة العامة يقول تعالى لرسوله الكريم :

« **وماأرسلناك الا رحمة للعالمين** » .

والرحمة اذن : هى الطابع العام ، لكل التعاليم الاسلامية سواء فى ذلك : مايختص بالمجتمع ، أو مايختص بالفرد ، وسواء فى ذلك مايتصل بالجانب العقدى ، أو الجانب الأخلاقى أو الجانب التشريعى .

وهذه الرحمة تظهر فى مختلف ميادين النشاط الانسانى بصور متعددة : فتظهر فى المجتمع بمظهر العدالة والاخوة وقد ربط الاسلام بعضه ببعض برباط كرباط البناء المحكم :

« **المؤمن للمؤمن ، كالبنيان يشد بعضه بعضا** » .

أو يتماسك كتماسك الجسد الحى الذى يسعد جميعه ، أو يشقى جميعه بسعادة أعضائه أو بشقائها :

« مثل المؤمنين فى توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم : كمثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »

وهذا الاحكام ، وهذا الترابط ، انما كان بسبب العدالة السارية التى تكبح شهوات الجموح ، وترد من غرب الطامع ، وتفىء بالمسرفين الى سبيل الاعتدال •

والاخوة بجوار العدالة : عامل ثان من عوامل الترابط والتماسك • والمؤمنون لوحدة أهدافهم ولوحدة آمالهم : هم اخوة متعاونون « **انما المؤمنون اخوة** » •

وتظهر الرحمة فى الفرد ـ فى أسمى معانيها ـ فى صورة التجرد لله سبحانه وتعالى :

« ألا لله الدين الخالص »

وهذا الدين الخالص : انما هو العبودية الكاملة لله وحده ، واذا ماوجدت هذه العبودية وجد الايثار والتضحية ، والبذل ، والفداء ، ووجد كل خلق كريم ، وكان البعد عن كل خلق ذميم ، وأصبح الانسان الذى يتمثل فيه ذلك رحمة : أينما حل ، وحيثما أقام •

ولكنه هو نفسه : يصبح أيضا بعبوديته هذه في كنف الله تعالي ، وفي رعايته ، وكان آمنا على نفسه وعلى ذويه : سعيدا بعناية الله تعالى به ، وتوفيقه له ، فهو اذن : مغمور برحمة الله •

والمثل الأعلى الذى تمثلت فيه الرسالة الاسلامية خير تمثيل ، انما هو : رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لقد كان خلقه القرآن ، كما جاء على لسان عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها

لقد خالط القرآن لحمه ، ودمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتلألأ نور القرآن فى روحه وبدنه ، وامتزج ، صلوات الله عليه ، بالرسالة الاسلامية ، وامتزجت الرسالة الاسلامية به ، فكانت هى الرحمة المرسلة وكان هو الرحمة المهداة •

واذا نظرنا ، اذن الى الرسالة الاسلامية ، فاننا نشهد ، أن محمدا رسول الله ـ صلوات الله ورحمته وبركاته وتحياته وسلامه عليه •

للحديث بقية ، وبالله التوفيق

مر الحسن ـ رضى الله عنه ـ بنخاس معه جارية • فقال له الحسن : أترضى فى ثمنها درهما أو درهمين ؟ فقال : لا فقال الحسن : فاذهب •• فان الله ـ عز وجل ـ رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة •

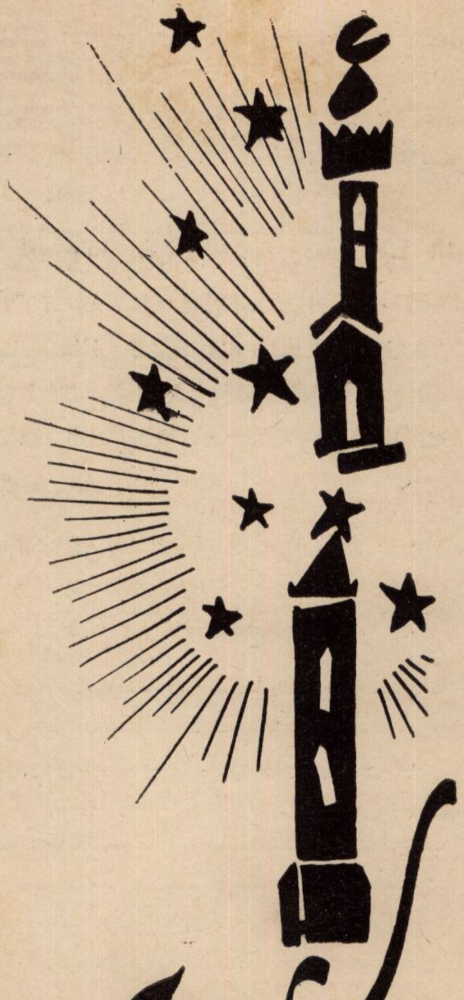

شهر القرآن الكريم

الأستاذ عبد الرزاق نوفل

فرض الله ـ سبحانه وتعالى ـ على المسلمين الصيام كما فرضه على الأمم السابقة وذلك بنص قوله الكريم فى الآية الشريفة « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ٠ وحدد جل شأنه لصيام المسلمين وقتا معلوما لايتبدل أو يتغير هو شهر رمضان وذلك تمجيدا لهذا الشهر وتعظيما لشأنه فقد نزل فيه القرآن الكريم ، تقول فى ذلك آياته الشريفة « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وكذلك تكبيرا لله وحمدا له على ماهدانا اليه بنعمة القرآن الكريم بنص الآية الكريمة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون »

وليس أدل على عظم شأن هذا الشهر وميزته على غيره من أن فيه ليلة مباركة يفرق فيها كل أمر حكيم وذلك بنص الآيات الشريفة « انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ٠ فيها يفرق كل أمر حكيم ٠ أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ٠ رحمة من ربك انه هو السميع العليم » ٠ بل ان هذه الليلة المباركة وحدها تفضل ألف شهر بنص الآيات الكريمة « انا أنزلناه فى ليلة القدر ٠ وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر » فاذا كان هذا هو قدر ليلة واحدة فى هذا الشهر فكيف بلياليه التامة وأيامه الكاملة ؟ ٠٠

واذا كنا نصوم هذا الشهر لمناسبة نزول القرآن الكريم فيه ألا يحق لنا أن نعتبر أن هذا الشهر هو بحق شهر القرآن الكريم ؟ ٠٠ وياترى كيف نؤدى واجبنا فيه ؟٠٠ بعد أن عرفنا سبب صوم أيامه وقيام لياليه ؟٠٠

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم لعباده ليتدبروا آياته ويتفهموها ويتذاكروها وذلك بنص الآية الشريفة « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب »٠ والتدبر هو البحث والتأمل والدرس واستخلاص العبرة والوقوف على النتيجة ، فليست التلاوة التى تصرفنا عن المعانى بالتدبر وليس الحفظ

دون الفهم والمعرفة بالتذكر ، لذلك فان الصحابة فى عهد سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والسلف الصالح من بعدهم ـ اتباعا لما أمرهم به ـ ماكانوا لينتقلوا من آية الى غيرها الا بعد أن يتموا دراستها ويتفهموا معانيهـــا ويستجلوا روائعها فتظهر لهم أسرارها ويفيض عليهم اشراقها ولهذا كانوا حقا يتدبرون آياته بالبحث والدرس والتفهم فالانسان مطالب بنص القرآن الكريم أن يحاط علما بآياته والا تصرفه الحياة الدنيا عن هذا التدبر والتفهم فتقـــول الآية الشريفة « **حتى اذا جاءوا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون ؟** »

لذلك وجب على المسلم منا اذا تلا القرآن الكريم أو استمع الى تلاوته أن يستحضر فى ذهنه جلال الموقف ، فهو يستمع الى رسالة من الله سبحانه وتعالى اليه وان يفتح لها قلبه عملا بنص الآية الشريفة « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » ٠٠ وان يستجمع فى نفسه معانى الآيات التى يستمع اليها ، فمثلا اذا كانت آيات رحمة وجب علينا أن نتذكر رحمة الله سبحانه وتعالى التى شملت كل خلقه فى كل لحظة وحين ٠ فمثلا لبن الأم الذى يتكون من بين الفرث والدم بطرق تجل عن الوصف انما يتكون رحمة من الله بالجنين الذى لايتغذى الا عليه ، وتتغير نسب مكوناته ومركباته بل وكمياته كل يوم لتكفى حاجات الطفل ٠٠ أليس ذلك من رحمة الله ؟٠٠ وتستمر رحمة الله جل شأنه تلازم الجنين منذ لحظة تكونه الى ساعة موته ٠٠ بل وتتسع هذه الرحمة بعد موته الى ماشاء الله ٠٠ وأودع الله جل شأنه فى قلب الأم والأب محبة أولادهما رحمة منه سبحانه ٠٠ وهكذا اذا تدبرنا ونظرنا وفكرنا وجدنــا الرحمة الشاملة ٠٠ ولا تقتصر رحمة الله على الانسان بل انها تتعدى ذلك الى الطير والحيوان ٠٠ بل الى كل ماخلق الله ٠٠ سبحانه وتعالى ٠ وعلى الانسان أن يستحضر فى ذهنه كذلك أنه بالرغم من نعم الله جل شأنه التى لاتقع تحت حصر وأولها حياته نفسها ٠٠ ورزقه ٠٠ فانه يعصيه فى السر والعلن ورغما عن المعــاصى والذنوب فان الله سبحانه وتعالى مازالت رحمته الواسعة تفيض على عباده مهما أخطأوا ومهما أذنبوا ومهما عصوا ٠٠ هذه هى مظاهر الرحمة ٠٠ بل بعض مظاهرها ٠٠ أليس الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم ؟٠٠

واذا تليت آيات الآخرة اســتحضرنا فى خواطرنا وقفتنا يوم الحساب ثم تخيلنا كيف يكون السؤال ؟٠٠ وكيف يكون الجــواب ؟٠٠ ألا تقشعر منا الجلود والأبدان ٠٠ ثم اذا استغفرنا الله سبحانه وتعالى بصدق وايمان واستعذنا به من هول العقاب واستشعرنا المغفرة والرحمة ألا تلين منا الجلود ؟٠٠ وأليس ذلك ماتقوله الآية الكريمة « **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد** » ٠

وهكذا فى مختلف آيات القرآن الكريم ٠

فعلينا أن نتنهز فرصة هذا الشهر العظيم شهر القرآن الكريم فنعيد النظر فى أمرنا مع القرآن الكريم فنسأل أنفسنا هل اســتجبنا لداعى القرآن الكريم فاستمعنا اليه وتــدبرنا آياته وهل استجبنا لأوامره واجتنبنا نواهيه ؟ ٠٠ أم اكتفينا بحفظه وتلاوته والاستماع اليــه بلا استجابة لدعوته ٠ وهل نستمع اليه كما يجب على العبد عندما يستمع الى نداء ربه ٠٠ أم ترى نستمع اليه وقلوبنا لاهية وأفكارنا ساهية ؟ وهل ياترى نطمع أن تكون آياته شاهدة لنا ؟ ٠ أم ستكون شاهدة علينا ٠٠؟

وهلا نستجيب الى الأمر الكريم الذى نصت عليه الآية الشريفة التى تقــول « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** » ٠٠ فاذا كان الاستماع انمــا هو بالآذان فان الانصات انما يكون بالحس والفكر والشعور والوجدان ٠

وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم « **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ٠٠ ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** » ٠

من وحي الصيام

فكرة تقنين أحكام الفقه الإسلامي دون التقيد بمذهب

الأستاذ محمد سلام مدكور

ما من شك فى أن التشريع الاسلامى بنى على أسس ودعائم من بينها أنه يساير مصالح الناس ويرفع الحرج عنهم ومن الواضح البين أن نصوص التشريع متناهية وأن الوقائع غير متناهية ، فضلا عن أن النصوص نفسها منها ماهو قطعى من ناحية ثبوته ودلالته على الحكم ، ومنها ماهو ظنى من ناحية الثبوت ، أو من ناحية الدلالة أو منهما معا ، ومن المسلم به أن الأحكام الثابتة بدليل قطعى لايمكن أن تكون محلا للاجتهاد ولا يتصور فيها اختلاف ، أما الأحكام الثابتة بنص ظنى الثبوت أو الدلالة أو هما معا فانها تكون محلا للاجتهاد ، ويتصور فيها الاختلاف . لكن اذا كانت دلالة النص هى الظنية فان الخلاف يكون فى دائرة مايدل عليه هذا النص ، وما عدا الاحكام المستنبطة من النصوص فان مجال الاجتهاد فيها متسع جدا مما يستتبع تعدد الآراء فى المسألة الواحدة ، فكل امام أو فقيه يحكم فيها بما يوصله اليه اجتهاده طبقا للدليل الذى يرى الأخذ به .

وكثيرا ما نبه أئمتنا من الفقهاء الأول مريديهم والآخذين عنهم الى عدم تقليدهم والتعصب لآرائهم دون تعقل وتفهم ، ومن هذا ماقاله أبو حنيفة « علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب » ثم قال « لايحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا » بل قال عندما سأله أحد مريديه أهذا الذى تفتى به هو الحق الذى لاشك فيه ؟.. والله لا أدرى فقد يكون الباطل الذى لاشك فيه » ، وهذا مالك يقول « انما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى رأيى كل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا به ، ومالم يوافقهما فاتركوه » ويقول الشافعى لأتباعه « لاتقلدونى فى كل ماأقوله وانظروا فى ذلك فانه دين » ويقول الامام أحمد « لاتقلدنى ولا مالكا ولا الشافعى ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا » كما يقول « أنظروا فى أمر دينكم فان التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة »

وقد كان لهذا النصح أثره فى نفوس الفقهاء الأوائل الآخذين عنهم فكانوا ينظرون فى المسائل التى تعرض عليهم ، ويبحثون فيها عن الدليل الموصل اليها ، هذا وان كان يوصلهم غالبا الى ماوصل اليه امامهم لتأثرهم بمنهجه فى الاستنباط الا أنه كان أحيانا يوصلهم الى رأى مخالف لامامهم فيأخذون به وأحيانا يكون سبب هذا كما يقول الفقهاء اختلاف فى العصر والزمان لا اختلاف الحجة والبرهان .

ونحن اذا نظرنا الى هذا الاختلاف والتعدد فى الرأى من زاوية الفرد فيما يخصه بينه وبين ربه لما كان حرج أى حرج لكن لو نظرنا من زاوية المجتمع ونظام التقاضى ، والحكم الذى يجب أن يطبق عند التنازع والتخاصم

لوجدنا أن ترك الناس دون أن يتخير لهم ولى الأمر بواسطة من هم أهل للاجتهاد والترجيح من رجال التشريع المخلصين لدينهم والحريصين على اسعاد الأمة ورقيها فى الحياة أيضا ـ قانونا اسلاميا من بين مختلف الآراء الاسلامية يبلبل أفكار الناس ويوقعهم فى حرج شديد ، وضيق لاقبل به لمن يريد الاحتكام الى أحكام الاسلام ، وأن تطابق معاملاته مع الناس وجه الشرع اذ التطبيق القضائى يكون مضطربا لعدم معرفة الحكم الواجب التطبيق ٠

ولقد كان اختلاف قضاة المسلمين قديما ـ الذين كان لم يقيدهم قانون مسطور محدد ، وانما يستنبطون الحكم باجتهادهم فيما يعرض عليهم ، فتصدر أحكامهم متناقضة فى المسألة الواحدة فى البلد الواحد ـ سببا فى أن يضل الناس فى شئون حياتهم رغم تحريهم الهداية والرشاد وجعلهم قاطبة عرضة للخطأ فى نظر القضاء اذ قد يرى القاضى فى المسألة غير ما يرون أو يتبع غير من يتبعون ٠

وقد دفع هذا ابن المقفع فى بدء العهد العباسى أن يكتب الى الخليفة أبى جعفر المنصور رسالة دعا فيها الى وضع قانون عام لجميع الأمصار يؤخذ من الكتاب والسنة وعند عدم النص يؤخذ من الرأى على مايقتضيه العدل ومصلحة الأمة ، ومما جاء فى هذه الرسالة « مما ينظر فيه أمير المؤمنين من أمر هذين المصرين وغيرهما من الأمصار والنواحى اختلاف هذه الأحكام المتناقضة التى قد بلغ اختلافها أمرا عظيما ، فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه الأقضية والسير المختلفة فترفع اليه فى كتاب ويرفع معها مايحتج به كل قوم ، ثم نظر أمير المؤمنين فى ذلك وأمضى فى كل أقضية رأيه ونهى عن القضاء بخلافه فكتب بذلك كتابا جامعا رجونا أن يجعل الله هذه الأحكام المختلطة الصواب بالخطأ حكما واحدا صوابا »

لكن أبا جعفر لم يحاول أن يعمل على تحقيق فكرة ابن المقفع كاملة من أن ينظر فى مختلف الأحكام وأدلتها ويتخير منها مايلزم الناس به ، وانما حاول أن يلزم الناس فى قضائهم بما جاء فى مذهب مالك ٠ ولذا فانه قال لمالك ٠٠ ضع الفقه ودون فيه كتبا ٠٠ لنحمل الناس على عملك وكتبك ، ونبثها فى الأمصار ، ونعهد اليهم ألا يخالفوها لكن مالكا امتنع عن التنفيذ وفى عهد هرون الرشيد تكررت هذه المحاولة ، وتكرر العرض على مالك ، وتكرر امتناع مالك عن التنفيذ وقال : « ان أصحاب الرسول اختلفوا فى الفروع وتفرقوا فى البلدان وكل مصيب »

وبذا فان فكرة ابن المقفع لم تتحقق ، ولاحتى ما اتجه اليه الخليفة فى الزام الناس فى قضائهم بمذهب واحد تحقق ٠ فبقى اذن الأمر على ماهو عليه ، وازداد اضطراب الناس وضيقهم لعدم تفرقهم على مايلزمهم به القضاء وخاصة فى أواخر عهد الدولة العباسية وقد ضعفت الدولة سياسيا وفقد الخليفة سيطرته على ولاته ومعاونيه وتعرض للقضاء والافتاء من ليس أهلا للاجتهاد وقاضيا ومفتيا باجتهاده فكثر التضارب فى الأحكام وأصبح الناس فى حيرة من قضائهم أساسها عدم وجود أحكام معينة يلتزمون بها ، فكان هذا من الأسباب التى دفعت الفقهاء الأصوليين قديما الى أن يصدروا فتواهم بقفل باب الاجتهاد ، والزام القاضى فى قضائه بأحكام مذهبه لايحيد عنها ، وقرارهم بقفل باب الاجتهاد ، وان كان قد أدى الى نتائج وخيمة ضارة لفترة كبيرة من الزمن الا أن الزام القاضى بالوقوف عند مذهب معين فى أحكامه مكن المتخاصمين بعض الشىء من التعرف على الاتجاه القضائى ٠

ثم تطور الأمر بعد ذلك امعانا فى تبصرة الناس بالرأى الذى يلزمهم به القضاء فتناول الفقهاء بالبحث مسألة تقييد القاضى فى قضائه بالرأى الراجح من المذهب كما بحثوا أمر تقييد السلطان لقضاته بالمذهب الذى ينبغى أن يستمد منه القاضى أحكامه مع التقيد بالرأى الراجح

وواضح أن الفكرة القائمة وراء هذا هى تحديد الأحكام الشرعية التى يطبقها القضاة فيما يعرض عليهم لتكون معلومة للناس بينة لهم ٠

وفى القرن الحادى عشر كون أحد ملوك الهند لجنة من مشاهير الفقهاء لتضع كتابا رسميا جامعا لظاهر الروايات المتفق عليها فى المذهب الحنفى فأخرجوا كتاب الفتاوى الهندية لكن لم يكن هذا الجمع شبه الرسمى ملزما للقضاة ، والمفتين فضلا عن أنه لم يكن على نمط التقنين ، وانما تعرض الآراء الفقهية وتتبع بالرأى الذى تختاره اللجنة للفتوى .

وهذا وان كان يرفع الحرج عن الناس بعض الشىء من ناحية تعرفهم على الحكم الواجب التطبيق على وجه التحديد ، وخاصة أن الفقهاء كانوا قد بينوا القول الراجح من غيره ، الا أنه كان يخضعهم لمذهب معين أو الراجح فيه ، مع أنه قد يكون فى أخذ بعض الأحكام من المذاهب الأخرى التى هى فى الواقع بمثابة آراء فى مذهب واحد كبير هو الفقه الاسلامى مايبسر على الناس تعاملهم ويساير مصالحهم ويتناسب مع بيئتهم .

ولذا فان الفقهاء ، بعد ذلك بحثوا هذا كما بحثوا أخذ حكم المسألة الواحدة من مزيج من الآراء والمذاهب المختلفة ، واستتبع هذا بحثهم فى اختيار الرأى الأيسر على الناس وعنونوا لهذه البحوث بتلفيق الأحكام وتتبع الرخص .

ورأى بعض الفقهاء أن التلفيق ان كان فى جزئيات المسائل فانه جائز ، وان كان فى أجزاء الحكم الواحد فممنوع ، ورجح بعض فقهاء المالكية الجواز ، ورأى الكمال بن الهمام الفقيه الحنفى أن الحكم الواحد المركب من جملة آراء ومذاهب لايعدو أن يكون رأيا للفقيه المتأخر الذى قام بذلك . وواضح أن من يقوم بذلك التلفيق والمزج لابد أن يكون من أهل الفقه والاجتهاد .

أما تتبع الرخص . فمن الفقهاء من منعه مطلقا ، ومنهم من أجازه بشرط ، ومنهم من أجازه دون قيد ، ومن هؤلاء بعض فقهاء المالكية والشافعية ورواية عن أحمد وقال الكمال بن الهمام « لايمنع من اتباع رخص المذاهب مانع شرعى ، اذ للانسان أن يسلك الأخف عليه اذا وجد اليه سبيلا ، وكان الرسول يحب ماخف على أمته ثم قال « ولا أرى مايمنع هذا من العقل والسمع » .

وهذا فيما أرى أفضل وخاصة بالنسبة للجماعة اذا لوحظ عند تشكيل لجان تشريعية لتتخير أحكام الفقه الاسلامى ، التى يلزم ولى الأمر الناس بها ، والرخص قال بها مجتهدون ، ولها أدلتها ، وهذا أفضل أيضا من أن نترك الفقه الاسلامى ونلجأ الى قوانين أجنبيه عن ديننا وبيئتنا ، ولقد كان هذا هو مسلك الأئمة فى تكوين مذاهبهم ، وتخيرهم من مذاهب الصحابة التابعين ، وهو متفق أيضا مع روح الشريعة ومع العماد الأول الذى قامت عليه وهى أنها لم تشرع الا لصالح العباد ، وهو يتفق أيضا مع ماوراه البخارى عن السيدة عائشة من **« أن الرسول ماخير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما »**

وفى القرن الهجرى الماضى اتجهت الدولة العثمانية التى كانت تعتبر نفسها تمثل الخلافة الاسلامية الى اخراج قوانين وضعت فى صورة مواد سهلة المأخذ بعيدة عن الاختلافات ، ولم تتقيد أولا فى اخراج القوانين بالراجح من المذهب ولكنها أخذتها أحيانا من القول المرجوح للمصلحة الزمنية التى اقتضت ذلك . ثم تطور الأمر فأخرجت قوانين لم تتقيد فيها بمذهب وانما تخيرت الحكم المناسب من أحد المذاهب المعتبرة .

والتزم القضاة والناس أحكام هذا القانون وأصبح هذا القانون الملزم والمطبق فى جميع محاكم الدولة العلمية والدول التى تسير فى فلكها ، ومازالت هذه القوانين تطبق حتى الآن فى بعض البلدان ، وكان هذا من غير شك بدء ظهور فكرة ابن المقفع وتقنين الأحكام المتخيرة من الفقه الاسلامى .

وفى القرن الحاضر اتجهت مصر الى هذا بشكل أوسع وأوضح فاخرجت جملة قوانين كقانون الميراث والوصية والوقف وكلها مختارة من مختلف المذاهب والآراء بل منها

ماكان الحكم الواحد فيها ملفقا من عدة آراء ومنها ماكانت أحكاما اجتهادية صرفة ، وهاهى الدولة بصدد اخراج قانون جامع لمسائل الأحوال الشخصية ·· الزواج والطلاق والآثار المترتبة عليهما »

ولا شك فى أن الأحكام الواجبة التطبيق اذا كانت محددة مبينة معروفة للقاضى والمتقاضى كان ذلك أوعى الى تحقيق العدالة وأكفل لتحقيق طمأنينة النفس ، وكل مانتمناه ألا نقتصر فى القوانين المختارة من الفقه الاسلامى على مايتعلق بأحكام الأسرة ففقهنا بحمد الله تتسع أحكامه لمختلف أنواع المسائل التى تعرض لنا فى الحياة ·

ولقد حكم هذا الفقه العالم الاسلامى فترة كبيرة من الزمن حينما كانت دولة الاسلام قوية مهابة الجانب ، ومصادر هذا الفقه مرنة وأحكامه المختلفة باختلاف المجتهدين فيها متسع لتخير ما هو الأصلح لهذه البيئة وهذا الزمان وخاصة أن مواضع الخلاف محدودة يمكن مع حسن النية اذا تشكلت لجان من رجال القانون المخلصين والفقهاء المتحررين أن يقربوها من الفقه الاسلامى دون حدوث زعزعة فى المجتمع

ولقد وقفت اللجان التشريعية من قبل على مافى هذا الفقه من ثروة واسعة عندما وضع القانون المدنى ٣١ سنة ١٩٤٨ وأخذت بعض أحكامه منه ، كالأحكام الخاصة بنظرية التعسف باستعمال الحق وحوالة الدين والحوادث غير المتوقعة ·

فقد جاء فى مجموعة الأعمال التحضيرية لهذا القانون العبارة الآتية « وهذه الأحكام الاسلامية تتضمن من القواعد مايعتبر شاهدا من شواهد التقدم فى التقنينات الغربية ، وان كان فقهاء الشريعة قد فطنوا الى ماحدث من أحكام فانهم قد أحكموا سبكه وتطبيقه على ماعرض فى عصورهم من أقضية لقرون خلت » ·

ونحن واثقون من أن الفقه الاسلامى بما فيه من آراء مختلفة ، اذا استوعبت أحكامه وأجهد الفقهاء فى العصر الحاضر أنفسهم لمواجهة الحياة مواجهة فعلية غير واقفين عند اجتهاد السابقين اذ أحكامهم الاجتهادية قابلة للتعديل والتغيير كلما اقتضت مصالح الناس ذلك ·

واذا تحققت فكرة المجمع الاسلامى الذى سبق أن نادينا به من هذا المنبر منذ أمد بعيد فجمعنا العالمين من المؤمنين المتخصصين فى الدين والمتخصصين فى القانون وغيرهم ممن تدعو الحاجة اليهم ، ووضعوا كل جديد على بساط البحث ثم عرض الفقهاء بضاعتهم عرضا حسنا وصاغ الجميع الأحكام المتخيرة من الفقه الاسلامى صياغة قانونية محكمة اذن لأمن العالم بصدق مانقوله بصلاحية فقهنا الاسلامى للتطبيق فى كل زمان ومكان ، ولسارع المسئولون على الأخذ به ·

ولقد شهد بذلك من قبل كثير من رجال القانون فقالوا : (ان الشريعة الاسلامية اذا صادفت من يعنى بأمرها تستطيع ان تجارى القانون الحديث دون تقصير بل وتفوق عليه فى بعض المسائل ،) وقالوا : (ان الشريعة الاسلامية التى وسعت العالم الاسلامى فى أزهى عصوره وقضت حاجة بلاد مترامية الأطراف والتشريعات مئات السنين لاتقصر أن تكون أصلح مصدر نأخذ منه أحكام قوانيننا) ·

بل لقد شهد كثير من المستشرقين بذلك فهذا أحدهم يقول : (ان فقهكم الاسلامى واسع جدا الى درجة اننى اعجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم !!)

وأخيرا فكلنا رجاء أن تعمل الثورة القوية التى صنعت كثيرا من نواحى الاصلاح - على انشاء المجمع الاسلامى وأن تشمله بالعناية والرعاية استعدادا لوضع قانون عام شامل يستمد أحكامه من الفقه الاسلامى بما يساير العصر ويحقق مصالح الناس دون خروج على نصوصه وروحه العامة ، حتى يوضع ذلك القانون تحت نظر ولاة الأمر وهم بحمد الله مخلصون وايمانهم صادق يضعونه موضع التنفيذ ··

اللهم وفق ، اللهم وفق · ألا هل بلغت اللهم فاشهد ·

اشتراكية الاسلام ومكانها من بعض النظم الاشتراكية الأخرى

الدكتور جمال الدين محمد سعيد

تعددت الأنظمة الاشتراكية التى عرفها العالم ونذكر فى عرض سريع موجز طرفا من هذه النظم مقارنا مع الاشتراكية الاسلامية

١ ـ الاشتراكية المسيحية :

الاشتراكية المسيحية تقوم على الدعوة الى مجموعة من القيم الأخلاقية تنهى عن الاستغلال وتحث على تحقيق العدالة الاجتماعية ، كما تقوم على تحقيق اقتصاد كفائى قوامه الأسرة أو التنظيم الاشتراكى للصناعة ٠

والفكرة الأساسية التى يقوم عليها هذا النظام هو عدم وجود المنظم أو المضاربة أو الربح غير العادى وتكون الاجور والأثمان عند المستوى العادل بحيث يصبح كل راضيا قانعا بنصيبه والا فانه يعتبر خارجا عن القوانين الالهية والوضعية ٠ ولكن الكتاب عن الثمن العادل والاجور العادلة لم يوضحوا لنا كيفية تحديد ذلك ٠

وقد انتشرت هذه الآراء فى العصور الوسطى ثم تبناها فيما بعد ٠ بعض الكتاب من المصلحين الاجتماعيين مثل « شان سيمون » ٠ لقد كانت جميع رسالات السماء التى بعثها الله بالحق والهدى الى الانسانية فى كل زمان ومكان ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ٠ وهى تؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية وفى تكافؤ الفرصة ٠

٢ ـ الاشتراكية الفابية

هدف الاشتراكية الفابية المساعدة على اعادة بناء المجتمع بما يتفق والامكانيات الأخلاقية السامية والمثل العليا المتمثلة فى الحب والاخاء ٠٠ وقد كان وليم موريس وسيدنى ويب ، وشو وجراهام والاس ، وسيدنى أوليفر ، وادوارد بيزويلاند ووليام كلارك هم أبرز الدعاة الى الاشتراكية الفابية فى بداية عهدها منذ ١٨٨٣ ، ولاسيما حينما بدأ البؤس المتزايد والفقر فى الظهور فى لندن عام ١٨٨٩ وحينما اشتدت

وطأة الأزمات الاقتصادية ووضح عدم الاستقرار و « وحشية النظام الرأسمالى » على حد تعبيرهم وكان الاساس « الفابى » يؤكد مبدأ التدرج فى تحقيق الاشتراكية وهو فى هذا يخالف الماركسية اذ يرى تحقيق الاشتراكية عن طريق الاقناع ونشر المعرفة والمعلومات والبيانات والتقدم العلمى الواقعى وهم يرون تعويض من يفقد حق الملكية ولا يؤمنون بالمصادرة · ولذلك نشر زعماء هذا المذهب المقالات الفابية فى ١٨٨٦ والتى توضح عرضا للفكر الاشتراكى كما يتصوره الفابيون .

ودراسة هذه المقالات مثل مقال أوليفييه « عن الأساس الأخلاقى للاشتراكية » أو مقال آنى بيزانت عن « الصناعة فى ظل الاشتراكية » أو مقال هيوبرت بلاند أو مقالات سيدنى ويب توضح أن الفكر الفابى لايتبع أى مدرسة فكرية معينة وانما يكيف الأمور ويطورها وفقا لما يراه فى صالح المجتمع ولذلك نجدهم يأخذون كثيرا من ريكاردو وجيفونز ، كما يأخذون عن ماركس ولا سيما فكرته فى القيمة الفائضة وان كانوا لايؤمنون بفكرة حتمية زوال النظام الرأسمالى أو حرب الطبقات أو دكتاتورية البروليتاريا وانما يؤمنون بالتدرج ، فهم يرون أن التغيير ينبغى أن يكون :

١ ـ ديمقراطيا يقبله الشعب ·

٢ ـ تدريجيا دون اضطراب أو قلاقل ·

٣ ـ أن يكون غير متعارض مع الأخلاق ·

٤ ـ أن يكون دستوريا سليما .

هذا ولا يرى الفابيون الأوائل ضرورة التاميم الشامل وان كان الفابيون فيما بعد قد وسعوا نطاقه · وهم يعنون بالادارة الديمقراطية بواسطة ممثلين منتخبين من المجتمع ·

ويرى G.D.H. Cole من زعماء الفابيين فيما بعد أن الفابيين يرون أن تقدم الاشتراكيين لاينبغى أن يتم على أساس القوة ولكن على أساس من الايمان الفعلى والدافع الأخلاقى لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وقد أهملت الجمعية الفابية دور النقابة العمالية فى تحقيق الاشتراكية التى تتلاءم مع الظروف البريطانية بعيدا عن الماركسية الجافة القائمة على السخرة ·· ولكن سرعان ما أدركوا أهمية تكوين حزب عمال مستقل تموله النقابات العمالية ولكنهم اكتفوا بايفاد من يمثلهم فى اللجنة التنفيذية لحزب العمال · وهم يرون ان الديمقراطية فى المجتمع تتحقق اذا ماحدث الآتى :

١ ـ تحديد حد أدنى عام للاجور ·

٢ ـ الرقابة الديمقراطية على الصناعة ·

٣ ثورة فى أساليب التمويل ·

٤ ـ انفاق فائض الثروة والدخل فى تحقيق الصالح العام ·

فالمبدأ الأول ينصرف الى تحديد الأجور وساعات العمل والعناية بالحالة الصحية والتأمين وتوفير المساكن والتعليم والمرافق العامة ومحاربة البطالة · كما يتضمن المبدأ الثانى حق الانتخاب للبالغين والغاء مجلس اللوردات والملكية العامة للارض وتأميم المناجم والسكك الحديدية والطاقة الكهربائية وشركات الملاحة وتوزيع الفحم وصناعة الخمور ·· الخ ·

أما المبدأ الثالث فيدعو الى رفع معدلات الضرائب لاسيما ضريبة التركات بحيث تحقق أكبر قدر ممكن من المساواة فى التضحية ·

أما المبدأ الرابع فهو يرى أن يكون التعاون الديمقراطى على أسس عالمية تمكن من حل مشاكل الجنس البشرى ·

ولكن الفابية الثورية انتهت فى عام ١٩٢٥ باعتبارها حركة سياسية تنادى بالاشتراكية وفقدت قوتها الدافعة على الرغم من تأييد حزب العمال لها وعانت الفابية فترة من الركود الى أن كان عام ١٩٤١ حيث لاقت ازدهارا حقيقيا على يد بعض اقتصاديى اكسفورد مثل كول وبعض المفكرين الأحرار · وقد عاد كول الى اللجنة التنفيذية بعد استقالة لاسكى فى سبتمبر ١٩٥٨

ومن الملاحظ أن العقيدة الفابية ومبادىء العمل انما كتبت بطريقة قاطعة واذا كان من فضل حققته الفابية فهو تبديد سحر الماركسية

ومحاولتهم القضاء على آثار الفقر والدعوة الى قيام نظم التأمينات الاجتماعية .

Co-Operative Socialism

٣ - الاشتراكية التعاونية

التعاون هدف من الأهداف السامية : وهو نظام اقتصادى كأى نظام آخر يسعى لاستغلال الموارد ذات الندوة النسبية وتحقيق أكبر اسعاد ممكن للشعوب . والتعاون نظام يقوم على الجهود الاختيارية ويهدف الى خدمة الأغراض الهامة وهى تحقيق حياة أرغد وتجارة أفضل وزراعة أوفر انتاجا .

والحركة التعاونية اذا ما تمتعت بالكفاية لكانت من خيرة النظم الاقتصادية البديلة للنظام الرأسمالى الحر دون التضحية بنظام الملكية أو الديمقراطية . ويرى الأستاذ فلورنس انه لم يمكن اعتبار التعاون الحل الوسط بين سياسة الحرية الاقتصادية

Laissez Faire Liberalism

وبين سياسات الاشتراكية الجامدة والتى تقوم على أسس اجبارية . والحقيقة أن النظام التعاونى بفضل الكثير من النظم الاقتصادية التى تقوم على الغاء الملكية كلية وعلى السخرة ، والتى غالبا ماتتصف بالجمودوضياع الحرية الفردية .

فهذا النوع من الاشتراكية لايمجد الجماعة الى حد الطغيان على الفرد ودور الدولة فيه واضح ومحدد . فالدولة تلعب دورا محددا فى اشتراكية روبرت أوين أو وليم موريس أو فوريير .

كما يهدف التعاون الى تحقيق الروح الديمقراطية السليمة بما يتضمنه من ديمقراطية رأس المال وديمقراطية التصويت ومن ادراك لشعور الجماعة ونزعة نحو التكتل لمواجهة المشاكل والتغلب عليها ، وقد نجح التعاون فى بعض البلاد كنظام اقتصادى ولكنها قلة، وقام جنبا الى جنب فى دول أخرى كثيرة مع المشروع الخاص وتمكن من ان ينتزع منه السيطرة كما هى الحال فى انجلترا فى ميدان الاستهلاك .. فالتعاون الاستهلاكى فى انجلترا قوة كبيرة ناجحة فى تجارة الجملة والتجزئة على حد سواء . فاحصاءات عام ١٩٥٧ توضح أن الحركة التعاونية الاستهلاكية قامت بحوالى ٢٦٪ من تجارة سلع الاستهلاك الرئيسية فضلا عن نجاحها فى بعض فروع الانتاج الأخرى .

واذا كان التعاون فى بعض البلاد فى الماضى فاشلا وهزيلا فهذا يرجع الى عدم ادراك رسالة التعاون ومبادئه ، وليس فى ذلك حكما على فشله كنظام ولعل أهم نقط الضعف ترجع الى الأسباب التالية :

١ - ان الروح الديمقراطية فى معناها الصحيح التى يتصف بها التعاون غير سائدة . فالنظام التعاونى يدعو الى اشتراك الغالبية العظمى من المساهمين فى كافة نواحى النشاط ولذا يجب أن يكف أعضاء مجلس الادارة عن خدمة مآربهم ومصالحهم الشخصية وأن تضع النظم التعاونية حدا لهذا الاستغلال . فلا بد من بث الدعوة بين الأعضاء لممارسة حقوقهم ولابد من تكوين وعى تعاونى وعقيدة - لكى ينجح النظام .

٢ - العمل على توفير طائفة من المديرين الأكفاء ذوى الخبرة والمهارة . فالى جانب المبادىء الثابتة التى تسود الحركة التعاونية كمبدأ البيع بسعر السوق ومبدأ الديمقراطية والعالمية ومبدأ الباب المفتوح للعضوية وحق الانسحاب .. الخ لابد من اضافة مبدأ جديد هو مبدأ الكفاية الفنية والعلمية فى الادارة . فالادارة عنصر هام لنجاح الحركة التعاونية .

٣ - يجب على الجمعيات التعاونية أن تغير من مبادئها القديمة فى ضوء التطورات والأحداث الجديدة . فلا بد من التفرقة بين النظم التعاونية ونظم الانتاج بقصد الربح بحيث تظهر الخلافات فى وضوح تام .

٤ - العمل على تحقيق ديمقراطية رأس المال بخفض قيمة السهم . ففى انجلترا تصل قيمة مايدفعه الشخص للحصول على سهم فى الجمعيات التعاونية شلنا واحدا على أن تتولى الجمعية الحصول على باقى قيمة السهم تلقائيا من العائد .

٥ – أن يكفل للحركة التعاونية الجو الملائم للعمل ، فلابد من مدها بالتمـــويل اللازم والخامات والتسهيلات والاحصاءات والبحوث والخبرات والكفايات الادارية .

٦ – ضرورة توافر عنصر الخدمة الممتازة وامتداده الى كافة المناطق ولعل هذا أيضا هـو سبب من أسباب نجاح حركة التعاون فى بعض البلاد مثل انجلترا وهولندا نتيجة لانتشار الفروع التى تسهر على خدمة المجتمع .

٧ – لابد من ادراك أن التعاون لاينجح فى كافة فروع النشاط الصـــناعى أو التجارات ولذلك يجب أن نقصر الحركة التعاونيـــة فى البداية على أوجه النشاط التى ثبت نجـاحه فيها .

٨ – توفير قدر من السيولة . فلا شك أن أحد مزايا الشركات الكبيرة امكان بيـــع أسهمها فى بورصات الأوراق المالية بينمــا يصعب أن تتوافر السيولة فى أسهم الجمعيات التعاونية .

٤ – اشتراكية الاسلام Islam Socialism

تقوم اشتراكية الاسلام على المبادىء التالية :

١ – نظام الملكية المحدودة .

٢ – نظام الانتاج الاشتراكى .

٣ – نظام التوزيع الاشتراكى وتقـوم على اشتراكية الضروريات .

٤ – الحث على العمل .

٥ – الحرب على الطغيان المادى .

والمقصود بالملكية المحدودة فى الاسلام أنها ملكية لاتطلق الحرية لصالحها وعليه عـــدم اساءة استخدام رأس المال أو اساءة التصرف فيه ، وأن لايتجاوز فى الاستهلاك حدود الحاجة والعرف وأن يوجه رأس المـال الوجهة التى تخدم صالح الجماعة والأمة . فهى تحد بطابع الوكيل . فالمال هبة من الله ولذلك يجب أن يدرك المالك مسئوليته .

وقد أقام الاسلام العقبات فى طريق الثراء الفاحش اذ اعتبر الأموال غلا فى أعناقهـم ، و « فالدينار عليك طالما هو بين يديك ، فاذا خرج من بين يديك صار لك ، وفى الحديث عن رسول الله قال « **اللهم احينى مســكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين** »

ثم هناك الزكاة وهى مفروضة على الأغنياء وأعفى منها ذوو الدخول المحدودة وتؤخذ على البدن كزكاة الفطر ، وعلى الزروع وعلى التجارة والمعادن وعلى رأس المال ،ومن ثم لاتحدث ظاهرة التركيز بل تصبح الزكاة أداة تحطيم رءوس الأموال وتحول دون نموه ، والزكاة حق وواجب على الأغنياء يؤدونه للمجتمع . ومن المعـروف أن أبا بكر – رضى الله عنه – حارب لتأديب الممتنعين عن أدائها .

على أن حق المال فى الاسلام ليس قاصرا على الزكاة أو البر أو الصدقة أو الكفارات وانما حق المال ممتد الى حد صلاح النـــاس وصلاح المجتمع . وفى هذا يقول الله تعـالى «**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لايكلف الله نفســا الا ماآتاها** .»

أما نظام الانتاج الاشتراكى فيقوم عـــلى أساس أن الطيبات والسلع مشاع بين الناس فلم يبح الاسلام لصاحب المال أن يتمتـع بما يتمتع به سواه بل الزمه أن يتقاســم الطيبات وماتدره الأرض من انتاج من طعـام وشراب وملبس وفراش ومطايا مع ذوى القربى وجيرانه وخدمه .

أما نظام التوزيع الاشتراكى فأساســـه اشتراكية الضروريات .. فالاسلام وان كان يقر الملكية الفردية الا أنه أيضا يوجب عـدالة التوزيع . فقد قال الرسول ان المسلمين شركاء فى ثلاثة :

أ) الماء .

ب) والنار .

ج) والكلأ « وفى قول آخر استبدال الكلأ بالملح » ٠

فالماء أساس الحياة فقد ورد فى القرآن « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** » والنار مصدر الحرارة ، والكلأ كان لازما للرعى فى الجزيرة العربية والملح من الضروريات التى يحتاج اليها الناس ٠ أى أنها اشتراكية الضروريات تتعدى هذه الأمور الثلاثة التى ذكرت على سبيل المثال الى العلاج والتعليم والرعاية الاجتماعية ٠٠ الخ ٠

ومن التسهيلات التى أراد بها الاسلام رفع مستوى ذوى الحاجة الاقراض بلا شرط فالقرض لايجوز أن يكون له عائد أو فائدة ٠ فكل قرض جر نفعا للمقرض فهو ربا ٠

أما الحث على العمل وتكريمه فهو أحد خصائص الاسلام المميزة له ٠ وقد قال الله تعالى « **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** » بل ان الاسلام يقدس العمل ويرفعه فوق عبادة الخلاق ٠ وعائد العمل فى الاسلام يجب أن يكون فى المستوى الذى يضمن للعامل مقومات الحياة ٠

كما أن الاسلام يعلن الحرب على الطغيان المادى ، فهو يكره الفقر لا من أجل الفقراء والجماهير وحدهم ، بل من أجل مصلحة الأغنياء أيضا لأن كثرة المال تفسد الطباع ٠

لقد ورد فى القرآن الكريم « **يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله** » ٠ وقد أقام الاسلام السدود أمام الثراء الفاحش وحرم الربا تحريما منكرا وحرم وسائل الغنى العارض ، وحارب الاسراف فى المأكل والمشرب واللباس والأثاث والمسكن ٠

لقد ورد على لسان أبى بكر الصديق « **يحل لى حلتان : حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ وما أحج عليه وأعتمر من الظهر ، وقوتى وقوت أهلى كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم** » ٠ **وقد ورد فى القرآن الكريم** « **ان الله لايحب المسرفين** » ، « **والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » ٠ فالاسلام يدعو الى التقارب فى الطاقات المادية ، والتوسط هو أسلوبه فى محاربة الطغيان المادى فهو يحارب الفقر الذليل ويدعو الى التكافل الاجتماعى ٠ ان اشتراكية الاسلام اشتراكية عدالة تحرص على عدالة التوزيع وتكافؤ الفرص واشراك أكبر قدر من الناس فى الخير ومن ثم تمهد السبيل لمساواة انتاجية معلنة الحرب على أسباب الطغيان المادى ٠

ومن هذا العرض يتضح مدى تقدم اشتراكية الاسلام على النظم المقارنة الأخرى ٠

رمضان في الدين والتاريخ والأدب

الأستاذ طاهر الطناحي

طلع علينا هلال رمضان فى عهـد مشرق ساطع هو عهد الاشتراكية السـمحة ، وفى وقت يسير فيه التنظيم الاشتراكى بنجاح يشمل جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة ليحقق أهدافه الاجتماعيةوالوطنية التى تقوم على العدالة والمساواة ، وعلى التعاون وحشـد المواهب والجهود فى سبيل بناء مجتمع قـوى سليم يتغلب على آفات الجهل والفقر والمرض وعلى أسباب التـأخر والانحطاط التى دفعت اليها مطامع الطغيان والاستعمار وعاشت فيها الأمة ردحا سيئا من ازمان ٠

واذا كان هناك شهر من شهور السنة يتسم بالاشتراكية والحض على نظامها وفوائدها ، فانما هو رمضان المبارك الذى ماشرع الله فيه الصيام الا ليشعر بآلام الجوع من نعم بلذة الشبع ، فيعطف على من جاع من اخوانه فى الاسلام وفى الوطن والانسانية ، ويتساوى الجائع بالشابع ، ويأخذ المحروم من المحظوظ حقا يتساوى به فى الانسانية ، وان لم يتساو معه فى مكانته الاجتماعية ، اذ النـاس فى الانسانية كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم :

« **الناس سواسية كأسنان المشط » فـلا فضل لانسان على انسان الا بالتقوى ٠** ولم يفضل الاسلام الناس بعضهم على بعض بالمال ٠ اذ المال عرض زائل ، وقد يكسب المال ويقتنى من وجوه غير شرعية ٠ أما التقوى فانها عمل النفس والقلب ٠ وهى مصدر الرزق كمـا قال تعالى : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسـب** » أى ييسر له أعماله ، ويحل له مشكلاته ، ويرزقه من وجوه الرزق الحلال مالم يكن يحسبه أو يفكر فيه.

وقد قال على بن أبى طالب رضى الله عنـه « **قيمة كل انسان مايحسنه** » ولم يقل قيمة

كل انسان مايكسبه من مال ، وما يجمعه من جاه وثروة !..

ورمضان هو الشهر الرابع من الأشهر الحرم ، والتاسع من شهور السنة القمرية ، ولكنه الشهر الوحيد الذى ذكره الله فى القرآن الكريم واختصه بركن من أركان الاسلام عظيم ، وهو « الصيام » . وقد أنزل فيه لأول مرة القرآن الحكيم فقال تعالى : **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ..»**

ولم نعرف شهرا من الشهور وصف بالمبارك والكريم غير رمضان المبارك ورمضان الكريم حتى لقد ذهب البعض الى أنه من أسماء الله الحسنى لأن له طابعا أسمى ومكانة أجل وأسنى .

وسواء أكان اسمه مشتقا من الرمضاء لأن تسميته بهذا الاسم وافقت « شدة الحر » أم أن الصيام فيه يحرق الذنوب والآثام ، فانه على كل حال شهر الأدب النفسى والصفاء الروحى والسمو الخلقى ، والعطف الانسانى ، وشهر الارادة القوية ، والمعونة الأخوية ، وشهر الخيرات والبركات .

وقد قال تعالى فى القرآن الكريم :

«يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون» .

والصوم ثلاثة أنواع صوم عموم ، وصوم خصوص ، وصوم خصوص الخصوص .

فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة .

وصوم الخصوص هو «الى ذلك» كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ..

وصوم خصوص الخصوص هو - الى ماتقدم - صوم القلب والعقل عن الأمور الدنيئة ..

وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « **زكاة الجسد الصيام** » وقال « **للصائم فرحتان : فرحة عند افطاره ، وفرحة عند لقاء ربه** »

وقال أحد المفسرين السابقين فى قوله تعالى : « **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية** » انها أيام الصوم ، تركوا فيها الطعام والشراب .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لو يعلم الناس مافى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ، ولو أذن للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة** » ! .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **ان لكل صائم دعوة ، فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره ياواسع المغفرة اغفر لى** » .

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « **من صام رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فاذا انسلخ عن الشهر وهو حى ، لم يكتب عليه خطيئة لله حتى الحول ، ومن عطش نفسه فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا ، كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة** »

وقد امتاز رمضان بمزايا غير الصيام ، بأن كانت فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، وفيه فتح النبى - صلى الله عليه وسلم - « مكة » فى السنة الثامنة من الهجرة وانتصر فى موقعة بدر على المشركين ، وفيه كثير من الأحداث التاريخية الكبرى وفيه شبع من جوع وكسوة من عرى للفقراء . وقد عنى الاسلام بالبر بالفقراء والمساكين عناية كبيرة وأكثر من الحض عليه فى القرآن والأحاديث النبوية حتى كاد يكون البر بهم فرضا على كل مسلم .

وكان المسلمون فى العصور الأولى يخفون الى معونة اخوانهم المحتاجين وخاصة فى رمضان بلا دعاية ولا اثارة للقلوب والأذهان . ولكن طغيان المادة فى العصور المتأخرة أنسى الكثيرين هذا الواجب الانسانى وهذه التعاليم الدينية حتى أن « السلطان أحمد بن طولون » لما تولى حكم مصر دعا الأغنياء فى قصره الى وليمة كبيرة فى أول يوم من أيام رمضان ولما انتهوا من تناول الطعام قال لهم :

« **اننى لم أجمعكم أيها الأغنياء حول هذه الموائد الا لأفكركم بالبر بالفقراء فى رمضان**

فانا أعلم أنكم لستم فى حاجة للطعام والشراب .. وانى آمركم أن تفتحوا الآن بيوتكم وتمدوا فيها الموائد وتهيئوها بأحسن أنواع الطعام ليهنأ بها الفقير المحروم » ! ..

وقد وصف شوقى أدب الصيام فى كتابه « أسواق الذهب » .. فقال :

« حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع . لكل فريضة حكمة . وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة . يستثير الشفقة ويحض على الصدقة . يكسر الكبر . ويعلم الصبر . ويسن خلال البر . حتى اذا جاع من ألف الشبع وحرم المترف أسباب المتع عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه اذا لذع » !

وقد احتفل المسلمون بشهر رمضان وصيام رمضان حتى أصبح هذا الشهر موسما يحتفل به كل عام وصارت لياليه أعظم ليالى العام أنسا وبهجة وأكثرها عبادة وتقوى وأحياها زينة وحركة ومسرة . وقد وصف الشاعر ابن ظافر ليلة من هذه الليالى المباركة فقال :

وليلة صوم قد سهرت بجنحها
على أنها من طولها تعدل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا
من الشهب قد أضحت مساميره تبرا
ولاح المنار المشرق اللون حاملا
لفانوسه والأفق قد أطلع الزهرا

ولقد حفظ التاريخ للفاطميين حفاوة بشهر رمضان تفوق حفاوة غيرهم من دول الاسلام وعهودها المتتابعة وذلك لسببين : **الأول ـ أن فتحهم لمصر كان فى شهر رمضان** ، وكان وصول المعز لدين الله اليها فى هذا الشهر أيضا . **والسبب الثانى ـ أنهم اتخذوا من أيامه ولياليه دعاية لحكمهم ووسيلة لجمع السكان حولهم** واقبالهم عليهم بما ابتدعوه من عادات وولائم ومسرات حتى بلغ ماكانت تصنعه مطابخ المعز لدين الله للفقراء فى كل ليلة من ليالى رمضان ١٢٠٠ قدر من الطعام والحلوى . !

وكان الخليفة والوزراء والجيش يشتركون فى الاحتفال برؤية الهلال ويسهرون مع أبناء الشعب فى المساجد والقصور لسماع آى الذكر الحكيم وأشعار المديح فى النبى الكريم . وقد ابتدعوا صلاة الخليفة للجمعة فى الأزهر كل أسبوع ، وصلاته للجمعة الأخيرة ، أو للجمعة اليتيمة فى جامع عمرو بن العاص ..

ومن عهد الفاطميين عرفنا فانوس رمضان . فقد وصل المعز لدين الله الى القاهرة من شمال أفريقيا فى المساء ، فخرج القاهريون الى الجيزة يستقبلونه بالفوانيس المزدانة بالألوان فبقيت هذه العادة التى يهتم بها الأطفال الآن كلما حل شهر رمضان ! وقد زاد المماليك على قراءة القرآن فى المساجد قراءة « البخارى » فى الأحاديث النبوية الى أن ينتهى بنهاية شهر رمضان .

وقد تبارى الشعراء والكتاب فى وصف رمضان وطول نهاره وما فيه من صيام وقيام وفطور وسحور وغبطة وسرور فمن ذلك قول على بن الرومى الشاعر :

شهر الصيام مبارك
مالم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت فى نفس العذاب

وشهر (آب) هو شهر أغسطس باسمه السريانى وقد وصل أحد الشعراء هذين البيتين بثالث فقال :

واليوم فيه كأنه
من طوله يوم الحساب

وقال ابن عون الكاتب فى وصف الصوم فى الربيع :

جاءنا الصوم فى الربيع فهلا
اختار ربعا من سائر الأرباع
وكأن الربيع فى الصوم عقد
فوق نحر غطاه فضل قناع

ووصف شاعر آخر جارية جميلة كانت تعزف على طبلة المسحراتى فى رمضان فقال :

عجبت فى رمضان من مسحرة
قالت ولكنها فى قولها ابتدعت
تسحروا ياعباد الله قلت لها :
كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

وكتب بديع الزمان الهمذانى الى أحد أصدقائه كتابا جاء فيه :

« كتابى - أطال الله بقاك عن شهر رمضان عرفنا الله بركة مقدمه ويمن مختتمه وخصك بتقصير أيامه واتمام صيامه ، فهو وان عظمت بركه ، ثقيل حركته ، وان جل قدره طويل أمره • جعل الله قدومه سبب ترحاله وبدره فداء هلاله .. »

ومن الأدعية الأدبية التى صاغها أدباء العربية فى التهنئة برمضان قولهم :

« ساق الله تعالى اليك سعادة اهلاله ، وعرفك بركة كماله - قسم الله لك من فضله ووفقك لفرضه ونفله - أعاد الله اليك أمثاله ، وتقبل منك أعماله ، وأصلح فى الدين والدنيا أحوالك ، وبلغك منها آمالك وأسعدك الله بهذا الشهر • ووفاك فيه أجزل المثوبة والأجر .. ووفر حظك من كل مايرتفع من دعاء الداعين وينزل من ثواب العاملين وقبل مساعيك وذكاها ورفع درجاتك وأعلاها وبلغك من الآمال منتهاها وظفرك بأبعدها وأقصاها • »

أما كنافة رمضان وقطايف رمضان فقد نظم الشعراء فيها كثيرا من الأشعار منذ ظهرا على موائد الطعام ، فقال الشاعر المصرى أبو الحسين يحيى المعروف بابن الجزار :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكرا دائم الذر
وتبا لأوقات المخلل انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وقال زين الدين القاضى فى القطايف :

لله در قطايف محشوة
من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت فى صحنها
بجقاق عاج قد حشين زبرجدا

وقال آخر فى القطايف أيضا :

هات القطايف ها هنا
فالصوم حببها لنا
قد كان ياكلها أبى
وأخى وأكرهها أنا
لكننى مذ ذقتها
ذقت السعادة والهنا

وبالشفا والهنا والصحة والسعادة أيها القراء الكرام ممن يحبون القطايف والكنافة فى شهر الصيام وأعاده الله عليكم بالخير والبركات •

سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى الصدقة أفضل ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : « أن تتصدق وأنت صحيح شحيح • تأمل البقاء وتخشى الفاقة » •

قطوف

الأستاذ على الجندى

رشاد

رمضـــــان :

اختلف فى اشتقاقه ، فقيــــل : انه من الرمض بوزن سبب ــ وهو شدة الحر ــ قال ابن دريد : لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة العربية ، اسموها بالأزمنة التى وقعت فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته فسمى به ، ثم كثر استعمالها فى الأهلة وان لم توافق ذلك الزمان .

وقيل فى اشتقاقه غير ذلك .

اسماء رمضان :

له أسماء كثيرة ــ عدا رمضان ــ تبلــغ الستين ، منها : شهر الله ، وشهر الآلاء ، وشهر القرآن ، وشهر النجاة .

جمع رمضان :

جمع رمضان : رمضانات ، ورمضانون ، ورمضانين ، وارمضــة كاسلحة ، وأرمض كأسقف .

وكان مجاهد يكره ان يجمع رمضـــــــان ، ويقول : بلغنى انه اسم من أسمائه ــ تعالى ــ وأسماؤه لا تجمع .

كيف ينطق :

المشهورة فى نطقه : ان يسبق بلفظة شهر ، ومثله فى ذلك ربيع الأول وربيـــع الآخر ، ورجب .

ولا يذكر الشهر مع بقية الشهور ، تقول : انقضى شعبان ، واقبل شهر رمضان .

والحق أن رمضان جاء فى بعض الأحاديث الصحيحة بدون لفظة شهر ، وعلى هذا فلا يكره افراده عن شهر ، وهو رأى الجمهور ، والمختار عند الحنفية ايضا ، ونقل عن أصحاب مالك الكراهة وكثير من الشافعية ، على أنه ان كان هناك قرينة تصرفه الى الشهر فلا كراهة .

متى فرض صومه ؟!

فرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، وتوفى الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ وقد صامه تسع مرات .

فضل رمضان :

قال ــ تعالى ــ : « **شهر رمضـــان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** »

وقال وكيع فى قوله ــ تعالى ــ : « **كلــوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية** » انها أيام الصوم فى الدنيا .

وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « **من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** »

وقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ مخبــرا عن ربه : « **كل عمل ابن آدم له الا الصــوم فانه لى وأنا أجزى به** » .

قال العلماء : وقد يكتفى فى بيان فضله بهذا الحديث الجليل .

نية الصوم :

نية صوم رمضان واجبة كل ليلة عند الشافعى وابن حنبل وابى حنيفة ، وقال مالك : تكفيه نية واحدة من أول رمضان . ووقت النية من الغروب الى الزوال عند أبى حنيفة ، وعند الشافعى وابن حنبل من الغروب الى الفجر .

رمضان عند النساك :

مر الحسن البصرى على قوم يضحكون فى رمضان ، فقال : ان الله – تعالى – جعل رمضان مضمارا لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا !! فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ، ويخسر المبطلون !! اما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ، ومسىء باساءته عن تجديد ثوب ، وترطيل شعر « اى تليينه وتدهينه » .

وقال عبد القادر الكيلانى : السنة شجرة ، ورجب أيام ايراقها ، وشعبان أيام اثمارها ، ورمضان أيام قطافها .

وقال ابو بكر الوراق : مثل رجب مثل الرياح ، وشعبان كالسحاب .. ورمضان كالمطر .

وقيل : رجب شهر القاء البذر ، وشعبان شهر السقى ، ورمضان شهر الحصاد .

درجات الصوم :

قال الغزالى : اعلم ان الصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص .

اما صوم العموم ، فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

واما صوم الخصوص ، فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن الآثام .

واما صوم خصوص الخصوص ، فصوم القلب عن الهمم الدنية ، والأفكار الدنيوية ، وكفه عما سوى الله بالكلية .

وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين .

وقد كان أرباب القلوب يقولون : من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل ، وقلة اليقين برزقه الموعود .

وكان سفيان الثورى يعد الغيبة مفسدة للصوم .

وفى ذلك يقول الشاعر الأندلسى : ابو بكر ابن عطية :

اذا لم يكن فى السمع منى تصون
وفى مقلتى غض ، وفى مقولى صمت
فحظى اذن من صومى الجوع والظما
وان قلت : انى صمت يوما فما صمت

وأصل ذلك كله قول الرسول – عليه الصلاة والسلام – : **« كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش »**

توقير رمضان :

يقول الصفورى الشافعى : لو امتنع انسان من الصوم لغير حاجة ، حبس ومنع من المفطرات .

وكان سعيد بن المسيب أحد فقهاء المدينة السبعة ، وسيد التابعين فى بعض الأقوال : يوجب فى قضاء رمضان صوم شهر عن كل يوم .

ونقل عن الأوزاعى امام الشام : انه يجب فى قضاء رمضان ثلاثة آلاف يوم !!

وهذا كله من التغليظ على منتهك حرمة الشهر الكريم بلا مقتض ، والا فالكفارة الشرعية معروفة .

وقد كان أبناء الأديان الأخرى يوقرون شعور اخوانهم المسلمين فى رمضان ، فلا يطعمون ولا يشربون امامهم نهارا ، بل بعضهم كان يصوم رمضان تبعا لهم كالأديب العظيم ابى اسحاق الصابى .

ويروى بعض المؤرخين : ان احد المجوس راى ابنه يأكل فى رمضان ، فضربه ، وقال له هلا حفظت حرمة المسلمين فى رمضان ؟!

ولم يتطرق الانحلال الى هذه العادة النبيلة ، الا بعد ان راى غير المسلمين ان

المسلمين انفسهم لا يرعون حرمة الصيام ، فباتوا لا يرجون وقارا ، وصدق من قال :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بهـا كانت على الناس أهونا

بعد الهمم فى رمضان :

قال الأصمعى : هجم على شهر رمضان — وأنا بمكة — فخرجت الى الطائف لأصوم بها هربا من حر مكة ، فلقينى أعرابى . فقلت له : أين تريد ؟

قال : اريد هذا البلد المبارك ، لأصوم هذا الشهر المبارك فيه !!

فقلت : أما تخاف الحر ؟

فقال : من الحر أفر !!

وقيل للأحنف بن قيس : انك شيخ كبير ، وان الصيام يضعفك !!

فقال : انى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله ، أهون من الصبر على عذابه .

وقال عبد الله بن المبـارك : ركبت مع محمد بن النضر الحارثى السفينة ، فقلت له : ما تقول فى الصوم فى السفر ؟

فقال : انما هى المبادرة !

قال ابن المبارك : فجاءنى والله بفتوى غير فتوى ابراهيم والشعبى .

وقيل لرجل من الصالحين : كيف تقـوى على الصوم فى هذا الحر ؟

فقال : من عرف قدر من يسأله ، هان عليه ما يبذله .

الاحتفال برمضان :

تعنى الدول الاسلامية وشعوبهـا عناية فائقة بقدوم رمضان ، فمن ذلك الاستزادة من انارة المساجد عند رؤية هلاله ، يقـول أحمد بن يوسف الكاتب العباسى : أمرنى الخليفة المأمون : ان اكتب الى جميع العمال فى أخذ الناس بالاستكثار من المصابيح فى شهر رمضان ، وتعريفهـم ما فى ذلك من الفضل .

قال : فما دريت ما اكتب ولا ما اقول فى ذلك ، اذ لم يسبقنى اليه احـد فأسلك طريقه ومذهبه .

ثم انى نمت وقت القيلولة ، فأتانى آت فى المنـام ، فقال : اكتب ، فان فى ذلك أنا للسـابلة ، واضاءة للمتهجدين ونفيا لمظان الريب ، وتنزيها لبيوت الله من وحشـة الظلام !!

وكان فى أول يوم من رمضان يرسل من دار الخلافة الفاطمية بالقاهرة المعزية لجميـع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم ، لكل واحد طبق ، ولكل واحد وواحـدة من أولاده ونسائه طبق ، فيه حلواء ، وبوسطه صرة من ذهب ، فيعم ذلك سائر أهل الدولة ، ويقال لذلك : غرة رمضان .

ويقول الصاحب بن عباد : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا رمضان ، وقـد حضر الفقهاء والمتكلمون للمنـاظرة — وأنا اذ ذاك فى ريعان شبابى — فلما تقوض المجلس، وانصرف القوم — وقد حل الافطار — انكرت ذلك بينى وبين نفسى ، وعجبت من اغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته !!. فعاهدت الله الا اخل بما أخل به ، اذا قمت يوما مقامه !!

فكان الصاحب لا يدخل عليه أحد فى شهر رمضان بعد العصر — كائنا من كان — فيخرج من داره الا بعد الافطار !!

وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من الف نفس تفطر فيها .

وكانت أعطياته وصدقاته ونفقـاته فى رمضان تبلغ ما يطاق منها فى جميع السنة !!!

ولم يكن الخلفاء والأمراء يتكبرون علـى الصعود مع القضاة والشهـود الى الأماكن العالية لرؤية هلال رمضان .

يقول الأصمعى : صعدت مع الرشيـد — رحمه الله — مكانا عاليا ننظر هلال رمضان . فقال الأصمعى ، يا امير المؤمنين ، ما معنى قول هند بنت عتبة الأموية :

نحـن بنـات طـارق
نمشى علـى النمارق

فقال الرشيد : الطارق : الكوكب الذى فى السماء .

فقال الأصمعى : اصبت يا أمير المؤمنين . فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم !!

فكاهات رمضان :

جاء رجل الى ابى هريرة فى رمضان ، فقال: دخلت دارا فأطعمونى وانا غير ذاكر ، فقال له : اطعمك الله وسقاك !!

قال : ثم دخلت دارى فاتصلت بزوجتى وانا غير ذاكر !! فقال له ابو هريرة : ليس هذا فعل من تعود الصيام !!

وقدم أعرابى على ابن عم له بالحضر فأدركه رمضان ، فقيل له : لقد أتاك شهر رمضان .

فقال : وما شهر رمضان ؟ قالوا : الامساك عن الطعام .

قال : أبالليل أم بالنهار ؟ قالوا : لا بل بالنهار .

قال : افيرضون بدلا من الشهر ؟ قالوا : لا

قال : فان لم أصم ؟ قالوا : تضرب وتحبس!

فصام أياما فلم يصبر ، فارتحل عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمى - وقد زرت مصرهم
تهيأ - أبا عمرو - لشهر صيام

فقلت لهم : هاتوا جرابى ومزودى
سلام عليكم ، فاذهبوا بسلام

فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر
على ، ولا مناع أكل طعام

ودخل ليلا عيينة بن حصن الفزارى - وكان معروفا بالحمق - على عثمان - رضى الله عنه - ، فقال له عثمان : هل لك فى العشاء ؟ فقال : انى صائم !!

فقال عثمان : أمواصل انت ؟ قال : وما الوصال ؟ قال : تصوم يومك وليلتك ويومك حتى تمسى .

قال : لا ، ولكننى وجدت صيام الليل ايسر على من صيام النهار !!

وقدم أعرابى الى الوالى ، فقيل له : انه مفطر فى رمضان .

فقال الأعرابى : الله يعلم انى صائم ، ولكن وجدت حماوة فى فؤادى فأردت أن أطفئها بجرعة ماء !!

ومن النكات الطريفة : أن أبا القاسم بن القطان دخل على الوزير بن هبيرة فى يوم شديد الحر من أيام رمضان ، وعنده نقيب الاشراف ، وكان يرمى بالبخل !! .

فقال له الوزير : اين كنت ؟

قال : كنت فى مطبخ سيدى النقيب ؟

فقال الوزير : ويلك !! أفى شهر رمضان تدخل المطبخ ؟

قال : نعم ، كنت اكسر الحرفية !!

فتبسم الوزير ، وضحك الحاضرون ، وخجل النقيب !!

ومن الطرائف الشعرية ، قول ابن سكرة الهاشمى - يصف سوء حاله :

وهنوا بالصيام فقلت مهلا
فانى طول عمرى فى صيام

وهل فطر لمن يمسى ويضحى
يؤمل فضل أقوات اللئام

ويقول أسامة بن منقد فى السلطان نورالدين محمود - رحمه الله - :

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا
له ، فكل على الخيرات منكمش

أيامه مثل شهر الصوم خالية
من المعاصى،وفيها الجوع والعطش

ويقول ابن العميد فى قاض أفطر رمضان وصام يوم العيد :

يا قاضيا بات أعمى
عن الهلال السعيد

افطرت فى رمضان
وصمت فى يوم عيد

ادعية رمضان :

من ادعية رمضان قول بعضهم : ساق الله اليك سعادة اهلاله ، وعرفك بركة كماله . قسم الله لك من فضله ، ووفقك لفرضه ونفله . لقاك الله فيه ما ترجوه ، ورقاك الى ما تحبه فيما يتاوه . جعل الله ما اظلك من هذا الصوم مقرونا بأفضل القبول ، مؤذنا بدرك البغية ونجاح المأمول ، ولا أخلاك من بر مرفوع ، ودعاء مسموع . قابل الله - تعالى - بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهدجك وقيامك . عرفك الله من بركته ما يربى على عدد الصائمين والقائمين ، ووفقك لتحصيل أجر المتهجدين المجتهدين !!

تهاني رمضان :

من ذلك قول الشريف الرضى يهنىء الخليفة الطائع العباسى

تهن قدوم صـــومك يا اماما
يصوم مدى الزمان عن الأثام
اذا ما المرء صام عن الدنايا
فكل شهوره شهر الصيام

وقول عبد الصـــمد بن بابك – يهنىء الصاحب بن عباد :

كساك الصوم اعمار الأيالى
وأعقبـك الغنيمـة فى الاياب
ولا زالت سعودك فى خلود
تبـارى بالمدى يوم الحساب

ويقول المحسن – يهنىء ويذكر ليـلة القدر :

نلت فى ذا الصيام ما ترتجيه
ووقاك الاله ما تتقيـه
أنت فى الناس مثل شهرك فى الاشهر
بل مثل ليلة القـدر فيه

حلواء رمضان :

للحلواء أثر محمود فى رد قوة الصائم اليه، يقول وهب بن منبه : اذا صـام الرجل زاغ بصره ، فاذا أفطر على الحلوى رجع اليـه بصره .

ويقول الدكتور نجيب عبد السلام طبيب العيون : ان الصائم عادة يكثر من أكل الحلوى، وهذا يفيد العيون عموما ، والعيون المريضـة على وجه الخصوص !!

ومن السنة تعجيل الافطار على التمر كما كان يفعل الرسول – صلوات الله وسـلامه عليه – .

وأشهر حلواء رمضان : الكنافة والقطايف والزلابية .

وقد بلغ من شهرة الكنافة والقطايف : ان جلال الدين السيوطى جمع ما قيل فيهما فى كتاب سماه « منهل اللطـــائف فى الكنافة والقطائف » .

والكنافة – كما يقول ابن فضـــل الله العمرى – أول من اتخذها من العرب معاوية ابن أبى سفيان ، وكان يأكلها فى السحور ، وذلك انه شكا الى طبيبه الجوع – وكـان معاوية من الأكلة المشهورين – فوصفها له .

وفيها يقول الشاعر الفكه أبو الحسين الجزار المصرى – وهو من المكثرين فى وصفها:

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبـا لأوقات المخلل انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

والمراد بالقطر هنا : ما تسقى به الكنافة من الشهد وذوب السكر .

والقطائف : سميت بذلك تشبيها بخمل القطيفة التى تفرش . و فى القاموس : القطائف المأكولة لا تعرفهـا العرب ، وفيها يقول الصفدى :

أتانى صحن من قطـائفك التى
غدت وهى روض قد تبلل بالقطر
ولا غرو أن صدقت حلو حديثها
وسكرها يرويه لى عن «أبى ذر»

يريد بأبى ذر : السكر المسحوق .

اما الزلابية فلم يكثر الشعراء من وصفها، ويقال : انها مولدة والصحيح : انها عربيـة لورودها فى رجز قديم ، يقول ابن الرومى فى وصفها ووصف صانعها :

ومستقر علـى كرسيه تعب
روحى الفداء له من منصب تعب
رأيته سحـرا يقلى زلابية
فى رقة القشر والتجويف كالقصب
يلقى العجين لجينا من أنامله
فيستحيل شبابيك من الذهب

نسأل الله – تعالى – أن يسعد المسلمين بهذا الشهر !! ويقبل فيه أعمالهم ، ويصلح فى الدين والدنيا أحوالهم ، انه سميع مجيب !!

أدع إلى سبيل ربك

الدكتور مصطفى زيد

يا أخي القارىء ..

هل فكرت فى هذا الأمر الالهى الكريم ، ودرست فى شجاعة المؤمن ـ موقفك منه ؟ .

وهل حاسبت نفسك يوما على تقصيرك فى أداء هذا الواجب ، بل على نسيانك له تماما ، واهمالك القيام به ؟ .

وهل تعرف أنك باهمالك هذا الواجب تحول بين الملايين والاسلام ، وتتحمل وزر بقائهم على الكفر ؟ .

دعنى أتول عنك الجواب ، فقد أجد من الشجاعة على مصارحتك بحقيقة موقفك ، وبحكم الشارع عليه ـ مالا تجد مثله لو توليت أنت الجواب ..

على أنى قبل أن أجيب ـ أحب أن أنبه على أنه ليس من حقك أن تزعم اعفاء الشارع لك من واجب الدعوة ، بحجة أنها واجب رجال الدين ، فان الاسلام لايعترف بهذا النظام الكفى ، ولا يعفى من واجب الدعوة اليه أحدا ممن يدين به وقد أثبتت التجارب أن العامل والصانع والمزارع قد ينجحون فى دعوة زملائهم أكثر مما ينجح العلماء ، وقد يكون لمسلكهم الاسلامى ـ وهو من وسائل الدعوة ـ أثره الفعال فى اقناع من حولهم ، وتحبيب الاسلام اليهم والزامهم آدابه !

كذلك أحب ان أنبه قبل أن أجيب على أن المكابرة فى هذا المجال لاتجدى شيئا ، ولو استطعت بها اقناع من يأخذ عليك اهمالك فانك لن تستطيع بهذه المكابرة أن تخفى عن الله حقيقتك ، وهل يهتم المسلم الحق بشىء قدر مايهتم برضا الله عنه ؟

وأحب ثالثا أن أؤكد لك أننى لا أكتب فى هذا الموضوع ، لأحملك على الأسف والحزن بسبب تقصيرك ، اذا كان هذا الأسف هو الغاية التى سينتهى اليها تأثرك واحساسك بتقصيرك . اننى لا أحب لغة الشكوى ، ولا أرضاها لك وانما أحب أن يكون احساسك باهمالك بداية الانطلاق ، والعمل ، على النحو الذى يؤهلك له استعدادك ، وبيئتك ، وفى اخلاص يعدى من يستمع اليك بالانفعال لما تقول ، والتجاوب معك فيه .

من أجل هذا أكتب اليك هنا ياأخى القارىء وفى يقينى أن قلبك سيستجيب لى ، وان همتك ستدفعك الى مايمليه عليك قلبك . **فهل تسمح لى بعد هذا التمهيد، بأن أجيب عما صدرت به هذا المقال من تساؤل ؟**

أنت بطبيعة الحال لم تفكر قبل اليوم فى واجب الدعوة الى الاسلام ، لأنك أولا مشغول بنفسك ، وبمطالبها التى لاتنتهى الا لتبدأ ، وبرغباتها التى لايزيدها الشبع الا نهما .. ولأنك ثانيا لاتحس بالملايين التى لم تدخل فى الاسلام ، اذ لم تجد من يدعوها اليه عن فهم ، ولم تجد المسلم الذى يقدم لها صورة صادقة منه فى أخلاقه ومعاملاته .. ولأنك ثالثا لم تكلف واجب الدعوة فى نظر نفسك ، كأن غيرك يمكن أن يكفيك مئونته ، مع أن الاسلام لايتم لك الا به ، اذ هو من الدعائم التى ينبغى أن يحرص كل مسلم على اقامتها وحياطتها ..

وأنت بطبيعة الحال لم تدرس موقفك من واجب الدعوة ، لأنك لاتفكر فى أنك مطالب بهذا الواجب .. فان أنت فكرت فيه ، ودرست موقفك منه ـ فستنبرى نفسك لتبرير هذا الموقف فى بلاغة تغبط عليها ، لكنها بلاغة خاسرة !

ان الأعذار حينئذ ستنهال عليك من كل جانب ، وستنصب كلها فى طريق واحد غايته هى تبرئتك ٠ وغالبا تثمر هذه الأعذار ،فتئد تلك الأفكار التى تقض مضعجك ، ولا تدعك حتى ترضى عن نفسك ، وتنام هادئا ناعم البال !

ودعنى أنبهك ياأخى القارىء على المغالطات التى تكمن وراء تلك الأعذار ٠ **هل للنفس سلاح فى هذه المعركة الا سلاح المغالطة ؟ ٠٠**

ان نفسك تحدثك بأنك لم تقصر فى شىء ، وأنه ليس عليك شىء من تبعة ماهناك من تقصير ٠٠ وهى تتعلل مرة بأن بعد الشقة بينك « فى وطنك » وبين معظم الكفار « فى أوطانهم » يحول بينك وبين أن تدعوهم الى الدين الذى تؤمن به ٠ ومرة ثانية تتعلل بأن كثيرا من الكفار يتمتع بحماية دول قوية ، لاتستطاع الدعوة فيها ٠ ومرة ثالثة تتعلل بأنه لا أمل فى أن يسلم أولئك الكفار ، فتلك ارادة الله ، وهل نعاند مشيئته ؟ الى آخر تلك السلسلة التى لاتنتهى !٠٠

ولكن ، هل يحول بعد المسافة بيننا وبين الكفار ، دون قيامنا بدعوتهم الى الاسلام ؟

بل ، هل يعترف هذا العصر الذى نعيش فيه ببعد المسافة ، مع أن المسلم يستطيع أن يستقبل الصباح فى القاهرة ، ويتناول طعام الغداء فى لندن ، ثم لايبيت ليلته الا فى نيويورك ؟

على أنه لاضرورة للسفر ، وهناك أجهزة الارسال الأثيرى : من اللاسلكى ، والمذياع والتليفزيون ، وأجهزة الارسال المكتوب : من الصحف والمجلات ، يومية ، وأسبوعية ، وشهرية ، بل صباحية ومسائية ، وفى كل أولئك مجال أى مجال للدعوة ! ٠٠

واذا صرفنا النظر عن هذا كله ، فهل تخلو دولة فى العالم من المسلمين ، ولو قلة ؟ وهل يعجز هؤلاء عن الدعوة لدينهم ، بالمنهج السلوكى الذى يفرضه الاسلام على كل مسلم ، وبيان صفاء العقيدة التى ينادى الاسلام بها ، واتفاقها مع مايقضى به العقل والمنطق ، بيانا يمليه على الداعية المسلم فهمه لعقليات من يدعوهم ، ولطبيعتهم ، ولمنهجهم فى الحياة ؟!

وندع هذا العذر الموهوم « بعد المسافة » للنظر فى حماية الدول القوية لمواطنيها من الكفار ، وهو العذر الموهوم الثانى ، فنجد أننا أمام دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لا أمام معركة حربية يحتاج فيها المواطنون الى الحماية ٠٠! ونجد أن هذه الدول تفسح المجال عادة لكل خطيب ، وكل متكلم ، وكل كاتب ٠ بل هى تفسح فى محطات اذاعتها وتليفزيونها مجالا لكل متكلم ، مادام لايدعو الى مبادىء هدامة ٠ **والاسلام دين بناء لا هدم ، حتى فى نظر أعدائه وخصومه ، فلن يحال بين مسلم والدعوة الى دينه مادام يخاطب العقول ويعمل على اقناعها بالحجة والبرهان ، ومادام يلتزم أدب الاسلام فى العفة الواجبة ، فلا يطعن ولا يسب ولا يشتم !٠٠**

بقى العذر الثالث ، وانه لكلمة حق أريد بها باطل ٠ فصحيح أنه لايقع فى ملك الله الا ماأراد ، وقدر ، ومنه كفر الكفار ، لكن هذا ليس معناه أننا غير مطالبين بالدعوة الى الاسلام ، فقد يكون اسلام بعض هؤلاء الكفار ــ نتيجة للدعوة ــ مما سبقت به ارادة الله ٠ وما دمنا لانعلم ماذا يريد الله غدا ، فعلينا ألا ندخر جهدا ولا طاقة فى سبيل الدعوة الى الاسلام ، بحجة أن الله أراد للكفار الكفر !٠٠

على أن واجبنا نحن هو أن ندعو ، فنؤدى واجبنا باخلاص وأمانة ٠ أما نتيجة الدعوة فليست الينا نحن ، ولا هى من صنعنا ــ أيا كانت ــ فان شاء الله شرح صدور الكفار للاسلام، وان لم يشأ ظلوا على الكفر ولم نحمل نحن تبعة عدم دعوتهم ! ٠٠

واذا كان الله جلت حكمته قد قال لنبيه الكريم : « انك لاتهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء » وقال له : « وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، أن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مهتدون » ، وقال له أيضا : « ان أنت الا نذير » ، « ان عليك الا البلاغ »

« لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ـ اذا كان الله قد قال هذا لرسوله ـ وهو صاحب الدعوة فهل نعتذر نحن عن الدعوة بارادة الله للكفار الكفر ؟ وهل يقبل منا هذا العذر ان نحن اعتذرنا به ؟! ..

والآن ياأخى القارىء هل عرفت كيف خدعتك نفسك ، حين أفهمتك أنك لم تقصرفى واجب الدعوة الى الاسلام ؟..

انه ليس هناك عذر يعفيك من هذا الواجب فأنت مكلف أداءه ما حييت بكل وسيلة تتهيأ لك ، وبكل جهدك وطاقتك ، وبعملك وخلقك ومعاملتك ، وبما تستطيع من أساليب البيان ، والاقناع ، وفى كل مجال تستطيع أن تدعو فيه وأنت موفور الكرامة ، مطمئن على حياتك !..

ومن حقك على حكومتك المسلمة أن تحميك وتؤمنك ، مادمت تؤدى واجبك هذا فى أسلوب يقره العرف الدولى ، وبطريقة يرتضيها نظام الدولة التى تدعو فيها ..

ومن واجب المجلس الأعلى للشئون الاسلامية أن يقوم بنصيبه الكبير فى هذا المجال ، مستعينا بكل من يجد فيه عونا له على أداء هذه الرسالة الكبرى ، فيؤلف المختصون من أعضائه الكتب التى تحلل العقيدة الاسلامية ، والعبادات الاسلامية ، والمعاملات ، والأخلاق ، كما يعرفها ويرضاها الاسلام ، على أن تترجم هذه الكتب الى كل لغة ، وتطبع منها أعداد كبيرة توزع فى البلاد التى تتكلم اللغة المترجم اليها .. ويتعاون مع الأزهر والجامعات الأخرى فى ارسال الدعاة الى كل بلد يحتاج الى الدعوة !..

ولست أدرى ، ما الذى يحول دون تخصيص محطة ارسال اذاعى للدعوة الاسلامية ، توجه الى جميع الشعوب ، وتخاطب كل شعب باللغة التى يتكلمها ، وتتغيا بيان حقائق الاسلام ، واظهار سماحته واتفاقه مع الفطرة ؟ . ان تخصيص محطة لهذه الاذاعة أصبح ضرورة لامفر منها ، وبخاصة أنها لن تكلفنا الكثير من الأموال ، ولن تفرض علينا جهدا زائدا فوق ما نبذله الآن ! ..

ان العالم فى هذا العصر يعانى كثيرا من المشكلات التى لايحلها الا الاسلام ، فالتفرقة العنصرية التى تثير بين كل حين وآخر صعوبات ومشاكل فى أمريكا نفسها ، والتى انتهت «فيما يتعلق بافريقيا » بطرد جنوب أفريقيا من المنظمة الدولية الكبرى ـ هذه التفرقة لايعرفها الاسلام ، ولا يقرها ولا يرضى عنها ! .. والسباق الدولى الذى لايهدأ ، فى التسلح بالأسلحة النووية ، والايدروجينية وفى السيطرة على الفضاء ـ لايرضاه الاسلام ، ولا يقره !.. والرأسمالية التى تستنزف جهد الناس وطاقاتهم ، بل جهد الدول الكثيرة برمتها وطاقاتها ـ كالباشفية التى تشبع الفوضى بين الناس ، وتجعل منهم آلات تسخرها الدولة لما تريد ، دون تفكير ولا تدبر منهم ـ كلتاهما نظام مخطىء مجحف بانسانية الانسان فأولهما يجعل من الانسان عبدا للمادة ، وثانيهما يجعل منه عبدا للدولة ، والاسلام لايقر العبودية لغير الله ، ولا يرضاها ، ولا يقبلها !..

وحيال هذه المشاكل ـ وهى قليل من كثير ـ يأمرك الله عز وجل ياأخى القارىء أن تدعو الى الاسلام دين السلام ، دين الفطرة دين الحرية والاخاء والمساواة ، دين العزة والكرامة لكل انسان ، فهل تستجيب لأمر الله ، فتؤدى حق الانسانية عندك ، وواجب الاسلام عليك ؟ هل تسمع فى تدبر لقول الله جلت حكمته : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ؟ ولقوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » ؟!

وفقنا الله جميعا لما فيه نصر دينه ، واعلاء كلمته .

رمضان شهر الأمانة والايمان

فضيلة الشيخ منصور رجب

شهوة البطن هى مصدر الآفات وسبب النكبات : أليست هى التى كانت سببا فى طرد أبينا آدم من الجنة ؟

نعم ، شهوة البطن كانت هى السبب .. ويحكى القرآن الكريم فى ذلك ـ فى سورة الأعراف ـ فيقول :

« ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما وقال : مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . قال: فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » .

هذه القصة تحكى لنا أن شهوة البطن سبب هتك الستر . وسبب الظلم . وسبب العداوة .. وعلى الجملة سبب كل نكبة فى هذه الحياة . وهكذا أصبحت شهوة البطن مصدر الشهوات ومبعث الآفات . ومنها تتولد المفاسد وينشأ الحسد والبغضاء الى غير ذلك من أنواع السيئات .

والسيئات أغلبها نابتة من شهوة البطن . ولهذا جاءت كل الشرائع بالصوم تربية لهذه الشهوة وتهذيبا ، ويشير القرآن الكريم الى ذلك فيقول ـ فى سورة البقرة ـ : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له . وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ، شهر

رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للنـاس وبينات من الهدى والفرقان • فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخـر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » •

وبمقتضى هذا النص الكريم ، فالصيام قد كتب على أهل الملل السابقة فكان ركنا من كل دين لأنه من أقوى ذرائع التهذيب • وفى اعلام الله تبارك وتعالى لنا بأنه كتبه علينا كما كتبه على الذين من قبلنا اشعار بوحدة الدين فى أصوله ومقصده • فالصوم مشروع فى كل الملل حتى الوثنية : عرفه قدماء المصريين • وعرفه اليونان • والرومان • ووثنيو الهند • وعلى الجملة عرفته كل الملل وكل الأمم • غير أنها تختلف فى طريقة الصوم• فمثلا : شريعة « مانى » كان فيها الصوم على هذا النحو ـ كما يروى ذلك ابن النديم فى كتابه الفهرست : اذا نزلت الشمس القوس وصار القمر نورا كله يصام يومان لا يفطر بينهما • فاذا أهل الهلال يصام يومان لا يفطر بينهما •• ثم من بعد ذلك يصام اذا صار نورا يومان فى الجدى •• ثم اذا أهل الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام يصام حينئذ ثلاثون يوما يفطر كل يوم عند غروب الشمس •

وصام موسى ـ عليه السلام ـ أربعين يوما • وأشهر صوم وأقدمه فى المسيحية الصوم الكبير الذى قبل عيد الفصح • وهو الذى صامه موسى • وكان يصومه عيسى ـ عليهما السلام ـ •

ويعتقد الوثنيون أن الصوم لتسكين غضب الآلهة اذا عملوا ما يغضبهم ، أو لارضائها واستمالتها الى مساعدتهم فى بعض الشئون والأغراض • وكانوا يعتقدون أن ارضاء الآلهة والتزلف اليها انما يكون بتعذيب النفس واماتة حظوظ الجسد • حتى جاء الاسلام يعلمنا أن الصوم ونحوه من العبادات انما كان ليعدنا للسعادة بالتقوى • ولذلك يقول تبارك وتعالى : « لعلكم تتقون » ، فالله غنى عنا وعن عملنا • وما كتب علينا الصيام الا لمنفعتنا نحن •

والصوم سر بين العبد وربه لا يطلع عليه الا علام الغيوب ، وهو أعظم مرب للارادة التى هى الانسان على الحقيقة •• فالانسان يساوى ارادة •• وانسان ناقص ارادة لا يساوى شيئا •• والصوم تربية للنفس بالاقلال من الأطعمة والأشربة لأن ذلك من شأنه أن يجدد قوى النفس وأن يضعف شهواتها التى تنشأ عنها المعاصى ، ولهذا كان يقول ـ صلوات الله عليه ـ :

« بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » • وكان يقول : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » • ويقول: « ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه بالجوع » • وفى حديث آخر كان يقول : «نور الحكمة الجوع •• فلا تشبعوا بطونكم فيطفأ نور الحكمة فى صدوركم فان الحكمة تسطع فى القلب مثل السراج » •

وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ :

« أول بدعة حدثت بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى الشبع ، فان القوم لما شبعت بطونهم جمحت نفوسهم الى هذه الدنيا » •

والصوم عمل سلبى فى الظاهر بالامساك عن الطعام والشراب من الفجـر حتى غروب الشمس • ولكنه لا يتحقق الا بعمل ايجابى من ناحية القلب بالنيـة • والصبر • وكثرة المراقبة •

والانسان بصومه يصل الى مجموعـة من الفضائل فهو بهذا الاعتبار من أفضل العبادات لبعده عن شائبة الرياء كما يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« الصيام لا رياء فيه » وكما جاء فى الحديث القدسى : « الصيام لى وأنا أجزى به ، يدع عبدى طعامه وشرابه من أجلى » ••

وهو من العبادات التى ترتكز أصـلا على الصبر : فهو صبر على طاعة الله • وصبر على آلام الجوع والعطش •• وصبر عن المحـارم والشهوات •• ولهذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ يسمى رمضان شـهر الصبر • وروى عنـه أنه قال : « **الصـوم نصف الصبر** » •• وقد امتدح الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده الصابرين وبشرهم بالثـواب العظيم فقال :

« انما يوفى الصـابرون أجرهم بغيـر حساب » ••

وهل هناك من صبر أجل من صبر الانسان على شىء يشتهيه وهو فى متناول يده ؟

وليس المقصود من الصيام مجرد الامساك عن الأكل والشرب وكل مفطـر ، بل لا بد مع ذلك من الامساك عن الكلام البـذىء •• والعمل القبيح • وسائر المحرمات ، فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« الصيام جنة ـ سترة ووقاية ـ فاذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحـد أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم » •

وفى حديث آخر يقول : « ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » • ولما تلا عليه الصلاة والسلام قول الله تبارك وتعالى : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** » • وضع يده على سمعه وبصره فقال : « **السمع أمانة والبصر أمانة** » • فكان رمضان بحق شهر الأمانة • فاذا لم يستطع الصائم أن يحقـق الغاية التى من أجلها شرع الصوم فلا صـيام له • وفى هذا يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« رب صائم ليس له من صيامه الا الجـوع والعطش » •

ويرحم الله ابن حزم فقيـه الأندلس •• والأوزاعى فقيه الشام، فقد ذهبا الى أن الغيبة تفسد الصوم • فأين هذا من أولئكم الذيـن لا هم لهم فى الصـيام الا أن يتفكهوا بأكل لحوم الناس هنا ومن هناك ؟

ومن فوائد عبـادة الصوم الاجتماعيـة المسـاواة فيه بين الأغنياء والفقراء والملوك والسوقة • ومنها تعليمنا النظام فى المعيشة حيث يفطر الكل فى وقت واحد لا يتقدم أحد على آخر حتى ولا دقيقة واحدة ، وقلما يتأخر عنه مثلها •

ومن فوائد الصيام الصحية اخراج الفضلات من الجسم • وطرد السـموم • وتجفيف الرطوبات الضارة • وتذويب الشحم ، وهو أشد ما يكون خطرا على القلب ، وفى هـذا يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **صوموا تصحوا** » • وقد أثبت العلم الحديث ذلك •• حتى يقول بعض الأطباء الأجانب :

« ان صيام شهر فى السنة يذهب الفضلات الميتة فى البدن مدة سنة » •

وأعظم فوائد الصوم وأخطرها تلك الفائدة الروحية التعبدية المقصودة بالذات ، وهى أن يصوم الانسان لوجه الله تبارك وتعالى ايمانا واحتسابا • وفى ذلك يروى الشـيخان عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: « **من صام رمضان ايمانا واحتسـابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » • وليس فى هـذا غرابة لأن الصائم لوجه الله ـ تبارك وتعالى ـ ايمانا واحتسابا انما يكون من التائبين عما اقترفه قبل صيامه • والله ـ تبارك وتعالى ـ يقـول فى سورة التوبة :

« ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده ؟ »

فرمضان بحق شهر الأمانة والايمان :

أولا – لأنه الشهر الذى نزل فيه دستور الايمان والأمانة : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »** .

ثانيا – لأن عبادة الصوم أمانة بين العبد وربه . لا يراها الا من يعلم السر وأخفى .

لكن : كيف يكون رمضان شهر الايمان والأمانة ؟.. ذلك بأن نجعل سلوكنا فيه تفسيرا بليغا لما نزل فى هذا الشهر المبارك . فنصوم عن قول الزور .. ونصوم عن حب الشهوات . ونصوم عن ايذاء عباد الله المستضعفين فى الأرض ، ولعل من تخول لهم أنفسهم قتال عباد الله الذين يدافعون عن حقوقهم لعلهم ينتهزون فرصة هذا الشهر الفضيل فيعلنون أنهم قد ثابوا وتابوا .. وأنابوا حتى يقبلهم الله – تبارك وتعالى – فى زمرة التائبين .

ان العون الالهى – يأيها العرب ويأيها المسلمون – أقرب ما يكون منا ونحن صيام فالتجئوا الى الله – تبارك وتعالى – فى هذا الشهر الفضيل بالدعوات الطيبات لعله يرزقنا التوفيق والسداد والرشاد فى هذه الظروف الحاسمة الفاصلة من تاريخنا فانه سبحانه يقول :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » .

ويقول : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

ونلاحظ أن هذه الآية الكريمة الأخيرة جاءت معترضة بين آيات الصوم . فما هى الحكمة فى هذا الالتفات عن خطاب المؤمنين كافة بالصيام الى خطاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأن يذكرنا بأن الله تبارك وتعالى قريب منا يجيب دعوة من دعاه ؟

الحكمة على ما أرى – والله أعلم – أن روح الانسان بالصيام تشف وتشف وتخف وتخف حتى تخترق الحجب فتصل الى الله – جلت قدرته – حتى تصبح بجواره تشهده وتشاهده ، فيكرمها الله – سبحانه – بجواره ، ومن أحق منه باكرام زائره ؟.. واذن تصبح فى نور الله فترى بنوره ولا تعش عن ذكره .. وبذكر الله تستنزل الرحمة .. ويستقيم المعوج .

واذا كان رمضان شهر الايمان والأمانة .. **فالايمان فى تقوى الله والصدق فى الحديث، والأمانة فى الدين ، والتواضع ، والسخاء .**

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أعاد الله علينا هذا الشهر الفضيل باليمن والبركات والخير والاسعاد .. والسلام .

الصوم والطب الحديث

الدكتور محمد محمد ابو شهبه

الاسلام هوالدين العام الخالد الذى ارتضاه الله ـ سبحانه ـ للناس عامة وجعله عماد السعادتين الدنيوية والأخروية ، وصدق الله حيث يقول : « ان الدين عند الله الاسلام »، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ومن أكبر البراهين على أن هذا الدين من عند العليم الحكيم ، وأنه ليس من صنع بشر أن جميع تعاليمه تتمشى مع الفطرة البشرية ، وليس فيها ما يخالف العقل ، ولا ما يسبب للمؤمن به ضررا فى نفسه ، أو عقله ، أو ماله ، بل كله خير ، وحق ، وعدل ، وصدق الله حيث يقول : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

وقد جاء هذا الدين الالهى بحقائق ماكانت تخطر على بال انسان حينئذ مهما سما عقله واتسعت ثقافته ، وقرأ الكتب ، ودارس أهل العلم ، ومما يثير العجب أن تأتى هذه الحقائق على لسان نبى أمى ، لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يجلس الى معلم ، وبذلك كانت معجزات ـ الى معجزته الكبرى وهى القرآن ـ شاهدة له أنه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى . وصدق البوصيرى حين قال :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وقد شاء ربك أن تأتى الكشوف العلمية الحديثة مؤيدة لما يشتمل عليه هذا الدين من حقائق فكانت آية صدق على أن هذا الدين من عند علام الغيوب الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

ومن هذه التعاليم التى جاء بها الاسلام ، وأيدها العلم الحديث شريعة الصيام وسأتناوله من ناحيته الصحية الطبية ، ومما لا يختلف فيه اثنان أن رسولنا محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يكن من أهل الطب ، ولم يعرف عنه أنه زاول هذه المهنة ومع هذا فقد أتى فى بعض ارشاداته وتوجيهاته النبوية بما أدهش الأطباء وحاز اعجابهم .

وقد بين بعض نطس الأطباء أن الصوم طب لبعض المرضى بالأمراض المستعصية ، كاضطرابات الأمعاء المزمنة ، وزيادة الضغط، والسمنة المفرطة ، والبول السكرى ، والتهاب الكلى الحاد المزمن ، وأمراض القلب المصحوبة بتورم ، والتهاب المفاصل المزمنة ، وكما هو طب لهؤلاء فهو وقاية للأصحاء يقيهم شر هذه الأمراض ، ويحول بينهم وبين الاصابة بها .. واليك خلاصة ما ذكره أحد عباقرة أطبائنا العرب ، وهو المغفور له الدكتور عبد العزيز اسماعيل ، قال فى كتابه : « الاسلام والطب الحديث » ص ٢١ وما بعدها :

« لقد ظهر أن الصيام يفيد فى حالات كثيرة ، وهو العلاج الوحيد فى أحوال أخرى وهو أهم علاج انلم يكن العلاج الوحيد للوقاية من أمراض كثيرة .

فللعلاج يستعمل فى :

١ ـ اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية ، وهنا ينجح الصيام وخصوصا عدم شرب الماء بين الأكلتين ، وأن تكون بين الأكلة والأكلة مدة طويلة كما فى صيام رمضان ، وممكن أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر ، وهذه الطريقة هى أنجع طريقة لتطهير الأمعاء .

٢ ـ زيادة الوزن الناشىء من كثرة الغذاء وقلة الحركة ، فالصيام هنا أنجع علاج مع الاعتدال فى الطعام فى الافطار والسحور .

٣ ـ زيادة الضغط الذاتى : ففى هذه الحالة يكون صوم رمضان نعمة وبركة .

٤ ـ البول السكرى : ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات فى الغذاء أهم علاج فى هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين خصوصا اذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعى :

٥ ـ التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورم .

٦ ـ أمراض القلب المصحوبة بتورم .

٧ ـ التهاب المفاصل المزمنة خصوصا اذا كانت مصحوبة بسمن.. وقد شوهدت حالات تتمشى فى شهر رمضان بالصيام فقط أكثر مما تتمشى مع علاج سنوات بالكهرباء والحقن والأدوية وكل الطب الحديث .

ورب سائل يقول : ولكن الصيام فى كل هذه الحالات يحتاج الى ارشاد طبيب فى كل مرض على حدته ، والصيام الذى كتب على المسلمين انما كتب على الأصحاء ، وهذا صحيح ، ولكن فائدة الصيام للأصحاء هى الوقاية من هذه الأمراض، وخصوصا الأمراض التى مر ذكرها تحت أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ..

وهذه الأمراض تنتشر بزيادة الحضارة والترف ، فقد انتشرت فى أوروبا أكثر من الأول ، وفى مصر يكاد يكون البول السكرى ، وزيادة ضغط الدم مقتصرين على الطبقات الوسطى والعليا ، وقليلا جدا فى الفقراء .

ويغلب على الظن أن ذلك هو السر فى أن الصيام فى الاسلام أشد منه فى الأديان السابقة ، لأن الاسلام وهو آخر الشرائع السماوية ، جاء فى زمن نحتاج الى وقاية من أمراض تزداد كلما زاد الترف » وانا لنجد بعض الأطباء غير المسلمين يصفون لمرضاهم الصوم كعلاج فى بعض الأمراض .

واذا اتبعنا هدى الله ورسوله فى الصيام شعرنا بفائدة الصوم الصحية ، ووقينا أنفسنا من بعض الحالات التى تحدث لبعض الصائمين نتيجة للاسراف فى المطاعم والمشارب والاسراف فى الملذات فى شهر رمضان .. وقد جمع الله ـ سبحانه ـ أساس الطب وصحة الأبدان فى آية وجيزة فقال :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، وكذلك رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان ولا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

وقديما قال طبيب العرب الحارث بن كلدة: **« المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء » .** وهذه الكلمة حكمة طبية عربية ، وليست

حديثا نبويا كما يظن كثير من الكاتبين والباحثين ، وأساس الشعور بفوائد الصوم الصحية هو فى اتباع الهدى النبوى فى طعام الافطار والسحور ، وقد كان من هديه – صلى الله عليه وسلم – فى رمضان أن يعجل بالفطر على أى شىء كان ولو ماء ، ثم يصلى المغرب ثم يتناول طعاما قليلا .. عن أنس – رضى الله عنه – قال :

« كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فان لم تكن رطبات فتميرات ، فان لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء » .

رواه أبوداود اوالترمذى وقال : حديث حسن

وهذا المنهج فى الافطار هو أولى وأفضل ما يوصى به الأطباء البارعون المحدثون ، كما كان له هدى فى السحور ، فهو يوصى به لما فيه من التقوى على الصوم ، وعلى أعمال الصائم المعيشية التى يقوم بها فى نهاره ، فيقول :

« تسحروا فان فى السحور بركة » .

رواه البخارى ومسلم ، ولكنه – صلى الله عليه وسلم – مع هذا يوصى بالتقليل منه فقد روى أبو داود وغيره عن أبى هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **« نعم سحور المؤمن التمر »** . وروى الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :

« السحور كله بركة فلا تدعوه ولو ان يجرع أحدكم جرعة ماء » .

وهذا التوجيه النبوى الكريم هو ما يتفق وما يوصى به نطس الأطباء اليوم ، فمن لم يهتد بهذا الهدى النبوى ، وأسرف فى طعامه وشرابه عند افطاره وسحوره ، فأتخمت معدته وأصيب باختلال فى جهازه الهضمى فلا يلومن الا نفسه ، وليس ذلك من الصوم ، وانما نتج من سوء تصرفه .

قال أحد الأطباء المشهورين : « من الناس من يتوهم أن فى صيام رمضان وهو من أركان الاسلام مضرة تلحق بالصائم ، ولما يكون من بعض الصائمين من انفعال وغضب ، وهذا خطأ ، لأن ما ذهبوا اليه ليس من الصيام ، ولكنه من ترك الاعتدال فى طعام الافطار والسحور ، ولأنهم لم يراعوا ما يتناسب مع خلو المعدة النهار كله وقت الافطار ، ولأن السحور يجب أن يقتصر على بضع لقمات لأنه لا ضرر من الجوع فى حد ذاته » .

أيها المسلم الصائم : أرأيت الى تشريع ربك كله صواب وحكمة ورحمة ، وكيف جاء النبى العربى الأمى فى باب علم الأبدان بما لم يكن يخطر لانسان على بال ، فجاء الطب الحديث فأيده كل التأييد ، وأن نبيك لما قال – فيما رواه الامام احمد – :

« صوموا تصحوا » كان يصدر عن الهام ووحى من رب العالمين ، وصدق الله العلى العظيم حيث يقول : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » .

فى الصيام

روى أبو هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين ، ونادى مناد : يا باغى الخير هلم ، ويا باغى الشر اقصر » .

إليك رمضان

الأستاذ محمد زكريا البرديسي

اصطفى الله رمضان واختاره دون سائر الشهور ، فحاطه بما لم يحط به غيره وأسبغ عليه من نعمه الظاهرة والباطنة ما زاد فى مكانته ورفع من شأنه وأعلى من قدره ، ولعل أروع هذه النعم وأعلاها قدرا واسماها شأنا ، نزول القرآن .. ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ذلك المشعل الوضاء الذى أخرج الناس من الظلمات الى النور وهداهم الى سواء السبيل قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

نزل القرآن فى هذا الشهر والناس يتخبطون فى دياجير الجهالة وتتقاذف بهم سبل الغواية وتلعب الأهواء برءوسهم لعب الصوالج بالأكر ، يعبدون الأصنام التى لا تعى شيئا ولا تملك من أمرها نفعا ولا ضرا ، يغلب قويهم ضعيفهم ويستذل غنيهم فقيرهم ، يعبثون بالمرأة وحقوقها وبالآدمية فيهدرونها بنظام الاسترقاق الذى كان سائدا اذ ذاك والذى يستوى به الانسان مع الحيوان، فعالج القرآن أول ما عالج العقل فأزال عنه غشاوته ووضع أغلال التقليد والجمود التى كانت تحيط به ودفع به الى النظر فى ملكوت السموات والأرض ليميز الخبيث من الطيب ويعرف الحق من الباطل . قال تعالى : « **أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون** » .

وقال تعالى : « **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** »

وقال تعالى : « **وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون** »

ثم سما به عن الوثنية المهلكة ودعاه الى التوحيد الخالص ونبذ عبادة ماسوى الخالق قال تعالى : « **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** » .

وما زال بالعقل يستحثه ويحفزه، ويدعوه الى المعروف وينهاه عن المنكر ، يحل له الطيبات ويحرم عليه الخبائث حتى انتشر الاسلام وتركزت دعائمه وانهار الشرك وتلاشت معالمه ونزل قوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

فرمضان يعتبر بالقرآن الذى أنزل فيه الثورة الواعية التى قضت على الأوضاع الفاسدة والمعول الهدام الذى قوض دعائم الشرك وهد كيان الافك وأظهر الحق وأزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

من أجل هذا كان لا بد أن ترعى حرمته وأن تحفظ له قداسته وأن تحيا دائما ذكراه ففرض الله فيه شريعة الصيام وهى شريعة تناسب حال القرآن ودعوته وتتفق مع أهدافه وغاياته والحكمة من انزاله ، فهو هدى ونور يحث على التقوى والرحمة وعلى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وتطهير النفس من أدران الرذائل وأوزار الخبائث ، وكذلك الصيام فانه يحفز الصائم على الاحسان الى المحروم حين يحس بالحرمان الذى طالما قاساه وبالجوع الذى كثيرا ما عاناه وكما يفعل ذلك يعود النفس على احتمال الصبر فى مكافحة الشدائد وعلى جمع الهمة وبذل الجهد لتذليل الصعاب والتغلب على مختلف العقبات .

فصوم رمضان احياء لذكرى نزول القرآن وهو أعظم آيات الشكر لله على امتنانه بهذه النعمة العظيمة ، ولذلك كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحتفى بهذا الشهر المبارك ويبذل قصارى جهده فى شكر الله على ما أنعم بالاكثار من العبادة ومن مدارسة القرآن ، فان هذا يعتبر أحسن المثل فى احياء الذكريات وتمجيد الصالحات .

على أن شرعية الصيام فى الاسلام تعتبر امتدادا لشرعيته عند الأمم السابقة ، فقد فرض صيام يوم عاشوراء على قوم موسى وذلك لشرف هذا اليوم وفضله فقد نجى الله فيه بنى اسرائيل من عدوهم ثم تتابع الناس فى صيام هذا اليوم فصامته قريش وكانت تحتفل به وتكسو الكعبة فيه ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بصيامه **فقد روى عن ابن عباس – رضى الله عنه – قال : قدم النبى – صلى الله عليه وسلم – المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى . قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه)** .

وروى عروة بن الزبير عن عائشة – رضى الله عنها – أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ثم أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بصيامه حتى فرض رمضان . فقال الرسول فى شأن عاشوراء : « **من شاء فليصمه ومن شاء أفطر** » .

وبناء على هذا يتبين لنا أن يوم عاشوراء كان يصام قبل الجاهلية وفيها وفى بدء الاسلام الى أن نزل القرآن بفرضية صيام شهر رمضان فأصبح صيام يوم عاشوراء شيئا مندوبا لا شيئا مفروضا يزكى ذلك قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون** » .

فالصيام كتب علينا كما كتب على الأمم السابقة، الا أن صيامنا جعل زمن شهر رمضان تكريما له لنزول القرآن فيه قال تعالى : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** » .

فلا صيام الا حيث يحلق هلال رمضان فى السماء ويشهد برؤيته جمع يقع العلم بخبرهم ان لم يكن بالسماء علة وتقدير هذا الجمع مفوض الى الامام وروى الحسن عن أبى حنيفة أنه يكتفى بشهادة الاثنين كما فى سائر الحقوق وروى الاكتفاء بشهادة واحد اذا كان على مكن مرتفع كالمنارة مثلا لأن الرؤية تختلف باختلاف صفاء الهواء وكدرته وباختلاف ارتفاع المكان وهبوطه ولا أدل على الاكتفاء بشهادة واحد مما روى : **أن أعرابيا شهد برؤية الهلال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أصبح الناس • فقال عليه الصلاة والسلام : اتشهد ألا اله الا الله وأنى رسول الله • فقال نعم • فقال عليه الصلاة والسلام « الله أكبر يكفى المسلمين أحدهم فصام وأمر بالصيام وأمر مناديا فنادى الا من أكل فلا يأكل بقية يومه ومن لم يأكل فليصم » •**

أما اذا كان بالسماء علة غيم أو غبار أو نحوهما مما يمنع الرؤية قبلت شهادة الواحد العدل ، والحر والعبد والمرأة فى ذلك سواء ، فان رد القاضى شهادته وجب عليه الصيام لأنه رأى الهلال فان أفطر قضى لوجوب الأداء عليه ولا كفارة لمكان الشبهة ولا يفطر آخر الشهر الا مع الناس احتياطا ولو أفطر لا كفارة عليه عملا باعتقاده •

وان لم ير الهلال أحد من المسلمين نظرا لاستحالة الرؤية أو تعذرها وجب اتمام عدة شعبان ثلاثين يوما وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما** » •

ولا يفوتنى أن أتعرض لاختلاف المطالع وما يترتب على ذلك من اختلاف فى وقت رؤية الهلال فمن المسلم به أن شروق الشمس وغروبها يختلف باختلاف مواقع البلاد وكذلك ظهور القمر يختلف وقته تبعا لهذا الاختلاف فقد تشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين وكذلك يطلع البدر على قوم قبل أن يطلع على آخرين لذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلاة ولا أوقات الامساك والافطار فى أيام رمضان فى جميع الأقطار الاسلامية ما دامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت •

وينبنى على اختلاف مواقع البلاد واختلاف وقت رؤية الهلال تبعا لذلك أنه اذا رأى الهلال قطر اسلامى شرقى أو غربى وجب عليه الصيام ولا يجب على الأقطار الاسلامية الأخرى التى لم تر الهلال نظرا لاختلاف المطالع عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** » فالعبرة باختلاف المطالع وهذا ما اعتمد بعض علماء الحنفية وهو الصحيح عند الشافعية لأن كل قوم مخاطبون بما عندهم كما فى أوقات الصلاة •

ويرى غالب علماء الحنفية - وهو المعتمد فى المذهب - كما يرى المالكية والحنابلة عدم التعويل على اختلاف المطالع فمتى رؤى الهلال فى قطر من الأقطار الاسلامية وجب عليها وعلى الأقطار الأخرى التى تشترك معها ولو فى جزء من الليل ، الصيام •

وهذا الرأى أولى بالاتباع لأن فيه توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم ونبذ الفرقة عنهم فهو وسيلة الى الاتحاد ونبذ الاختلاف والاتحاد مأمورون به شرعا فوسيلته كذلك لأن الوسائل تأخذ حكم الغايات قال تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** » •

على أن عدم التعويل على اختلاف المطالع لا يعارضه حديث « **صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته** » لأن الخطاب عام للأمة الاسلامية المتعاونة فى اقامة شعائر الدين •

ولا اعتبار لما يتوهم من أن قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » يفيد أن من رأى الهلال وجب عليه الصوم ومن لم يره لا يجب عليه لأن معنى الآية الكريمة من حضر رمضان ولم يكن ثمة ما يمنعه عن الصيام وجب عليه• ألا ترى أن المبصر والأعمى سواء فى الايجاب والأعمى لم ير شيئا •

تحية لشهر الصيام

الأستاذ حسن الشيخة

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت « **بالبسملة** » فى هذه الكلمة مخالفا بذلك ماقد يكون مألوفا فى كتابة أمثال هذه الكلمات فى المجلات ، ولكن الذى أوحى الى بذلك هو « **رمضان** » نفسه ، لأنه شهر يخالف شهور العام جميعا ، فى نظامه وتقويمه ، وما أمر الله فيه ، فهو ـ والحالة هذى ـ الذى جعلنى أبدأ تحيته بالبسملة، كما لو كنت « أؤلف » كتابا ، أو أنشر رسالة

نزل فى رمضان كثير من آى الذكر الحكيم لم ينزل مثلها فى غيره من بقية شهور العام ، مثل قوله تعالى :

١) شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .

٢) انا أنزلناه فى ليلة القدر ، وماأدراك ماليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر .

٣) وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

وهو بهذه الآيات التشريعية وما ماثلها يخالف بقية شهور العام فى نظامه الذى نظمه به القرآن الكريم .

انه من قبيل حلوله هو الذى يجمع الأقوام فى البلادالاسلامية لرؤية هلاله فان رؤى هلاله وجب الصيام ، فى احتفالات بهيجة منقطعة النظير فى غيره .

وكذلك الفطر بعد انقضائه ، انه بحاجة أيضا الى رؤية الهلال ، فلا عيد ولاصدقات ولازكوات الا بالهلال ، قال ـ صلوات الله عليه **ـ صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما .**

انه الشهر الذى اذا انحرف فيه الصائم وجبت عليه الكفارات **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)**

وبهذه الكفارة تتحقق فائدة اجتماعية كبرى فى المجتمع الاسلامى ، هى ماييسر الله للفقير من صدقات قد يكون فى أمس الحاجة اليها .

هو الشهر الذى يجب فيه الامساك عن الطعام والشراب ، وكل زخارف الحياة المتطرفة .

ولاريب ان اعتياد الصبر على تركها يقوى فى الانسان الجانب الروحى ، ويعوده احتمال المكاره ، وتربية الجانب الروحى ليست بالأمر الهين ، وأحسنه رياضة لها هو تعود الصبر لمن صام هذا الشهر حق صومه ، لامتظاهرا بالصيام ، ولا مستثقلا القيام .

فيه تضيق محلات الفجور ، واحتساء الخمور ، بينما تتسع **« مساجد الله »** للمصلين والذاكرين والمتعبدين ، ولسماع القرآن وترتيله ، وحديث رسول الله وتأويله، والمواعظ والزواجر والنواهى اللاتى يقوم بها المتخصصون فيها من الوعاظ والمرشدين ، وعلماء الدين .

اختص بصلاة التراويح فى أيام معلومة منه ، وكأنها تحية خاصة به لاتوجد فى غيره أيضا من بقية الشهور .

ليس من قصدى أن أبين فرائضه وأركانه، وسننه ومستحباته ، فقد اعتاد الناس أن يقرءوها فى كتب الفقه الاسلامى ، وما اشتق منها مما ألفت فيه الرسالات ، وكتبت فيه الكلمات ، بحيث لم تترك هذه ولا تلك صغيرة ولاكبيرة الا احصتها ، وأوضحت فيها

المذاهب الاسلامية المختلفة، فلا داعى لتكرارها فى كل عام .

كما لاا تحدث عن الناحية الجسمية فيه الا بقدر ، مثل مايروى عنه صلوات الله عليه مثل قوله **((المعدة بيت الداء)) ((جوعوا تصحوا))** وهى بصناعة الطب الصق ، وبأنواع العلاجات أوفق ، ولكل وجهة هو موليها وأتذكر أن كثيرين من الأطباء قرأنا لهم بحوثا على علاقة الصيام بالجسم ، سواء فى حالة صحته ، أو فى مرضه ، وكيف يفعل الصيام بكليهما

انما الذى اذكره زيادة على ماتقدم هو أن الصوم والتحنث فى غار حراء كانا مفتاحا لرسالة محمد - صلوات الله عليه - فقد ابتعد عن ضوضاء العالم فى هذا الغار المنعزل عن الناس ، وكان أول ماجناه من ذلك هو الرؤيا الصادقة ، التى كانت ارهاصا لرسالته الكبرى ، والرؤيا الصادقة احساس نفسى ، فترى النفس الأشياء ، والاحداث على حقيقتها ، والنفس التى ترى ذلك ليست بالنفس البسيطة ، وانما هى النفس التى قد وصلت بالصيام والتحنث الى منزلة كبرى من الروحية الحقة ، ولماذا ترى النفس ذلك والجسم نائم ، ذلك لأن النفس والجسد يختلفان فى التكوين ، فأحدهما روحى ، والثانى مادى حسى ، والنوم سنة من يوم خلق الله البشر ، فيه تملك النفس الصافية طاقتها خالصة من كدورات الجسد ، تجذب الأمور التى تودها فتنعكس بينها وبين تلك الأمور انفعالات قد تكون أصدق ماتكون اذا وصلت النفس الى الروحية الكاملة ، ونفس محمد - صلوات الله عليه - قد ارتقت الى مادربت عليه فى تحقيق أهدافها ، فأستطاعت بما وهبها الله من مدد أن تصل الى رؤية الأشياء على حقيقتها ، وقد استمرت معه فترة من الزمن متواصلة لم يستطع أن يخفيها فى نفسه ، بل أفضى بها الى زوجه ((خديجة)) التى هدأت من روعه وبشرته بالنبوة ، وكان قد ادخل فى روعه انها ربما تكون من عبث الجن))

استمرت شدة هذه الحالة عليه مايقرب من نصف عام ، وقد وصل الى سن الأربعين، فجاءه ملك وهو فى غار حراء يقول له : **((اقرأ ((فيرد عليه ((ماأنا بقارىء)) وينتهى الحوار بينهما الى أن يقول له الملك :**

((اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)) .

فخرج من الغار فزعا مضطربا ، مسرعا الى بيته ، وهو يقول (**زملونى زملونى**)فزملته السيدة خديجة ، وهدأت من روعه ،وبشرته (بالنبوة) كما بشرته أولا ، وقد جاءه الملك فيما بعد ، وقال له :

((يأيها المدثر قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولاتمنن تستكثر ، ولربك فاصبر))

وهكذا أنزل الوحى على محمد ، وما كانت الرؤيا الصادقة وماتلاها الا تمهيدا لماسيوحى به اليه .

اعلن صلوات الله عليه ، ماأنزل عليه من ربه ، فأسلمت خديجة ، وأصبحت ((**أولى المسلمات)) وأسلم على ، الفتى ، كما أسلم مولاه (زيدبن حارثة)**

انقطع الوحى فترة من الزمن ، فانطوى محمد على نفسه ، ولكن الله انزل عليه قوله تعالى : (**والضحى والليل اذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خيرلك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى ، فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث)**

ربما نرد انقطاع الوحى فترة الى أنه راحة استجمام من الحالات النفسية التى أفزعته ، وقد يكون نوعا من التشويق والترغيب كما تستمر النفس فى أوجها متطلعة الى منازلها الروحية السامية التى جاءتها من التحنث ومن الرؤيا الصالحة ومما نزل به عليه الوحى ، لأداء رسالته الكبرى التى هى للناس جميعا.

وهكذا فعل ((الصوم)) فى غار حراء ، والتحنث فيه بنفس هذا الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - .

الفتاة في مجتمعنا الإسلامي

● عفة الفتاة واحتشامها : يدعــوان الى احترامها .

● تبرجها وخروجها : يدعوان الى نبذهــا وسقوطها .

● الأم وحدها مسئولة عن انحراف بناتها

● الأمر بغض البصر . واجب الرجل والمرأة

***

فى وسع أية فتاة ، أن تكون عفيفــــة ، نظيفة ، شريفة : متى حصنت نفسها بالأخلاق الفاضلة ، وحلت سمعتها بالاحتشــــــام والسجايا الحسان ، فتكون بذلك مطمعــا للقلوب لا للأبصار ، ومدعاة للاحتــــرام لا للاستهتار .

فاذا ماانحرفت واحدة منهن عن جــادة الحق ، ومحجة الصواب : فزادت فى زينتها وتبرجها ، وفرطت فى سمعتها وكرامتها ، ولم تتجنب مواطن الريب ، وسارت فى خضم المدنية الزائفــة ، والرقى المعكوس المنكوس ، فصاحبت ، وخادنت ، بل وراقصت أيضا : فمن المسئول عن هذا التدهور ؟ أليست هى وحدها المسئولة عن كل ذلك ؟!

يجد الشاب أمامه فتاة تتلوى كالثعبان ، وتنط كأبى قردان ، وترهق وجهها بشــتى الأصباغ والألوان ، وتظهر من جسمهاوزينتها ما أمرت بستره واخفائه سائر الأديان، فيسقط احترامها فى نظر الرجل كفتاة شريفــة عفيفة، تصلح لانجاب أبناء نجباء ، ولادارة عش هادىء لزوجية موفقــــة وتظل أمام وجدانه كمتعة وتسلية ومعبثة ، ويسعى وراءها كما يسعى السكير وراء جرعة من خمــر ، والمدمن وراء نفثة من مخدر !

ولا تزال تستمرىء هذا الغى حتى تفقــد من جمالها وجلالها وسمعتها ومستقبلها ، مالا يعوض . فلاهى أصبحت زوجا لرجــل فى مكانتها ، ولا هى صلحت فى الحياة كربة منزل تكلؤه ، وأم لأطفال ترعاهم .

قد يقول قائل : ان الأب والأم مسئولان معا عن تدهور الفتـــاة ، فلولا الأب ماتزينت وتبرجت ، ولولاه ماصاحبت وراقصت .

ولكن المنصف الحكيم ، الذى يرى بعين الحقيقة ، يجد ان المرأة وحدها هى المسئولة عن أخطاء الفتاة : فهى كأم تستطيع أن تمنع بناتها عن التبرج المشين والمبالغــة فى التزين وتستطيع أن تمنعهن منعا باتا من ارتيــاد أماكن اللهو والاختلاط الجالب للفساد !

وانه فى وسع كل فتاة ان تجعل من نفسها درة نفيسة ، يغوص وراءها الغواصــون ليتحلون بها ، ويأخذونها بشريعة الله ، وكلمة الله ،

وهنا فقط تكون مبعث التجلة والاحترام، وتكون ملء الأسماع والأبصار والقلوب .

هذا .. ومن قبل عالجت سائر الأديان السماوية ذلك بالحث على التمسك بالفضائل واجتناب الرذائل والنهى عن النظر الى الأجنبية، فضلا عن مغازلتها ومراقصتها .

يقول الحكيم العليم ، فى كتابه الكريم : ((قل للمؤمنين يغضــوا من أبصارهم)) ..

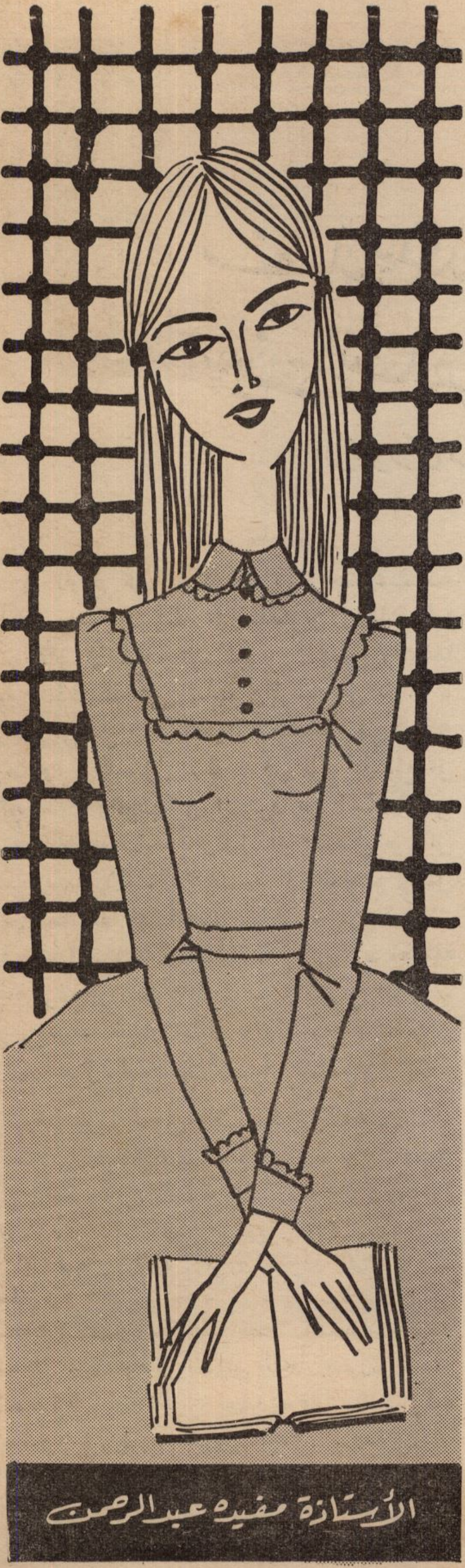

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن »

فأين غض البصر مما نراه فى مجتمعنـــا الآن ؟!

أما وقد حملت المرأة والفتاة كل المسئولية، فلا أقل من ان أعتب على الرجل عتبا رقيقا رفيقا ، ولن أكون متجنية عليه اذا أنا قلت : ان الرجـال بيــدهم دواء هذا الداء : فقل أن تجد متبرجة من المتبرجات ، الا ولهـــا عائل : من أب أو أخ ، أو من فى حكمهمـا وبيد هذا العائل أمرها : ان شــاء أمسكها فحفظها ، وان شاء أطلقها فأضاعها .

واست أريد بكلمتى هذه ان أجعل من الرجل انسانا لايرى ،ولايسمع ، ولا يحس ، ومن الفتاة دمية تتزين بها الجدران ، انمـا أردت أن يكون الرجل انسانا كاملا فاضـلا ، مبتعدا عن كل مايباعد بينه وبين الانسانية ويقارب بينه وبين الحيوانية . وأن يعلم أن الفتاة الأجنبية عنه : ان هى الا ابنة ، أوأخت أو زوج فليحفظ عليها مايريد حفظـــه على أهله ، فاذا مارغب التزوج باحداهن ، تقـدم الى ذويها مرفوع الرأس ، موفور الكرامـة طاهر الذيل ، نقى العرض ، فيبارك اللـــه تعالى له دنياه وأخراه !

وأردت ان تكون الفتاة متحلية بخلقهـا لابخلقها ، وبأدبها لابتبرجها ، فاذا ماتزوجت كانت زينة المنازل ، وبهجة المحافل ، يفخــر بها زوجها ، وتعتز بها أمتها !

« يأيها الذين آمنـــوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »

هذا وانى لأرجو ممن بيده الخير ـ كـل الخير ـ وهو مقلب القلوب والأبصار : الا أكون قد حدت ـ فيما قلت ـ عن شريعتـــه المطهرة ، وعن دينه الذى أرتضاه لى ، وألاأكون قد أخطأت فهم كتابه ، وتأويل آياته ، كمـا عدا به علينا كاتب فى لمز ، سامحه الله .

وهو جل شأنه الكفيل بتوفيقى لما يرضاه وأن يجعلنى أهلا لحبه ومرضاته !

مستقبل الدعوة الإسلامية
بين السلفية والتجديد

الدكتور كمال ابو المجد

في تاريخ كل حركة فكرية واجتماعية تياران متقابلان يتنازعان المفكرين والقادة كما يتوزعان الأتباع والجماهير ٠٠ يمثل أحدهما روح المحافظة على القديم والرغبة فى دوامه ، والحرص على حصر الحياة الاجتماعية فى قوالبه وصوره ، ويمثل التيار الآخر نزعة التطلع الى الجديد ، والرغبة فى التحرر من اسار الماضى بتجاربه وأوضاعه ، والميل الى التحلل من كل قيد يشد الأجيال الجديدة الى المفاهيم والمثل التى حددتها لها أجيال سابقة - من خلال ظروف اجتماعية واقتصادية وفكرية - مختلفة ومغايرة ٠٠ ومن المألوف - فى تاريخ الفكر - أن يوصف التيار الأول بأنه تيار المحافظين ، وأن يسمى التيار الآخر تيار المجددين .

وقد عرف تاريخ الفكر والحضارة الاسلامية هذه الظاهرة الفكرية العامة ٠٠ فظهر فى الفكر وفى الحياة الاسلامية تيار محافظ أطلق على دعاته أنهم « سلفيون » كما ظهر تيار مقابل عرف أتباعه ودعاته باسم « المجددين »٠.

غير أن ظاهرة المحافظة والتجديد حينما تدخل نطاق الفكر الدينى تتخذ صورة خاصة تمليها طبيعة الدين نفسه ، وما تستند اليه تعاليمه من طابع مقدس يجعل المؤمنين بها أميل بطبيعتهم الى المحافظة ، وأخوف من التجديد .. ويغرى برفض كافة الأفكار والتجارب التى ولدتها ظروف وبيئة غير بيئة المؤمنين بهذا الدين والعاملين به ٠٠ ومن هنا كان على الباحثين فى السلفية والتجديد أن ينظروا اليهما فى ضوء هذه الحقيقة ٠٠

١ - والسلفية - كما هو ظاهر - تعنى فى عمومها متابعة السلف أى الجيل الأول من صحابة النبى - صلى الله عليه وسلم - وتابعيهم وتابعى التابعين.. واعتناق النظريات والمفاهيم التى جرت على ألسنتهم وثبتت لهم فى سيرهم وتاريخهم ، كما تعنى عند فريق آخر من الناس متابعه السلف الصالح فيما كانوا يدخلون وما كانوا يتركون ، وبعبارة أخرى الوقوف بالمجتمع عند الأنظمة والمعاملات التى كانت سائدة فى عصر الدعوة .

وللسلفية - مع ذلك - فى تاريخ الفكر الاسلامى مدلول أخص من ذلك ، يتمثل فى أمرين :

أولهما : الاعتماد فى الاستدلال الشرعى على الكتاب والسنة ٠٠ والاستمداد منهما مباشرة ، ما أمكن ، وعدم التعويل كثيرا على آراء المتأخرين من المجتهدين والفقهاء ، وذلك على أساس أنهم « رجال ونحن رجال » .

الآخر : التشديد فى تنقية العبادات والعادات الاسلامية من آثار البدع التى أضيفت اليها خلال عصور التاريخ الاسلامى المختلفة ٠٠ ورفض النظريات الفلسفية والاعتقادات الصوفية التى قد تلقى ظلالا من التعقيد أو الانحراف على

جوهر العقيدة الاسلامية ٠٠ على أساس أن هذه النظريات وتلك الاعتقادات أمور مضافة الى نظرية السلف وعقيدتهم التى تلقوها صافية نقية عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ٠

٢ ـ أما المجددون فليس لهم منهج واحد متفق عليه ، ولا طريقة ثابتة محددة المعالم ، وانما أطلق هذا الوصف فى التاريخ الاسلامى القديم والحديث على كل مفكر أو مصلح اسلامى اتجه بحثه وتعلقت همته الى احداث نوع من « التكيف » بين النظريات والأصول الاسلامية وبين البيئة الجديدة للشعوب الاسلامية وما طرأ عليها من تغير اجتماعى واقتصادى وسياسى ٠٠

ومن هؤلاء « المجددين » طائفة تعلق نشاطها بتفسير نصوص القرآن والسنة النبوية وتأويلها على نحو يتفق ـ فى تقديرنا مع ما تكشفت عنه الأبحاث والتجارب البشرية الثابتة ٠٠ ومنهم طائفة عمدت الى أصول الاستدلال الأخرى غير النصوص كالقياس والمصالح المرسلة ، والعرف ٠٠ فاستندت اليها فى احداث هذا « التكيف » بين الاسلام بسوابقه ونصوصه وبين البيئة بأوضاعها ومقتضياتها ٠٠ ومنهم أخيرا طائفة لم تتجه بتجديدها الى نصوص الاسلام ولا الى أحكام التشريع ، وانما اتجهت الى « المسلمين » أنفسهم داعية الى النهوض الاجتماعى والاقتصادى بهم ، وهذه ـ فى الحقيقة طائفة لا لتجدد الاسلام ، ولكنها تجدد أمر « المسلمين » ٠ غير أن التقابل بين « السلفية » و « التجديد » لم يقتصر على هذه المعانى الواضحة .. ولم يقف عند هذا الحد المعتدل من اختلاف الأنظار وتباين المناهج ٠٠ وانما علقت بكل طائفة أوصاف أخرى لا تتصل أصلا بمفهوم « السلفية » و « التجديد » ، وانما أدى اليها سلوك بعض الأفراد المنتمين الى الفريقين ٠٠ ثم استقرت هذه الأوصاف فى نفوس عامة المتأخرين على أنها أوصاف ملازمة لكل من السلفية والتجديد ٠٠

فالسلفية اليوم قد أوضحت عند عامة الناس تمسكا بالنصوص وحدها ، وتشديدا فى أمور العبادات ، ورفضا لكل جديد مستحدث ٠ ووقوفا بالمجتمع الاسلامى عند الصور التى انتهى اليها التطور فى عهد الخلفاء الراشدين ٠

أما دعوة التجديد فقد أصبحت تمثل ـ عند العامة كذلك ـ اتجاها الى الانطلاق بالمجتمع الاسلامى وراء المذاهب والنظم الجديدة ، وهو انطلاق يخشى معه من التحلل من الاسلام ومسخ حقائقه وتعاليمه ٠٠ واذابة مقومات حضارته ومعالمها ٠٠ ولذلك كان هذا الاتجاه متهما فى كثير من الأحيان بالشطط ، وبالخروج على الاسلام ٠٠ ولهذا أيضا أجفل بعض المفكرين المعتدلين من المجاهدة بشىء من التجديد خوفا من أن تصيبهم هذه التهمة أو يلحق بهم شىء من تلك الأوصاف ٠

والسؤال الحاسم الذى يجب على المفكر الاسلامى أن يواجهه اليوم فى صراحة هو تحديد موقفه من هذين التيارين ٠٠والاقدام فى شجاعة ووضوح على اتخاذ موقف واضح من النصوص والسوابق من ناحية ، ومن التجارب والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى طرأت على حياة الناس بعيدا عن هذه النصوص والسوابق من ناحية أخرى ٠٠

وعندنا أن هذا الموقف يجب أن يتحدد فى ضوء الحقائق التالية :

الحقيقة الأولى : أن الأصل فى الدين أن يحكم أفعال الناس وأحوالهم ٠٠ لا أن تحكمه تلك الأفعال والأحوال ٠٠ وذلك ان الدين فى عقيدته وشريعته تعبير عن مجموعة من القيم والحقائق والمصالح التى تناسب الفطرة الانسانية وتزكيها وتصلح أمرها ٠٠ ولما كان فى الفطرة الانسانية عنصر ثابت أصيل ٠٠ ولما كان صاحب هذه العقيدة وتلك الشريعة هو خالق تلك الفطرة وصاحبها ٠٠ فلا غرابة بعد ذلك فى أن يكون فى الدين عناصر ثابتة لا تقبل التغيير أو التطور باختلاف المكان ، أو تغير الزمان ٠٠ والى هذا العنصر من عناصر الثبات يرشد الله سبحانه وتعالى بقوله :((**فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم**)) ٠٠

ففى ظل هذا المعنى ، وفى حدود هذه العناصر الثابتة ـ وسنعود الى كيفية تحديدها

- يجب على المسلمين أن يكيفوا أوضاعهم وتصرفاتهم مهما بدت لهم مصلحة عارضة فى خلاف ذلك ٠٠ ومهما اتجهت أهواؤهم الى وجهة غير الوجهة التى يريد الدين اقامتهم عليها ٠٠ **« وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون » ٠٠ « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض » ٠٠**

الحقيقة الثانية : أنه الى جوار هذه العناصر الثابتة فى الفطرة الانسانية، وفيما يقابلها من عناصر الدين فى عقيدته وشريعته ٠٠ توجد من النصوص والسوابق طائفة تعالج أمورا مما يحتمل بطبيعة التغير والتطور ٠٠ كما توجد فى حياة الناس وقائع ومستحدثات لم يعرض لها الدين أصلا ٠٠ اما لأنها من الأمور العادية التى لا يتصل بها التكليف ٠ ٠وأما لأنه فوض للناس الاختيار فى شأنها بين الحلول المختلفة الممكنة فى ضوء ما يتغير من ظروفهم وأحوال معاشهم ٠٠ وفى هذا النطاق يجب أن توضع السوابق موضعها الصحيح باعتبارها رموزا وعلامات هادية على الطريق ٠٠ لا باعتبارها حلولا نهائية لا تحتمل التغيير أو التطوير ٠٠ ومعنى هذا أن الأحكام التى تؤخذ من النصوص أو السوابق « أو التى أخذت منها فى زمن ما قد تتغير على مر الزمن واختلاف البيئة ، وذلك لتغير عللها التى أدت اليها ، أو لأن المقاصد المرادة منها أصبحت لا تتحقق الا بأحكام أخرى لتغير الظروف والأحوال (عن الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، من كتاب تاريخ الفقة الاسلامى ٠ ص١٢٦ - طبعة ١٩٥٨)

الحقيقة الثالثة : ان مصادر الأحكام فى الاسلام تتسع للحقيقتين السابقتين جميعا ٠٠ فعنصر الثبات تحققه النصوص المحكمة القطعية الورود والدلالة ٠٠ سواء كانت نصوصا قرآنية او نبوية ٠٠ أو سننا نبوية عملية ٠٠٠ وأما عنصر التطور وامكان التجاوب مع حاجات البيئة والزمان ٠٠ فتحققه مصادر أخرى أهمها الاجماع والقياس والعرف والمصلحة ٠

هذه - فيما نرى - هى الحقائق الثلاث التى يجب أن تعالج - فى ضوئها - دعوات السلفية والتجديد ٠٠ والتى يجب ان تمثل فى عقل المفكر الاسلامى المعاصر وفى نفسه نوعا من (التحفظات) على كل من السلفية المطلقة والتجديد المطلق ٠٠ وهى تحفظات من شأنها أن تصحح كثيرا من المفاهيم الخاطئة التى تتردد فى الجدل حول هذين الاتجاهين : فهى تصحح منهم الذين يريدون ان يغلقوا كل أبواب الاجتهاد ومنافذه متعلقين بآيات معينة فى القرآن الكريم كقوله تعالى « **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** » وقوله « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء** » وقوله « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى** » ٠٠ زاعمين أن الأول ما ترك للآخر شيئا ، وأن على المتأخرين ان يتابعوا الأجيال الأولى لأن حقائق الدين خالدة ٠٠ وفاتهم ان هذا الخلود انما يتحقق عن طريق أبواب التطور والتجدد التى زود بها هذا الدين ٠

وهى تصحح منهج الذين يبدأون من الواقع وينتهون اليه ، ويريدون أن يحاكموا الدين ، اليه ٠٠ وان يرفضوا كل نص أو سابقة تخالف الواقع الذى نشأوا عليه ٠

وهى - أخيرا - ترفع الحرج عن الذين يتقون الله فى دينهم ويحرصون عليه ٠٠٠ ويؤمنون مع ذلك بضرورة الاستفادة من الخبرات والتجارب الطويلة التى تمت فى أرض غير اسلامية وتربة غير اسلامية ٠٠ استجابة لمنطق التطور ودواعى الحاجة الانسانية ٠٠ وذلك بما تقدمه لهم من وسائل الجمع بين هذين الأمرين ٠٠ وفتح باب التيسير والمصلحة للناس باسم الاسلام الذى جاء يحل الطيبات ويحرم الخبائث ، ويضع عن الانسان اصره والأغلال التى كانت عليه ٠

تلك فيما نرى هى نقطة البدء فى معالجة قضية السلفية والتجديد ٠٠ ولكن تبقى المشكلة الحقيقية التى تواجه المفكر الاسلامى وهو يسلك طريقه بعد هذا البدء ٠٠ وهى مشكلة الحدود الفاصلة بين العناصر الثابتة والعناصر المتطورة فى النصوص وفى السوابق ٠٠ والأبواب التى يتم عن طريقها تطوير حياة الناس باسم الاسلام وفى اطاره ودون الخروج عليه ٠

وذلك ما نعالجه بمشيئة الله فى بحث آت ٠

ليلة القدر

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

قال الله تعالى :

« انا أنزلناه فى ليلة القــدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » صدق الله العظيم .

سبحانك ربى ، كم لك على البشرية من نعمة سابغة .. ومنة شاملة .. وفضل عظيم .. وهذه احدى نعمك فضلت ليلة القدر على غيرها من ليالى العام كله .. فشرفت فيهـا سيدنا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكريم نبوتك . وأنزلت عليه فيها كتابك العظيـم هداية لخلقك .. وتبيانا لشريعتـك .. وأضفيت عليها فضلا منك فأسميتها ليلة القدر ووضعتها فى ميزان التفضيل والتكريم فكانت فيه خيرا من ألف شهر رحمة بعبادك وتشجيعا لأصفيائك ، فسبحانك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأنت ذو الفضل العظيم ..

ان لليلة القدر نواحى جليلة ، وجـوانب رحيبة يقتضينا قرب حلولها أن نذكر اخواننا المسلمين بها وندعوهم لحسـن استقبالها ، وكريم احيائها تلبية لدعوة الرسول اذ يقول **« من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .**

رواه الجماعة الا ابن ماجه ،

أما نواحيها التى سيتناولها الكلام فهى :

الناحية الأولى : بيان معنى ليلة القدر .

الناحية الثانية : بيان وقت ليلة القدر .

الناحية الثالثة : بيان فضل ليلة القدر .

أما بيان معنى ليلة القدر فيتوقف على معنى القدر لأن لفظ ليلة أضيف اليه القدر فقيل ليلة القدر وهذه الاضافة جعلت « ليلة القدر » تحتمل أكثر من معنى لأن للقدر فى اللغـة معانى متعددة ، منها العظمـة ، والشرف : يقال فلان ذو قدر ، أى مكانة عالية وشرف : ومنها التقدير والتحديد ، أى تقدير الأشياء وضبط صفاتها وأحوالها ، ومنه قوله تعالى :

((**خلق كل شيء فقدره تقديرا**))، ومنها التعظيم والتبجيل ، ومنه قوله تعالى « **وما قدروا الله حق قدره** » ، ومنها التضييق والشدة ، ومنه قوله تعالى :((**فقدر عليه رزقه**)) الى غير ذلك ولاختلاف معنى القدر على هذا النحو اختلف العلماء فى معنى ليلة لقدر ، ويظهر أن اختلاف العلماء يدور بين المعنى الأول والمعنى الثانى للقدر اللذين هما العظمة والشرف ، أوالتقدير والتحديد ، فمن رأى أن القـدر هو الشرف وعلو المكانة ، قال معنى ليلة القدر ليلـة الشرف وعلوالمكانة والشأن، ومن رأىأن القدر هو التقدير والتحديد • قال معنى ليلة القدر ليلة تقدير كل أمر وتهيئته لما يراد منه وكلا هذين المعنيين فيه بحث لا بد من استيفائه •
أما المعنى الأول ، وهو أن الليلة ليلة العظمة والشرف للعلماء فى أسباب هذا الشرف آراء : فريق يرى أن شرف هذه الليلة يرجع لنزول القرآن ، وأن الليلة اكتسبت شرفها من نزول القرآن فيهـا ، وعلى هـذا تكون الليلة من خصوصيات هذه الأمة لم تسبق لأمة قبلها ، ولم يكن قبل نزول القرآن هناك ليلة اسمها ليلة القدر لها هذه المزايا وتلك الخصـائص ويؤيده مارواه مالك فى الموطأ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقال أعمار أمتـه عن أعمار الأمم الماضية ـ وذلك يستلزم قلة عمل أمته عن عمل الأمم ، فأعطـاه الله ليلة القدر • تضاعف فيها الأعمال ، فانها خير من **ألف شهر** •

ويرى فريق آخر أن ليس لشرف هـذه الليلة سبب سوى هبة الله ، فقد وهبها الله الفضل والشرف قبل نزول القرآن ، ومن أجل سابق شرفها وقدم فضلها وعظمتها اختارها الله ـ عز وجل ـ لنزول القرآن فيها وعـلى هذا الرأى تكون الليلة ليست خصوصية هذه الأمة، ويقوى هذا الرأى حديث أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ عند النسائى قال قلت والرسول كان يتحدث عن ليلة القدر ، قلت يا رسول الله أتكون مع الأنبياء فاذا ماتوا رفعت ، فقال بل هى باقية •

وبالتأمل فى هذين الرأيين يبدو أن الرأى القائل أن سبب شرف الليلة هو نزول القرآن فيها له وجاهته، بل هو أدنى الى الصواب من الرأى الثانى • ذلك أن الله يقول « انا أنزلناه فى ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القـدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سـلام هى حتى مطلع الفجر » •

هذا القول بهذا الأسلوب الرائع المعبر فى وضوح عن فضل الليلة وما فيها من خصائص وما يكتنف نزول هذا القول مما رواه مالك فى الموطأ من أن الرسـول تقال أعمـار أمته ، الحديث السابق •• هذا القول بملابسـاته المذكورة يوحى بأن الله يمتن فيه على رسوله باعطائه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر يؤكد هذا ما روى عن مجاهد قال : « كان فى بنى اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد فى سبيل الله حتى يمسى ، فعل ذلك ألف شهر، فتعجب رسول الله والمسلمون من ذلك ، فأنزل الله هذه الآية « انا أنزلناه فى ليلة القدر » • السورة •

فلو كانت الليلة مفضـلة من قبل نزول القرآن وفق الرأى الثانى وأنهـا كانت فى الأمم السابقة كذلك ما كان لله أن يمتن بها على رسوله وعلى أمته لأن الامتنان لشىء انما يكون بشىء خاص بصاحبه لا بشىء عام له ولغيره •• وأيضا لو كانت الليلة مفضـلة قبل نزول القرآن وأنها كانت فى الأمم الماضية لجاءتنا أخبار هذا الفضل كما جاءنا فضـل يوم عاشوراء ، لما هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة ووجد اليهود يصومون هذا اليوم ،فقال لم تصومون هذا اليوم فقالوا يوم نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وحزبه فصامه موسى ونحن نصومه ، فقـال ـ عليه الصلاة والسلام ـ نحن أولى بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه •

أما حديث أبى ذر الغفارى السابق الذى يفيد أن ليلة القدر كانت فى الأمم السـابقة وأنها لم ترفع بموت الأنبياء بل هى باقية فقد قال فيه النووى فى المجموع أن اسناده ضعيف ولا ينبغى الاستدلال به فى أمر كهذا •

أما المعنى الثانى وهو أن ليلة القدر تقدير كل أمر بهيئتـه لما يراد منه ، هذا الأمر هو الوارد فى قوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » . وفى قوله تعالى فى سورة الدخان « انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » .. للعلماء فى بيان هذا الأمر آراء ، فريق يرى أن المراد من الأمر فى هاتين الآيتين هـــو ما تضمنه القرآن الكريم من المبادىء والتعاليم الشرعية والأحكام السماوية، ومن رسم الخطة لنبيه فى دعوة الناس الى ما ينقذهم ممـــا هم فيه من الفوضى العقيدية والخلقية والاجتماعية، كل ذلك فصل وحدد فى القرآن الذى نزل فى هذه الليلة المباركة ، ليلة القدر ، أى التى بدأ نزول القرآن فيها أول ما نزل - وفريق يرى أن المراد بالأمر فى الآيتين هو ما تكتبه الملائكة فى صحفها من اللوح المحفوظ من الأحـداث التى تجرى على العباد فى الأرض من الأعمار والأرزاق والأمطار والاحيـاء والاماتة وخفض قوم ورفع آخرين ، ويوزع على الملائكة لتنفيذه كل فى دائرة اختصاصه على نحو ما كتب فى اللوح المحفوظ وفى مواقيته المعينة ، وبالتأمل فى الرأيين يتبين أن الرأى القـائل أن المراد بالأمر ما تضمنه القـرآن من الحكم والأحكام هو الرأى الجدير بالاعتبار والفهم ، ذلك :

أن سـياق الحديث القرآنى فى الآيتين انما هو فى التحـدث عن القرآن فحسب ، وما دام الحديث عن القـرآن ينبغى أن يكون المراد بالأمر فى الآيتين هو ماتضمنه القرآن من حكم وأحكام ليكون الكلام القرآنى كله على نسق واحد لا تشتيت فيه ولا التواء ، ولا يستساغ أن يكون المراد بالأمر ما يجرى على العباد من احداث كما يقول الراى الثانى فانه فضـلا عما فيه من التشتيت وعدم التنـاسق فى الأسلوب يدل على معنى لا يتفـق مع الأدلة الشرعية لأنه ثبت أن الله قدر احداث الناس قبل خلق الناس فكيف تقدر كل سنة بسـنة والله يقول :

« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها » ..
الآية . والرسول يقول :

« رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

بهذا ثبت أن تقدير الأحداث الجارية ثابت أزلا قبل خلق الناس لا فى ليلة القدر من كل سنة كما يقول أصحاب الرأى الثانى ، ولعلهم شعروا بهذا من الأدلة ، ومع ذلك فلم يرجعوا عن رأيهم ، بل أخذوا يؤولون فى التقدير على معنى أن المراد به توزيع ما قدر أزلا على الملائكة لتنفيذه لا ابتداء التقدير ، وأعتقد أن هـذا تكلف وتحميل للفظ مالا يقبله فوق أن هذا تحدث عن الغيب ولا يمكن التحدث عن الغيب الا بنص صريح من الكتاب أو السنة وهو لم يرد ..

والخلاصة لهذا البحث هى أن ليلة القـدر هى ليلة الشرف ، وأنها اكتسبت شرفها من نزول القرآن فيها ، وأن الأمر الذى يفصل ويحدد فيها هو ما تضـمنه القرآن الكريم لا الأحداث التى تجرى على العباد ، فان ذلك قدر وجفت الأقلام وطويت عليه الصحف .

أما الناحية الثانية من نواحى ليلة القـدر وهى بيان وقت ليلة القدر .

لم يرد نص صريح من كتاب ولا سنة يحدد وقتها ويعينه ، ومن أجل ذلك اختلف العلماء فى تحديد وقتها الى نيف وأربعيـن قولا .. وانا لو رجعنا الى الآيات التى وردت فى نزول القرآن وتأملنا ماتدل عليه لوجدنا أنها انمـا تحيك لنا خيوطا تمتد بنا الى تعيين الشـهر الذى تكون فيه ليلة القدر ، أما تعيين الليلة بذاتها فلم تدل عليه ، وهذه الآيات هى :

آية سورة الدخان « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » .

آية سورة القدر « انا أنزلنـــاه فى ليلة القدر » .

آية سورة البقرة « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .

فكلتـا الآيتين الأوليين تصرحان بنزول القرآن فى ليلة ولم تحدداها ، والآية الثالثة ينبعث منها الخيط الذى يوصلنا الى الشهر الذى فيه الليلة التى نزل فيها القرآن وهــو

شهر رمضان ، بقى بعد ذلك ، أى ليلة هى من ليالى رمضان فى ذلك أحاديث كثيرة لايتسع المقام لسردها ، والذى نستخلصه من مجموعها أن ليلة القدر فى شهر رمضان وأنها فى العشر الأواخر منه ، بل فى أوتار العشر الأواخر ليلة احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أوخمس وعشرين ، أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين لذا قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « **تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان** » • رواه مسلم والبخارى ، وقال البخارى فى الوتر من العشر الأواخر ، وغالب الروايات على أنها فى سبع وعشرين وأياكانت فهى لم تعلم على وجه التحديد •

أما الناحية الثالثة من نواحى ليلة القدر ، وهى فضل ليلة القدر

فقد ورد عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « **من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » •

ومعنى قيامها احياؤها بالعبادة ، والعبادة أنواع كثيرة ، التكبير والتسبيح والذكر وتلاوة القرآن ، والصلاة وصلة الأرحام والبر بالفقراء والأيتام والضراعة الى الله - عز وجل - بما تمس اليه الحاجة ، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت ، قلت يا رسول الله : «أرأيت ان علمت أى ليلة ليلة القدر ماذا أقول فيها قال : « **قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى** » •

ولا يقتصر الرجل فى احياء الليلة على نفسه بل يفعل ذلك هو ويدعو اليه أهله وأولاده وفى مثله فليتنافس المتنافسون • روى عن عائشة - رضى الله عنها قالت - ان النبى كان « **اذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر** » متفق عليه وفى رواية « **كان يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهد فى غيرها** » ، ومعنى شد المئزر أنه كان يعتزل النساء فى الليالى العشر أو هو كناية عن الاقبال على العبادة بجد ونشاط ، وورد عن أم سلمة قالت ان النبى - صلى الله عليه وسلم - اذا بقى عشرة أيام لايدع أحدا من أهله يطيق القيام الا أقامه •

وليس لهذه الليلة علامات ولاصفات خاصة بها ولا عبرة بما يتردد على الألسنة فانه لم يرد فيه حديث صحيح •

والله ولى التوفيق •

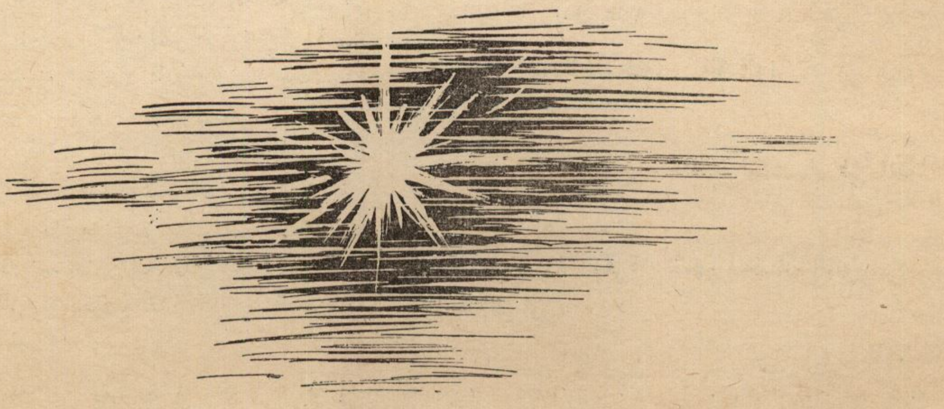

بطولات اسلامية

مؤتة

الأستاذ محمد فرج

مؤتة مدينة معروفة بالشام ، على مسافة مرحلتين من البيت المقدس ، وقعت الغزوة فى العام الثامن للهجرة ، ولم يشترك فيها الرسول ٠

كان الرسول قد بعث الحرث بن عمير الازدى الى أمير بصرى من جهة هرقل ويسمى الحرث بن أبى شمر الغسانى ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى وقال له « أين تريد ؟ » فقال « الشام » فعاد يقول « لعلك من رسل محمد » فقال له « نعم » فأمر به فأوثق ثم ضرب عنقه ، ولما علم الرسول حزن على مقتله أشد الحزن وقرر أن ينتقم له ٠

أمر الرسول مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وقال ((ان قتل زيد فالأمير جعفر بن أبى طالب ، فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا » ٠

وخرج الرسول مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف يودعهم وقال « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا ٠٠ اغزوا باسم الله ، فى سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ، ولا امرأة ، ولا كبيرا فانيا ، ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخيلا ، ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء » ٠

ووصل الجيش العربى الى معان ، وهناك علم المسلمون أن جيش هرقل قد نزل بأرض البلقاء ، وأن عدد الجيش يبلغ مائة ألف من الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وبهرام ، وهؤلاء يبلغون مائة ألف ، وجاء فى رواية اخرى أن القوم كانوا مائتى ألف والعرب خمسين ألفا ومعهم خيول كثيرة ٠

وتبادل المسلمون الرأى فقال البعض « نكتب الى رسول الله فنخبره الخبر ، فاما أن يمدنا بالرجال ، واما أن يأمرنا بأمر فنمضى له)) ٠

وأنهى الموقف عبد الله بن رواحة اذ خطب فيهم قائلا ((ياقوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون ألا وهى الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة » ٠

وتشجع الناس وقالوا « صدق ابن رواحة »

ومضوا الى لقاءعدوهم حتى اذا كانوابتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل ، والتحم الجيشان فى معركة عنيفة لا تعادل فيها بالمرة ، يفوق فيها جيش هرقل جيش المسلمين ، كما سبق القول ، وقتل فى بداية القتال الأمير الأول زيد ابن حارثة طعنابالرماح ، فأخذ الرايةمن بعده جعفر بن أبى طالب ، وقاتل وهو على فرسه فلما أحاط به أعداؤه نزل عن فرسه وعقرها ، ثم قاتل قتالا مجيداحتى اذا اشتد القتال أخذ يردد على مسمع من جنوده :

يا حبذا الجنــة واقترابها
طيبــة وباردا شــرابها
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة انســابها
على اذ لاقيتها ضرابهــا

وانقض على هامات الروم يطيح بها يمينا وشمالا وخاصة قادة الروم .. فحشدوا هؤلاء قواتهم وأحاطوا به من كل جانب ، وأخذوا يوقفون سيله ، ويغلقون سبيله الى داخل صفوفهم ، حتى استطاعوا أن يصيبوه بضربة سيف ، فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره فأصيب بضربة قطعتها ، فحمل اللواء بعضديه وأخذ يكبر ويهلل ، حتى تسلطت عليه سيوف الروم فقطعت رجليه ، ثم شطرت جسده شطرين ، وقتل بعد أن استقرت فى صدره دون ظهره ثلاثة وتسعون طعنة كلها فى حال الاقبال لا فى حال الادبار .

ثم حمل الراية من بعده عبد الله بن رواحة ، فتقدم وهو على فرســه وكان يتردد بعض التردد ، ثم قال مخاطبا نفسه :

أقسمت يا نفسى لتنزلنه
لتنــزلن أو لتكرهنــه
أن أجلب الناس وشدوا الرنة
مالى أراك تكرهين الجنــة
قد طالما كنت مطمئنــة
هل أنت الا نطفة فى شــنة

وفى رواية أخرى :

يا نفس ان لا تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
ان تفعلى فعلهما هديت

ثم نزل عن فرسه وقاتل بسيفه حتى قتل وكان هو آخر قائد عينه الرسول لقيادة الحملة ، وكان على المسلمين بعد موته اختيار من يتولى أمر الحملة تنفيذا لأمر الرسول الكريم فليرتض المسلمون رجلا منهم يجعلونه أميرا عليهم » .

أخذ الراية بعد عبد الله ثابت بن أقدم العجلانى وهو بدرى من السابقين، وصاح فى الناس « يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم » فقالوا « أنت » قال « ما أنا بفاعل » ثم نظر الى خالد بن الوليد وقال « يا أبا سليمان خذ اللواء » ، قال « لا آخذه » ، أنت أحق به منى ، لك سن وقد شهدت بدرا » ، فقال ثابت « خذ أيها الرجل ، فوالله ما أخذته الا لك ، أنت أعلم بالقتال منى » .

وتوجه خالدالى المسلمين فسألهم « أصطلحتم على خالد ؟ » قالوا « نعم » ، فأخذ خالد اللواء وتولى قيادة الجيش لأول مرة منذ دخل الاسلام وترك مكانه بين الصفوف كجندى متواضع مطيع لأوامر قائده وأمير جيشه وأصبح أمير الجيش .

تسلم خالد امرة جيش قليل العدد ، فى وضع سىء ، كاد أن يفقد قوته المعنوية ، وقد نالت منه الحرب أقسى ما تناله من جيش قليل العدد بعيد المدد ، يواجه جيشا من الروم ضخما متكاتفا فى أهبة تامة وعدة كاملة .

وكان الموقف فى المعركة فى حاجة الى فكر ثاقب ، وموهبة خاصة وتقدير سليم للموقف، وبعد نظر ، وتدبير محكم ، وبراعة لا مثيل لها تغنى عن السيف الصارم والامداد والسلاح .

وقدر خالد موقفه كأعظم ما يكون التقدير ورأى انه لا طاقة لجيشه مع قلة عدده وكثرة جراحه بجيوش أعدائه المتكاثرة المستعدة فأعمل الحيلة فى خلاص الجيش ، وانجائه من الفناء فقاتل فى يومه قتالا عنيفا شديدا حتى قيل ان تسعة أسياف اندقت فى يده .

ولما تحاجز القوم ليلا أعاد تنظيم جيشه فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة ، والساقة مقدمة ، والمقدمة ساقة ، فظن الروم أن مددا جديدا وصل المسلمين

وحارب خالد فى همة وقوة ، وكان فى ذات الوقت ينسحب بقواته الى قرية مؤتة ،وظل

يناوش الروم سبعة أيام حتى تم الانسحاب وعاد بقواته الى المدينة ٠

وعن أنس بن مالك أن رسول الله نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، وأبلغهم نبأ تولى خالد قيادة الجيش ، فقد اجتمع الناس الى رسول الله فقال « باب خير ٠٠ خير ٠٠ أخبركم عن جيشكم هذا الغازى ٠٠ انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا واستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفر بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيدا ، واستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد وقال « اللهم انه سيف من سيوفك فأنت تنصره » ٠

وبدراستنا لغزوة مؤتة ، نلاحظ :

١ ــ ان القبائل العربية المتاخمة للشام وللعراق ، لمست عن قرب بسالة المسلمين وشجاعتهم فى الحرب واستماتتهم فى القتال واستشهادهم بروح عالية لا مثيل لها ، وبايمان عجيب يسيطر على نفوسهم ، وكان هذا كله سببا فى دخول الكثيرين فى الاسلام حتى ان قائدا لاحدى فرق الروم ويسمى فروة ابن عمرو الجذامى أعلن اسلامه ، فقبض عليه هرقل ووعده بالعفو وباعادته الى قيادته ان ارتد عن الاسلام ، فلما أبى قتله ٠

ودخل فى الاسلام كثير من سليم على رأسهم العباس بن مرداس وكذلك كثيرون من أشجع وغطفان وعبس وذبيان وفزارة ، وبذلك اشتد الأمر للمسلمين فى شمال المدينة حتى حدود الشام وازداد الاسلام عزة وقوة ومنعة ٠

٢ ــ رأت قريش أن فى عودة المسلمين من مؤتة انهزاما لهم ، ولهذا قررت أن تنقض عهودها مع المسلمين ، فان عهد الحديبية قضى أن من شاء الدخول فى عقد محمد فليدخل ومن شاء الدخول فى عقد قريش فليدخل ، ونتيجة لذلك دخلت خزاعة فى عهد محمد ودخلت بنو بكر فى عهد قريش ، وكان بين الاثنين ثأر وعداء ، وبمقتضى عهد الحديبية هدأت الحالة بينهما ٠٠ ولكن هزيمة المسلمين فى مؤتة كما صورها القرشيون جعلت بنى بكر تنقض العهد وتهاجم خزاعة ، فأسرع عمرو بن سالم الخزاعى الى الرسول ينبئه بنقض العهد ، فقال له الرسول « نصرت ياعمرو بن سالم » ورأى الرسول فى اعتداء بنى بكر نقضا من جانب قريش للعهد ، ولهذا قرر أن يعد العدة ليهاجم قريشا فى داخل مكة ، وبدأ يستعد للحرب القادمة ٠٠ للمعركة الكبرى المقبلة ٠٠ للغزوة العظيمة ٠٠ غزوة الفتح ٠

٣ ــ الروح العسكرية الأصيلة التى كان يتمتع بها خالد ، حينما خرج مع الجيش المحارب كأى جندى من جنود هذا الجيش رغم مكانته ومنزلته ، ورغم أنه كان وهو فى صفوف المشركين قبل اسلامه قائدا يعتمد عليه المشركون اعتمادا كبيرا ، ورغم أنه كانت له مواقف حربية رائعة وخاصة فى أحد والخندق ويوم الحديبية ٠

ان خالدا لم يفكر وهو يخرج مع الجيش فى أن يكون قائد الجيش وانما كان همه الأكبر الذود عن الدين الجديد الذى آمن به وامتلأ قلبه بالاخلاص له ٠٠ ولهذا فلم يغضبه أن يخرج جنديا تحت امرة مولى من الموالى هو زيد بن حارثة عتيق رسول الله ٠٠ لقد حارب خالد تحت قيادته وهو أطوع ما يكون جنديا فى جيش ، وأخلص ما عرف الناس عن رجل فى مكان خالد من العزة العربية والعبقرية الحربية والبطولة القرشية ٠

وثابت أن خالدا لم يفكر طوال الحملة فى أن يتولى قيادة الجيش ، فعندما عرض عليه ثابت بن أقدم قيادة الجيش رفض وقال له « لا آخذه أنت أحق به منى ، لك سن وقد شهدت بدرا » ، ولم يقبل خالد تولى القيادة الا حينما أحس أن موقف الجيش فى حاجة الى قيادة حكيمة ، ويتطلب قائدا حازما عبقريا ، وخاصة ان أمراء الجيش الثلاثة قد قتلوا خلال المعركة ٠

٤ ــ شجاعة خالد وثباته وقوته وصلابته خلال العمليات ، فلا شك فى أن وجوده خلال المعركة خفف كثيرا من المحنة التى تعرض لها جيش المسلمين ، فان أول عمل قام به عندما تولى الامارة هو القتال بشدة وعنف ، حتى

انه صور عنف القتال فى قوله « لقد اندفعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت فى يدى الاصفيحة يمانية » ٠

٥ ـ تقدير خالد للموقف خلال العملية كان تقديرا سليما صحيحا رائعا ، فانه أراد أن يوهم أعداءه أن هناك مددا قد وصل، وان العرب قد زادت قوتهم وزاد عددهم ، وانهم فى سبيل تنظيم صفوفهم تمهيدا لخوض معركة فاصلة تنتهى بانتصارهم ودحر أعدائهم ، ولهذا انتهز خالد فرصة تحاجز القوم ليلا وأسرع يعيد تنظيم جيشه ، ويغير مواضعه ، فجعل الميمنة ميسرة ، والميسرة ميمنة ، والساقة مقدمة ، وأدخل فى روع الروم بهذا التعديل فى أوضاع الجيش أن هناك مددا جديدا قد وصل، وفى ذلك يقول الديار بكرى « ان خالدا لما أصبح ، أخذ اللواء وغير صفوف جيشه ، فجعل المقدمة مكان الساقة ، والساقة مكان المقدمة ، والميمنة مكان الميسرة ، والميسرة مكان الميمنـــة فوقع الكفار فى غلط ، فحسبوا أن لحق المسلمين مدد ، فوقع فى قلوبهـــم من ذلك الرعب ، فانهزموا » ٠

٦ ـ انسحاب خالد بالقوات لا يعنى انهزام قواته ، فليس معنى الانسحاب هو الانهزام ، لأن الانسحاب قد يكون لغرض أكثر ســموا من الهزيمة أو الفرار ،فخالد حينما انسحب بقواته من مؤتة انما انســـحب لغرض نبيل هو حماية الجيش من الفناء أمام قوات تفوقه سبع مرات أو أكثر فى العدد والعدة ، وعملية الانسحاب ذاتها فى حاجة الى مرونة والى مقدرة والى كفاءة ليتم الانسحاب دون خســارة فى الأرواح أو العتاد ٠٠ وقد نجح خالد نجاحا بعيدا فى اتمام العملية دون خسائر فادحة ، وقيل ان عدد القتلى من المسلمين خـــلال الانسحاب كان اثنى عشر فقط ٠

وهذا الانسحاب كان أول انسحاب من نوعه فى تاريخ الحرب أخذه القادة فيما بعد عن خالد ، فعندما غزا نابليون روســيا فوجىء بحركة ارتداد روسية حتى ضــل الجيش الفرنسى ، وخسر نابليون المعركة التى انتهت بحريق موسكو ، والمارشــال هندنبرج فى الحرب العالمية الأولى استطاع بحركة تشبه حركة خالد بن الوليد أن ينجو بجيشه من الهلاك المحقق ، وثعلب الصحراء روميل كسب شهرته بانسحابه التاريخى الذى أنقذ به جيش المحور فى شمال أفريقيا ٠

وسيظل انسحاب خالد فى مؤتة قصة تروى وحديثا يتردد :

٧ ـ واجه خالد بقواته القليلة عدوه بكثرته وجبروته ٠٠ وهذه المواجهة لها معناها الرائع العظيم ، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليحاربوا بكثرة عدد قط ، وانما كانوا يحـاربون بقوة العقيدة وثبات الايمان وعبقرية القيادة وبطولة الجنود وحب الموت فى سبيل الله٠٠ والقرآن الكريم جعل المسلم الواحد بعشرة رجال من الكفار فى أول الأمر ثم خفف الله عنهم فجعل المسلم برجلين من الكافرين ، وهذا معناه التفاوت المعنوى فى القوة والجلاد ، وهو الذى درج عليه المسلمون فى حروبهم ، ووقائعهم ، فالكثرة الحربية لا دخل لها فى النصر الحربى ، وقد تؤدى مكيدة من مكايد دهاة القواد والأبطال الى مالم تقم له الألوف المؤلفة من الرجـــال والعتاد ٠

٨ ـ رأى خالد الفزع الكبير الذى غمر المسلمين حينما قتل أمراؤهم الثلاثة والذى ساعد عدوهم على كشفهم ، فانكشفوا وانهزموا فزعين ، وفر بعضهم من الميدان حتى اذا علموا بتولى خالد القيادة عادوا من جديد ٠

حينما رأى خالد هذا الفزع الذى ملــك المسلمين وغمرهم قرر أن يقوى روحهم المعنوية فعمل على تجديد الهجوم ، وتوجيــه طوائف الجيش الى خطة جديدة وعمد الى حيلة تغيير الوضع الأول للجيش ، ثم حمل سيفه واندفع يضرب به أعناق الرجال حتى اندقت فى يده تسعة أسياف ، وباندفاعه هذا أثار الحماسة والشجاعة والجرأة فى نفوس جنده ، وأعاد لهم ثقتهم فى أنفسهم فهدأت روحهم وتذكروا رسالتهم ودينهم ، فثبتوا حتى وجههم خالــد الوجهة التى أنقذ بها حياتهم وأرواحهم ، ولو أن الجيش انسحب وحالته المعنوية ظلت على ما هى عليه قبل تولى خــالد ، لأدى ذلك الى خسائر كبيرة من العسير تقدير نتائجها ٠

من وحي الرسالة

رمضان و ليلة القدر

الأستاذ عبد المنعم حمادة

نعم محمد - صلوات الله وسلامه عليه - بحياته بعد زواجه من السيدة خديجة ، فقد أمضى سنواته الأولى من هذا الزواج فى بحبوحة من العيش عوضت عليه بعض ماقاساه فى طفولته وبكورة شبابه من مرارة اليتم ، وعظم الفجيعة بموت جده عبد المطلب بن هاشم ، وثقل العبء الذى أحسه فى الفترة التى قضاها مع عمه أبى طالب ، وقسوة الحياة عندما كان يرعى الغنم أو يسافر فى تجارة ، والشدة التى كان يستشعرها عند مغالبة النفس ومناهضتها ضد عبث الطفولة ونزوات الشباب ، والبعد عن مواطن الريبة التى كان ينزع اليها لداته من فتيان مكة وشبابها الذين غلبت عليهم الجهالة ، وانتشر بينهم الشرك ، وتغالوا فى الملذات والمتع وقالوا : « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » ..

فقد تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خديجة - رضوان الله عليها - وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، شابا يمتلىء قلبه بحماسة الشباب ودوافعه ونزواته ، ولكنه لم يدنس نفسه بمثل مادنس به الشباب أنفسهم من لهو رخيص وعبث ماجن ، ولم يرض لنفسه أبدا أن تتنزل الى ما يخدش الكرامة ويجافى الخلق السليم .. تزوجها وهو على هذه النفس الصافية ، والروح السامية ، وسمات الجد والعفاف فى تصرفاته ، وطابع الوقار فى حركاته ، وسماحة الطبع ، وطلاقة الوجه ، وتقدير الناس له ، واعجابهم به .. تزوجها وهذه صفاته ، وهذه أخلاقه ، ولكن قلبه ونفسه لم يكونا قد خلصا من آثار الماضى .. وكأنما أراد الله له التخفيف من آثار الماضى فكتب له بهذا الزواج عوضا عن آلامه ومتاعبه فأغناه من فضله بما توفر لخديجة من مال هيأ له أسباب الراحة والطمأنينة ، واراحة من شقاء السعى المضنى فى سبيل العيش ، وبارك الله له فى هذا الزواج بما أتم به عليه هو وزوجه من نعمة الوفاق والاخلاص ، وبما أنعم به عليهما من بنين وبنات .. ولقد أحس الرسول الكريم هذه النعم فتغنى بها وذكرها فى كثير من أحاديثه ، ومثل ذلك ماروواه الامام أحمد عن عائشة أم المؤمنين حين قالت : « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - اذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء ، قالت : فغرت يوما فقلت : ما أكثر ماتذكرها .. ! احمراء الشدقين قد أبدلك الله خيرا منها .. ! قال : « ما أبدلنى الله خيرا منها وقد آمنت بى اذ كفر بى الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وآستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها اذ حرمنى أولاد النساء » .

كانت هذه هى حياة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - بعد الزواج من خديجة .. سعة فى الرزق ، وهدوء نفس ، وطمأنينة قلب ، وسعادة فى البيت ، وراحة بعد عناء ، وحب ملأ قلوب الناس ، وتقدير أجمع عليه القوم ، غير أن هذه النعم كلها التى أفاء الله بها عليه لم تستطع أن تبعد محمدا عن التأمل والتفكير ، وعن العزلة التى كان يلجأ اليها فى

كثير من أيامه ، والصمت الذى كان ينزع اليه فى كثير من ساعات النهار أو ساعات الليل ٠٠ فقد كان رسول الله يحس أنه يحمل فوق كتفيه حملا ثقيلا من الهم لم يكن يدرى لهمن سبب الا أن يكون ذلك الجو الذى يحيط به ، وتلك الحياة التى يحياها الناس من حوله ، وذلك الفساد الذى ينغمس فيه قومه ، وذلك الضلال الذى يخيم على شبه الجزيرة ، وتلك الجهالة التى تضرب أطنابها فى كل قلب ٠٠ كان محمد حزينا لهذا كله حزنا طغى على نفسه فأنساها الى حد ما ، ذلك النعيم الذى هيأه له زواجه ، **لأنه لم يكن يفكر فى سعادته هو بقدر ماكان يرجو هذه السعادة لأهله ولقومه من حوله وللناس أجمعين ، وذلكشأن النفوس العظيمة والقلوب الكبيرة** ٠٠ هذهالسعادة التى كان يرجوها لأهله ولقومه وللناس ، وطريق الخلاص الذى كان يرجو أن يسيروا فيه ، وتلك الغشاوة التى كان يطمع فى أن تنكشف عن أبصارهم ، وتلك التقاليد والعادات التى كان يتمنى أن يخلصوا منها ، وأن يتحرروامن تأثيرها ٠٠ هذا كله هو الذى كان يدفعه الى التأمل والتفكير ، والى العزلة والصمت فيكاد **ينسى حياته الخاصة ٠٠ لقد كان هذا السهم الثقيل ـ كما يقول الاستاذ أمين دويدار فى كتابه صور من حياة الرسول ـ « هو الذى شغل به رسول الله باله ، وأقلق من أجله راحته ، وكانت هذه الحيرة الشديدة هى التى يضيق بها صدره ، وتنقبض لها نفسه، فكان يفر بهمه الى الخلوات ، ويأوى الى الجبال والغيران ـ الكهوف ـ وهنالك يخلو الى نفسه فى عزلة عن الناس ، يتفكر ويتأمل ، ويتوجه بقلبه وجوارحه الى الله بارىء السموات والأرض ، أن يشرح له صدره بنور الحق ، وأن يخرجه من هذه الحيرة ، ويهديه سواء السبيل »**

وفى سبيل هذا التأمل والتفكير ، وهذه العزلة وهذا الصمت كان رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يبتعد عن الناس ومايغمسون فيه من لهو وعبث ، ومايجادلون فيه من لغو وخرافة ، وما يتعبدون به مما لايستقيم مع العقل والمنطق ، وفى سبيل هذا الابتعاد كان يهرع الى « غار حراء » يتخذ منه الصومعة التى يخلو فيها الى نفسه ، والى تأمله وتفكيره ٠٠

كان رسول الله يأوى الى هذا الغار أياما وليالى يتعبد ويتخفف ، ويقول الرواة « **انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يجاور فى ذلك الغار شهرا من كل سنة ، فاذا قضى جواره من شهره ذلك ، كان أول مايبدأ به أن يقصد الى الكعبة ، فيطوف بها ماشاء الله أن يطوف ، ثم يرجع الى بيته** » ٠٠ وليس من شك فى أن مانزعت اليه نفسه من هذه الخلوة انما كان الهاما من الله ، واعدادا للرسالة العظيمة التى سوف يحملها ويبلغها الى الناس ، وتهيئة لاشراق نور النبوة ، وفى ذلك تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ انه قد « حببالية الخلاء » الذى أغرمت به نفسه كما لم تغرم بشىء مثله ، يقول الأستاذ أمين دويدار : « **فلم يكن شىء أحب اليه من أن يخلو وحده ، وأن ينفرد بنفسه فى ذلك المكان النائى ، بعيدا عن ضوضاء الحياة ، يقلب بصره فيما حولهمن مظاهر الكون ، ويجيل بصيرته فيما شاء الله من ملكوت السموات والأرض ، ويقضى نهاره صائما وليله قائما ، متطلعا الى مشارق النور الالهى الذى تهيأت له نفسه ، واستشعرته بصيرته ، واستشرف له فؤاده ، وتفتحت له روحه** »

فى هذا الغار كان أول نزول القرآن ، نزل به جبريل الأمين من عند الله ليلقنه رسوله ، وقد قيل عن ابن عباس أنه قال : « **أنزل القرآن فى ليلة القدر جملة واحدة الى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله بعضه فى أثر بعض** » وعن الامام جلال الدين السيوطى : « قيل السر فى انزاله جملة الى السماء ، تفخيم أمره ، وأمر من نزل عليه ، وذلك باعلام سكان السموات والأرض السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ، قد قربناه اليهم لننزله عليهم ، ولولا أن الحكمة الالهية اقتضت وصوله اليهم منجما بحسب

الوقائع ، لهبط به الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، ولكن الله باين بينه وبينها ، فجعل له الأمرين ، أنزاله جملة ثم انزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه » ولقد أجمع المؤرخون أن نزوله كان فى عام ٦١٠ من ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ وقد بلغ رسول الله الأربعين من عمره ، وكان ذلك فى شهر رمضان بدليل قوله سبحانه وتعالى : « **شهر رمضـان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينـات من الهدى والفرقان** » ، ففى ليلة من ليالى هـذا الشهر نزل جبريل الى النبى يطلب اليه أن يقرأ ، ويسأله النبى عما يقرأ ، ويستمر الطلب ، ويستمر السؤال الى أن يستجيب النبى آخر الأمر ويصدع بأمر الله الذى حمله جبريل ، وفى ذلك يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عبيد بن عمير : « **فجاءنى وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال اقرأ ٠٠ قلت : ما أقرأ ! ـ قال : فغطنى ـ ضغطنى وعصرنى ـ حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ٠٠ قلت ما أقرأ ! ـ قال : فغطنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى ، فقال : اقرأ ٠٠ قلت : ماذا أقرأ ! ماأقول ذلك الا افتداء منه أن يعود لى بمثل ماصنع بى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ـ قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عنى ، وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا** »

ولقد اعتاد المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أن يحتفلوا بشهر رمضان احتفالا يفوق كل احتفال ، وأن يستقبلوه بما يفوق كل استقبال ، وأن يستعدوا له بما يليق به من اعداد النفس للحدث العظيم والأمر الخطير ، واعتادوا أن يعنوا به كما يعنون بأعز مايملكون وأن يحيطوه بأنواع التكريم التى لايحيطون بمثلها غيره من الشهور ، وأن يحيوه بصنوف العبادة ، وأن يغدقوا فيه الخير على الفقراء والمعوزين ، وتكاد تكون الجمهورية العربية المتحدة أعظم الدول الاسلامية احتفالا بهـذا الشهر وتكريما له ، ولم يكن هـذا بالشىء الجديد الطارىء عليها ، فهو أمر أصيل فى شعبها منذ زمان طويل ، فان التاريخ يحكى أن الدولة الفاطمية فى مصر قد عنيت بهـذا الشهر كما يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب ، وأنها « احتفت به احتفاء لم يسبق ولم يلحق ، فكانت تحذر بيع المسكرات ابتداء من شهر رجب ، وتعاقب من يبيعها أو يشتريها سرا أو جهرا ، وخصته بحفلات يعد بعضها تمهيدا لحلوله ، والبعض لاعلان رؤية هلاله ، وهى حفلات غنية بمظاهر العظمة ، شاملة لأنواع البر والصدقات مما يرفه عن الفقير ويدخل السرور عليه ٠

« فاذا أقبل شهر رمضان عهد الى قضاة مصر بالطواف قبل حلوله بثلاثة أيام بالمساجد والمشاهد فى القاهرة ومصر ، فيبدأون بزيارة جامع المقس ثم بجوامع القاهرة والمشاهد ، وجوامع مصر « الفسطاط » ، ثم بالمشهد الحسينى لتفقد ماتم اجراؤه فيها من اصلاح وفرش وتعليق قناديل »

ولعل مظاهر الحفاوة بمقدم هذا الشهر ، ودلائل التقدير والتعظيم التى كان يضيفها المصريون على شهر رمضان تتجلى فى طريقة الاحتفال بأول يوم من أيامه المباركات ٠٠ يقول الأستاذ حسن عبد الوهاب : « اذا كان أول يوم من شهر رمضان اهتم الخليفة الفاطمى بمهرجان اعلان حلول رمضان ، فيخرج متحليا بملابسه الفخمة من باب الذهب أحد أبواب القصر الفاطمى الكبير وحوله الـوزراء بملابسهم المزركشة ، وخيولهم المطهمة ، بسروجها المذهبة ، وفى أيديهم الرماح والأسلحة المكفنة بالذهب والفضة والأعلام الحريرية الملونة ، وأمامهم الجند تتقدمهم الموسيقى صادحة بأنغام شجية ، ويسير فى هذا الاحتفال تجار القاهرة من الجوهريين والصيارفة والصاغة والبزازين وغيرهم ٠٠ وقد تبارى هؤلاء التجار فى معالم الزينة المقامة على حوانيتهم ، وتفننوا فيها بما يلفت نظر الخليفة ، فيسير الموكب من بين القصرين الى أن يخرج من باب الفتوح ، ثم يدخل باب النصر عائدا الى باب الذهب ، وفى

أثناء الطريق توزع الصدقات على الفقـراء والمساكين » .

وليس الاحتفال بشهر رمضـان بالشيء الغريب على المسلمين فى كل بقعة من بقـاع الأرض ، ذلك لأنه الشهر الذى فرض فيـه الصوم ، ونزلت فيه أول سورة من سـور القرآن .. يقول الله عز وجل : « **يأيهـا الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضـان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينـات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشـهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سـفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون** »

وهو الشهر الذى يرى فيه كل مصـلح اجتماعى ، بل كل متعقل نزيه كما يقـول الأستاذ ممحد غلاب : « لونا من ألوان الهدنة التى تقهر الغرائز على القاء أسلحة الرغبات ، واطفاء نيران الشهوات ردحا من الزمن تستجم فيه الانسانية ، وتعرف منزلتها الحقيقيـة ، وتعنى بكرامتها التى هى أسـاس تميزها عن بقية الكائنات التى تدب على الأرض هائمة فى وديان الظلمات » .

وهو الى جانب هذا وذاك الشـهر الذى فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شـهر .. يقول الله فى محكم آياته : « **انا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائـكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر** » .. وهى ليلة مباركة مافى ذلك شك ، يقول سبحانه — عز وجل — فى مفتتح سورة الدخان : « **حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السـميع العليم** » ، فان الله الذى خلق الانسان نوعـا ممتازا بطبيعته يفارق سائر الحيوان بفطرته ، محتاجا الى التعليم والارشاد بغريزته ، قد كتب على نفسه أن يتعهده بالانذار على ألسنة الرسل ، فأنزل القرآن لانذار الناس بما سـيلاقون جزاء لاعمالهم ، ولما تعقد عليه قلوبهم — ثوابا أو عقابا — فى حياة أخرى بعد هذه الحياة ، ثم يبين الله بعد ذلك أنها الليلة التى يفصل فيها كل حكم من أحكام الدين ، ولا يقرر فيها من الأحكام الا ماكان حكيما يقف بالانسان عند الحق ، ويبعد به عن الباطل ، وينصرف به عما فيه شقاؤه وفناؤه الى مافيه سعادته وبقاؤه .

وليس احتفال المسلمين برمضان كل هذا الاحتفال الذى تتعدد مظاهره وتختلف ألوانه بالشيء الغريب وفيه هذه الليلة المباركة التى هى خير من ألف شهر فى حساب آلاف الشهور التى كانت قد مضت على الأمم وهى تتخبط فى ظلمات الجهل والضلال .. يقول الأستاذ الامام محمد عبده فى ليلة القدر : « فهى ليلة عبادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين ، فلا تكون ليلة زهو ولهو ، تتخذ فيها مساجـد الله مضامير للرياء يتسابق اليها المنافقون »

ثم يقول : « ثم سميت ليلة القـدر : اما بمعنى ليلة التقدير لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه ، وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس الى ماينقذهم مما كانوا فيه ، واما بمعنى العظمة والشرف من قولهم : فلان له قدر أى شرف وعظمة لأن الله قد أعلى فيها منزلة نبيه وشرفه وعظمه بالرسالة ، وقد جاء بما فيه الاشارة ، بل التصريح بأنها ليلة جليلة بجلالة ماوقع فيها من انزال القرآن فقال : « **وماأدراك ماليـلة القدر** » أى وما الذى يعلمك مبلغ شأنها ونباهة أمرها » .

وبعد ..

فانى أرجو الله مخلصا أن يهبنـا الايمان الصادق بوحدانيته وقوته ، وبرسالة نبيـه العظيم ، وكتابه الكريم ، وأن يوفق المسلمين فى أنحاء الأرض الى العمل الصـالح ، الذى تستقيم به الأمور .

والله ولى التوفيق .

رمضان
حفاوة وحساب

الدكتور محمد يوسف موسى

« شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القــرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » . شهر اتصلت فيه السماء بالأرض ، وأذن الله فيه أن تدخل الانسانية الحائرة فى عهدجديد بكان هذا الكتاب الذى خرجت به من الظلمات الى النور . ومن أجل هذا كان شهرا قدسيا ، وكان الواجب الحفاوة به والاحتفـــال له ، وأول مايجب أن يكون من الحفاوة صوم أيامه المباركة وامتناع الجوارح فيه عن مقارفة ما يغضب الله ويتأذى منه الناس . وتــكون الحفاوة ثانيا بقراءة القرآن وترتيله ، فقراءته ذكر الله عز وجل ، وحضورمجالسه والاستماع لهعبادة، فقد ينتفع السامع بوعظه ويهتدى بهديه وقد يفتح الله بآية منه باب التوبة لعـــاص مذنب ، وقد يرشد به عبد ضال أو شـــخص حائر .

وقد كتبنا من قبل – فى سبيل الاحتفال بمقدم رمضان – الكثير عن الصوم وحكمته ، وعن الجوع وأثره فى الصحة وترقيق قلب الصائم بالنسبة للفقير الجائع الذى لايملك شيئا ، وعن غير ذلك من أسرار الصوم وحكمة تشريعه . لهذا نعتقد أنه قد آن الأوان الذى يجب أن نحتفل فيه بهذا الشهر على نمط آخر وذلك بالاقبال على دراسة القرآن دراسة لهـا هدف آخر غير مانعرف منذ قرون .

لم ينزل القرآن لنعرف ماحوى من اللغــة وأساليب البلاغة والاعجــاز ، ولا لينتصر به صاحب مذهب فى علم على خصومه . كفانا هذه الألوان من الدراسات ، وكفى ماأنفقناه فيها من زمن طويل ، وكفانا البكاء على ماكان لنا من أمجاد ، وعلى عز مضى وصار تاريخـــا من التاريخ !

يجب أن ننظر اليوم نظرة جادة للحاضر ، فنعلم أن هنالك ناحية أخرى ينبغى أن نعنى بها شديد العناية ، هى دراسة القرآن لمعرفة مافيه من «هدى» فيما يختلف العالم اليوم من أجله ، نعنى « أصول سياسة المـــال » فى القرآن ، أو المذاهب الاقتصادية فى الاسلام بتعبير آخر .

ان للقرآن – بجانب مذهبه فى الحــكم والسياسة العامة ، وبجانب تشريعـــاته المختلفة التى فيها للعقل رضا وللقلب هدى – ان له مذهبه فى سياسة المال ، والاقتصـــاد العام . وهو مذهب واضح المعالم ، فيه للعالم سلم وهناء ان عرفنا استخلاصهوأحسنا عرضه على الناس . انه ليس من الكرامة ولامن العقل فى شىء ، أن نولى وجوهنا شطر الغرب نلتمس لديه مانحتاج اليه من نظم سياسية أو اجتماعية أو مالية ، ولدينا القرآن لم نستخرج منــه مايذخر به من كنوز .

وبعد : فماذا أريد أن أقول ؟ أريد أن أقول بأنه آن لنا أن ندرس القرآن على نحو يغاير – الى حد كبير – ذلك النحو الذى ألفناه منــذ قرون ، على نحو تعرف به وضوح المذاهب التى يدعو اليها فى السياسة والاقتصاد ، وهى النواحى التى تفرق اليوم بين أمم العالم وتجعلها معسكرات يتربص بعضها الدوائر ببعض .

انه من الحق أن القرآن يتضمن مذهبا فى الاقتصاد والسياسة المالية العامة لم تصل الى قريب منه فى عدالته أمة من أمم الغرب ، وكل ماعلينا كى نعرف هذا المذهب ، أن نقــرأ القرآن لهذا الغرض ، وأن نتدبره حين نقرؤه ، وأن نضم للآية مايتصل بها من حـــديث

الرسول ، ثم نضم لهذا وذاك شواهد من التاريخ الصحيح فيها ايضاح وتطبيق لأصول هذا المذهب الذى يدعو اليه ٠

والآن ، علينا أن نقصدالى شيء من التفصيل بعد هذا الاجمال ، وأن نذكر بعض المثل التى فيها ايضاح لبعض مانقول ٠

١ ــ الاسلام يقرر بلا شك حق الملكيةالخاصة وقد كان من المسلمين فى فجرالاسلام من يملك الكثير من الأرض والأموال المنقولة ، وكانذلك معروفا ، ولا لوم فيه ولا تثريب ٠ لكن القرآن حين يقول فى سورة الحديد (٥٧ : ٧) « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وحين يقول فى سورة النور « ٢٤:٣٣ »

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وحين يقول على بن أبى طالب الخليفة الرابع لرسول الله : « ٠٠ فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية »

نقول حين نسمع هذا ومثله ، ومثله كثير ، وحين نؤمن به ونفهمه تماما : انالأصل فى الملكية العموم لا الخصوص ، وان الأغنياء خلفاء الله فيما تحت أيديهم من المال ، فعليهم أن ينفقوا منه فى سعة على الفقير وصاحب الحاجة

٢ ــ والاسلام ، وان أباح الملكية الفردية ، قد عنى الى جانب هذا بألاتوجد فى الأمةطبقة مفرطة الغنى وأخرى شديدة الفقر ، وذلك ليكون عباد الله سواسية فى مال الله ٠ لنسمع قول الله تعالى فى سورة البقرة (١ : ٢١٩) **« ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو »** ، أى انفقوا الزائد عن حاجاتكم وحاجة كل امرىء بحسبه وحسب منزلته الاجتماعية٠

ومن الحق أن الأمر فى هذه الآية ونحوها ليس للوجوب ، ولكن من الحق أيضا أن من المبادىء الأساسية فى الاسلام ألا يكون بين المسلمين من يملك الآلاف ومن لايملك قوت يومه بانتظام ٠ ومن أجل هذا نرى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : **ما آمن بى من بات شبعان وجاره الى جانبه جائع وهو يعلم »** ولعل هذا هو مافهمه عمر الخليفة الثانى للرسول حين قال : **« لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء ٠ ولكن وأأسفاه لقد حال موته شهيدا دون تنفيذ هذا الذى كان قد عزم عليه ٠**

٣ ــ والاسلام بعد هذا كله حرص على أن يكون المجتمع الاسلامى متماسكا متضامنا ، لافرق بين المسلم وغير المسلم ، بحيث يجد كل من أعضائه العون من أخيه ومن الدولة ، حين الحاجة لهذا العون : من صغر أو زمانه أو كارثة حلت به مع الفقر ، وهذا مايسمى فى عرف الاقتصاديين المحدثين بالضمان الاجتماعى ٠

لقد كتب عمر بن الخطاب ــ وقد رأى شخصا من غير المسلمين يسأل الناس ــ كتابا عاما لولاته فى الأمصار يقول فيه : **« أيما رجل من أهل الذمة ضعف عن الجزية ، وصار أهل ملته يتصدقون عليه وضعت عنه الجزية وعيل من مال المسلمينماأقامهو وعياله بدار الاسلام»**

رحم الله ابن الخطاب ! لقد فهم القرآن حق الفهم وأدرك تمام الادراك روح الاسلام ، وعرف للانسانية حقها لا فرق بين المسلمين وغير المسلمين ، فوصل الى تقرير مبادىء المساواة والتضامن والتأمين الاجتماعى ، ذلك مالم تصل اليه البشرية حتى هذه الأيام التى نعيش فيها بل انه قد زاد فى هذه الناحية ، ناحية التضامن بين أفراد الأمة جميعا ، حين جعل أهل البلد الواحد مسئولين عمن يموت جوعا بينهم وهم يعلمون ، فكان يغرمهم الدية كأنهم هم الذين قتلوه ٠ وليس بعد هذا زيادة لمستزيد ٠

ولست أرمى من هذه اللمحة الخاطفة الى دراسة هذه المسائل ونحوها الآن دراسة تمكن من اقامة المذهب الاقتصادى للاسلام ، فلذلك مجال آخر ٠ وكل ماأهدف اليه الآن هو ــ كما قلت من قبل ــ أن يكون احتفالنا برمضان الذى أنزلفيه القرآن ، داعيا لنا الى دراسة القرآنمن نواحيه المختلفة ، وبخاصة النواحى التى تطلبها الحياة فى هذه الأيام ، وذلك لنستنبط منه المذاهب التى يدعو اليها فى مشاكل السياسة والحكم والاجتماع والاقتصاد ٠ كل هذا لايكون الا اذا نحونا فى دراسة القرآن منحى آخر غير ماألفناه قديما وحديثا حتى

ذلك لأن لكل عصر مشاكله ، ولكل مشكلة وسائلها الصحيحة التى ينبغى أن تحـل بها ٠

وكما أن علينا أن نستقبل شهر رمضـان بالفرح والسرور لأنه شهر الخيرات والبركات من الله تعالى لعباده ومن الناس بعضهـم لبعض ، وأن نعمل بكل مايوجبه القـرآن ونجتنب كل ماعنه نهى ، كذلك علينا أن نودعه حين يتأذن بالرحيل ونحن وجلون ألا نكون قد أحسنا وفادته وقمنا بـواجب الوفاء له ، ووجلون اذ لاندرى مبلغ ماقمنا فيه من الخير، وقيمة ماكان منا من العمل لدى الله الذى اليه الجزاء والحساب يوم الدين « **يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله** » « **يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ومـاعملت من سـوء تود لو أن بينها وبينه أمـدا بعيدا** » « **وتوفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون** »٠

ونودعه ونحن خجلون من أن يكون منا من أفطر متعللا بالضعف أو المرض الذى لايعجز عن الصـيام ، أو يكون قد أصـابه مس من الشيطان ففر وهو صحيح من التجربة التى لاعقبى لها الا الخير كل الخير ، ونرجو لهذا ولذاك ألا يغرهما بالله الغرور مرة أخرى حين يهل علينا هلاله من جديد ان شاء الله تعالى ٠

ونودعه ونحن مشفقون على أنفسـنا ، خشية ألا نكون وفينا للشهر العظيـم كل حقوقه ، أو كنا فيه من الصائمين الذين قاسوا شدة الجوع وحرارة العطش ، دون أن نمتنع عن اللهو والعبث وقول الزور والعمل به ، أو من المتكبرين الفخورين بما زعموه طاعة لله عز وجل ، وقديما قيل : **رب معصية أورثت ذلا وانكسـارا خير من طاعة أورثت علوا واستكبارا ، والله لايحب المتكبرين** ٠

وأخيرا ، ان علينا لهذا أن نحاسب أنفسنا قبل يوم حساب الله الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، فان الفطن الكيس من دان نفسه وكان رقيبا عليها ٠ وقد أثر عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه قال : **حاسبوا أنفسـكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم** ٠

وان التاجر الحازم الذى يخشى الخسـارة ويرجو الربح فى ماله ينظر كل سنة أو شهر مثلا فى رأس ماله وربحه أو خسرانه ، ليعرف زيادته أو نقصانه ، فان رأى رأس المال قد نما وزاد فرح واستبشر ، وان رأى نقصا وخسارة عمل على تدارك ماقد يكون وقع من أخطاء ٠ هذا كله مع أن الربح أو الخسارة ليس الا فى المال الذى يـذهب ويجىء فكيف اذا كانت الخسارة هى عـذاب النار ، والربح هو الجنة ٠

ليس الصوم أن يجد الصائم ألم الجوع والعطش دون أن تذكو نفسـهـ وتتطهر روحه ثم يتبجح بقوله : انى صائم ، ففى الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** » ٠ وانه ليس من الكرامة لأى انسان أن يصوم اذا صام الناس ويفطر اذا أفطروا ، دون أن يفهم لماذا كان الصوم وكان الفطر ٠

ان من حكمة الصيام الذى أمر الله به أن ينتهى بالصائم الى رقة القلب وخشوع النفس والعطف على الفقراء والمحرومين الذين لايجدون مايشبعهم ، ولهذا جاء عن الرسول أنه ليس من الاسلام أن يلبث المرء شـبعان وجاره الى جانبه جائع ٠

وان فى الصيام رياضة النفس ومجاهدتها حتى تنتهى عن الشر والهـوى فى كل حال وزمان ، لافى شهر رمضان وحده ، وحتى تعود صافية خالية من الشوائب كما خلقها الله ، فتكون مستعدة للاتصال بالله وتلقى فيضه ، وان فيه ـ اذا صدقت منا النيات ـ مايجعلنا ننأى عن اللهو والعبث الذى لاطائـل وراءه ، ونبعد عن الرفث والفسوق والعصيان ٠ ان فى الصوم مايجعلنا حقا من المتقين العاملين بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فعلينا من أجـل ذلك كله أن نخلص فى صومنا ، وأن نصدق فى عزمنا عليـه ، وأن نحاسب أنفسنا على مانعمله فى هـذا الشهر المبارك ، وأن نفرح اذا كنا صائمين حقـا ، وننـدم ونتوب ان كان منـا مالا يرضـاه الله ورسوله ٠ بذلك نكون قد فعلنا مافيه صلاح لأنفسنا وصلاح لدنيانا وآخرتنا ، ونكون فى مستقبلنا خيرا منافى حاضرنا ٠ والله المستعان ومنه التوفيق ٠

الإسلام والحجر الصحي

الدكتور محمد وصفي

لم يكن نظام الحجر الصحى معروفا فى أوروبا عندما اجتاحها الطاعون ، الذى كان يسمى بوباء استامبول سنة ٥٤٢ م ، أى قبل تاريخ الهجرة النبوية بنحو ثمانين سنة ، ولقد لاحظ بعض المؤرخين سير هذا الوباء بنفسه فى بيزنطة ، وقرر أنه استمر أربعة أشهر ، وأنه قد ازداد عدد الموتى بادىء الأمر ، ثم وصل الى خمسة آلاف نسمة يوميا ، ثم الى عشرة آلاف نسمة يوميا ، فتعطلت التجارة ، وهجر الصناع والعمال أعمالهم ، وحلت بالبلاد مجاعة مخيفة .

وماكان الاسلام ، وهو الدين الذى لم يترك شيئا لسعادة البشرية وخيرها الا وبينه بيانا وافيا ، ليدع الناس حيارى مكتوفى الأيدى ، عاجزين عن حسن التصرف عندما تنقض الأمراض المعدية والأوبئة ، على فئة من الناس ، أو قطر من الأقطار ، ولهذا مانزل الوحى على الرسول الكريم ، الا وقد شمل المبدأ الطبى ، والأساس الذى يجب أن يبنى عليه البشر تصرفاتهم عند وقوع تلك الأوبئة والأمراض ، وان هذا المبدأ وهذا الأساس ليندرج تحت الحكم العام الذى جاء فى قوله جل شأنه .. **« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ... (٢ : ١٩٥)**

وقد نفذ المسلمون هذا الأمر عمليا ازاء طاعون عمواس الذى وقع بالشام فى زمان خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوقوا أنفسهم شر العدوى بذلك الوباء المهلك الفتاك .

روى البخارى بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ ، وهى قرية من طرف الشام مما يلى الحجاز ، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام ، قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لى المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال : ارتفعوا عنى ، ثم قال : ادع لى الأنصار ، فدعوهم ، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عنى ! ، ثم قال : ادع لى من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر فى الناس : انى مصبح على ظهر !.. ، أى مسافر فى الصباح راكبا على ظهر الراحلة راجعا الى المدينة ، فأصبحوا عليه ، أى فأصبحوا راكبين متأهبين للرجوع اليها ، قال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟!.. فقال عمر : لوغيرك قالها ياأبا عبيدة !.. نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كان لك ابل هبطت واديا له عدوتان « أى طرفان » احداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ، قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال : ان عندى فى هذا علما ، سمعت رسول الله يقول : اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، قال : فحمد الله عمر ثم انصرف « البخارى حديث ٥٣٧٠ كتاب ٧٦ باب ٣٠ »

لو علمت أوربا بما جاء فى كتاب الله من الأمر بعدم تعريض المرء نفسه للتهلكة ، ولو

عملت ماعمله المسلمون ازاء ذلك الطاعون ، لأمنت شر انتشاره فى مختلف بلدانها ، ولما استوطنها منذ ذلك العهد الى مبدأ القرن الثامن عشر ، ولما غزاها الطاعون الدملى فى أخطر أشكاله ، وهو ماأطلق عليه اسم « الموت الأسود » .

انتقل الطاعون الى أوروبا من الشرق ، نقله التتار الى جنوب روسيا فحل بها سنة ١٣٤٦ م « **سنة ٧٤٧ هـ** » ، ومنها حمله البحارة غربا الى سيناء فى **اكتوبر سنة ١٣٤٧** ميلادية ، ولما علموا أن الطاعون مرض معد طرد البحارة من تلك البقعة ، فنشروا المرض فى بقاع أخرى ، ولما اشتدت وطأته فى مسينا، تفرق السكان الى بقاع مختلفة ، فنشروا المرض فى صقلية ، **ثم حل بجنوا وبيزا فى أوائل سنة** ١٣٤٨ م وتفشى فى ايطاليا فى صيف هذه السنة ، ثم انتقل الى جنوب فرنسا حيث تغير نوعه من دملى الى رئوى ، وحل بباريس فى أوائل الخريف، ومنها الى انجلترا وايرلندا وألمانيا وماجاورها ، وكانت سرعة انتشاره وعدد الضحايا مزعجا ، ويقال ان عدد الموتى قد بلغ خمسا وعشرين مليونا .

وعندما كان الطاعون يجتاح أوربا سنة ١٣٧٠ و ١٣٧٤ م « ٧٧٢ و ٧٧٦ هـ » نفذت فى ميلانو والبندقية قوانين صارمة قبل حلوله بها ، كانت عاملا فى تلافى أخطاره ، ونقلت جمهورية راجوسا على الشاطىء الشرقى لبحر الأدرياتيك تلك القوانين فى فترة لاحقة وهذبتها ، فأنشأت المآوى بعيدا عن المدينة ليقيم فيها القادمون المشتبه فيهم فى الهواء الطلق والشمس ، معزولين لمدة ثلاثين يوما ، وسميت المدة « ترنتينا » Trentina

وأطيلت هذه المدة فيما بعد الى أربعين يوما وسميت « كارنتينا » Kuarantina **أى أربعون وهو الاسم الذى اشتقت منه كلمة «كورنتينا» التى تعنى الحجر الصحى المستوفى أربعين يوما أو أقل من ذلك ، وقد عد هذا الاجراء الذى اتخذته جمهورية راجوسا من الحسنات القليلة العدد التى تمخضت عنها العصور الوسطى « المظلمة » فى أوروبا ، وجهل كتاب أوروبا وعلماؤهم أن الدين الاسلامى هو الذى وضع القانون الأساسى للحجر الصحى قبل أن تنتبه اليه أوربا بمئات السنين ، وان هذا الاجراء هو من الحسنات الاسلامية التى لاعدد لها والتى لا يستطاع لها حصر .**

ولاشك أن المسلمين قد عرفوا الحجر الصحى بالنسبة للحيوان كذلك ، فان الحديث لايورد ممرض على مصح « البخارى ح ٥٤١٠ ك ٧٦ ت ٣٠ » ينهى صاحب الماشية المريضة عن الاقبال بماشيته الصحيحة حتى لاتصاب هذه الأخيرة بالعدوى فتتفشى الامراض التى قد تؤدى الى القضاء على الثروة الحيوانية وحرمان الانسان من مادة رئيسية من مواد غذائه ومن المنافع العظيمة التى أودعها الله فى الأنعام .

وهكذا أنار الاسلام لمتبعيه خاصة وللناس كافة طريق السداد ، ونبههم الى أخطار الأمراض المعدية وطريق الوقاية منها وبين لهم الأحكام التى تعصمهم من الخطأ وتنجيهم من الهلكة ، والله تعالى يقول .. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم « ٥ : ١٥ و١٦ »

القرآن والعلم الحديث

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

القرآن كتاب الله الكريم ورسالته الى سائر العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد سيد النبيين وامام المرسلين ليكون بشيرا ونذيرا للخلق أجمعين . نزل آخر الكتب السماوية وهو أحفلها بالحقائق من حيث أنه نتيجة تطورها التدريجي الذى كانت به تمهيدا له وهو يدعو الى الوعى والكمال فى الحياة وحسن المثوبة بعد الممات .

وقد جاء القرآن بالحقائق الكونية ، ومرجعا أعظم للعلوم والمعارف الطبيعية فى أسلوب خاص به . جاء بمعجزة انفرد بها ، وهو من جهة البلاغة والبيان نسيج وحده ، ليس بالشعر المقفى ولا بالنثر المرسل ، ولا بالسجع المبتذل ، تعرفه فى صوغ محبب من أسلوبه وبديع خطابه ، وليس له فى ذلك من ضريب أو قريب ، لايسأم قارئه ، وان طالعه آلاف المرات ولا يضل أبدا وارد هداه ولا يشقى من تذوق معناه ، وقد وصفه منزله سبحانه بقوله **« كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »**

وقد نهج القرآن الكريم فى أبحاثه مناهج سوية شاملة ، فنية الحس ، وخاطب العقل وناجى الوجدان وأيقظ الضمائر وحاسب السرائر وأيقظ الحواس للنظر وهذب المشاعر بالفكرة ، وقرر صحيح العقائد وسن أحكم الشرائع ووضع للمعاملات ناموسها المرن السهل السمح ، وخاطب كل نفس على قدر وسعها . ولم يكلف الذوات بما يشق عليها .

لم ينزل الانسان فى خطابه له منزلة الكائن القاصر ، وانما أنزله منزلة المكلف الرشيد ولم يفرض عليه من العقائد الا ما لو خلا الى نفسه ووجدانه لاهتم بها وبحث عنها استجابة لدوافع وجدانه المغروس فى فطرته ، والقرآن يجعل العقل والعلم قوام الدين والدنيا بين معاش وتفكير ومعتقد ، ثم خاطب رسوله بقوله « **وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة** » « **مافرطنا فى الكتاب من شيء** » .

وقد علم الله عز وجل وهو الخالق أن **الانسان خلق دؤوبا على البحث عن أمرين مهمين** هما دعامة حياته وقوام معيشته ، وعليهما يدور محور وجوده ، وهما حاجتان مغروستان فى فطرته منذ نشأته : **أمر معاشه لحفظ حياته ، ثم أمر معتقده** لألفة فكره وحاجة روحه ، ويريد الانسان بذلك أن يعيش أكمل العيش بما يستفيده مما حوله من قوى الطبيعة ثم ينظر فى مآله ومثوى أفكاره بعد انقضاء عيشه .

وعلى هذين الأصلين قام التفكير العصرى من فلسفة وعلم ، وكان من نتاج الأصل الأول كل علم محدث ومن نتاج الأصل الثانى كل فلسفة مجددة .

ولم يدر أهل الحضارة الأوروبية أن القرآن قد سبق القوم فى هذا المجال ودعم تلك الحقيقة منذ ثلاثة عشر قرنا الا أخيرا ، وبعد الجم العديد من كشوف العلم والدرس الدائب لأسرار القرآن وخصائص الاسلام . وقد أسس القرآن المعتقد على الدين الخالص والتوحد الصادق ، وأيد الحقائق العلمية الواردة فى كتابه الكريم بالدلائل العقلية

والمشاهد الحسية والشعور الذاتي والوجداني جميعا • وفى ذلك المعنى يقول القـــرآن ، **« ان فى خلق السموات والأرض واختـــلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحـــر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين الســماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »** •

خاطب الله الناس بذلك فى كتابه بعـــد أن شاهدوا بالحس والعقل معا آيات صنعـــه وابداعه سماواته وأرضه مع بحرها وأرضـها وتلك أمور جد العلم فى تفصيلاتها منـذ عصر النهضة الأوروبية الى الآن • وبعد أن حمـل اليهم العرب علوم الأولين وكشوف الآخـرين وفى الغد من الكشـــوف العلمية الدالة على سعة علم الله ماهو أعظم وأوسع مدى « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، وقد أنكر النـــاس السويون من أهل العلم فى الغرب بعـــد أن تفتحت أبصارهم واستنارت بصـــائرهم تلك الحقيقة وأنكروا على القدامى من قومهـم ذلك الجمود والتعصب الذى كان ، وكرهوا منهم العكوف على القديم لمجرد قدمه وان كان خطأ ، فوقع بين أنصار العلم عندهم وأنصار المعتقد العقيم نزاع هلكت فى ميدانه نفـوس عزيزة على العلم وأهله والعقل وأنصاره بأيدى أنصار القديم ، عملا بنصوص معتقداتهـم وأقوال شراحهم ، وقابلهم العلماء هنـــاك بأسلحة من العلم ماضية وظلوا على ذلك حتى شب العلم الحديث واستأسد وقوى ساعده ، وامتدت فتوحاته وزادت كشوفه ، فأدرك ، أهله حكمة التوحيد والتوحد ، وقيمة القرآن ، وأسباب عقيدة الاسلام بعد البحث والفحص والمقارنة والتطبيق ، عرفوا ذلك سوى شرزمة يسيرة من المســـتشرقين والمبشرين الذين يخشون صولة الاسلام وتأثير وحقائق القرآن على مراكزهم ومايدعون اليه من حق أو باطل يعلمه الله ويعلمه العقلاء من الناس ••ويقول الله تعالى فى مقال أولئك **« أفرأيت من اتخـذ الهه هواه وأضله الله على علم »** بينما يقـول لأهل الراجحة والبصائر المستنيرة التى لاتنقاد الا لمنطق الحق وهدى الصواب « **سنريهـــم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » •

وقد تعلم المسلمون من القرآن مايبعثهم على التكامل فى العلم والعمل وحــذرهم من الوقوف أمام الكون على مجرد الظواهر والمظاهر بقوله عز وجل « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » فانبعثوا متسامين الى طلب المجهولات من أسرار الكائنات وبذوا الناس فى ذلك حتى علمـــوا غيرهم من أهل الغرب حينما جاوروهـم فى الأندلس ، وذلك ماسيأتى بيانه انشاء الله

والمدنية التى نالها المسلمون الأولون عـلى هذا المعنى كانت أفضل وأرقى بما لايقدر من مدنية أهل أوروبا الآن ، تلك المدنية المـادية التى قادتهم الى اهمـــال حق الروح والخلق تفانيا فى حق « البطن والفرج » وغير ذلك من توافه الحياة وصغائرها ، وذلك بأن المـدنية الاسلامية كانت تأخذ من أسباب رقى الجسم والروح معا • وقد صبغهم القرآن بأوامـره ونواهيه بصبغة ترتفع بالجسد والروح ، لا على مصاف الملائكة ، ولكن الى مرامى الحيـــاة الانسانية المتسامية ، وهذا ماشهد به العدول من أغيارهم ثم اندفعوا مع سنة التقدم والترقى حتى بلغوا من التآخى الانسانى تبعا لأوامـــر القرآن الى حيث مايسميه أهل عصرنا الحاضر بالاشتراكية والديمقراطية •

وكان اليونان والرومان والأعاجم قد شرعوا شرائع قامت عليها أمورهم قرونا عدة ، ثـــم ظلموا وبغوا وتجبروا فى الأرض بغير الحق فأزال الله بسبب الأنانية والظلم دويلتهـم وقوض أركان حضارتهم • فاذا قيل لنا مابال المسلمين فى حاضرهم وما هم عليه من تفرقة وتشتيت ، قلنا قد تناسوا مجد آبائهم الأولين بتقليد المستعمرين والمضللين من الأوربيين • وقد نبه الله على ذلك بقوله « **فخلف من بعـدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشـــهوات فسوف يلقون غيا** » وقـــد بشرهم الله حين يقظتهم بآية تأتى فى صلب هذا المقال أولهـــا « وعد الله الذين آمنوا منكم الخ •• »

هذا ويقرر العلماء المحدثون أن العلم رأس مال الحياة فلايجب أن يهمل الناشىء الصغير والرجل الكبير والمرأة والفتاة فى طلب العلم الذى يرتقى به الادراك وتتحسن به وسائل المعيشة ويقول الله سبحانه فى كتابه العزيز **« وقل رب زدنى علما »**

ويقول العلم فى أسمى مناهجه : ان الحق لايتعدد ولا يتعلق بزمان دون زمان ويقول الله تعالى : **« وماذا بعد الحق الا الضلال »** ويقول العلم الحديث ان الانسان خلق قادرا على استخدام الطبيعة فى سائر صوالحه العامة والخاصة فيجب عليه أن يتزود من خصائص الكائنات حوله بمايصلح من شأنه ويعلى مكانتها ويقول الله تعالى « **وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه** »

ويقرر العلماء المحدثون أن العلم قوة لاتعادلها قوة أخرى فى النفوس وسلاحا أمضى من كل سلاح فمن عمل بالتجربة والاختبار فاز وارتقى، بينما ينحط من لم يعلم ومن لايعمل يفشل. ويقول الله تعالى **« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون »** « **وان ليس للانسان الا ما سعى** »

ويقرر أهل العلم أن كتاب الطبيعة هو الكتاب الذى يستقى منه الانسان سائر الحقائق الكونية وفيه من آثار صنع الله المبدع مايصلح أن يهديه الى سائر القوانين والنظم الوجودية بشرط الخبرة والمشاهدة والتجربة الكاملة .. ويقول الله عز وجل « **قل انظروا ماذا فى السموات والأرض** » « **سنريهم آياتنا** » .

ويقرر العلماء أن محصول الفكر النظرى يجب أن يعرض على النقد الدقيق فما وافق الواقع منه فهو من الحقائق وما خالف الواقع اعتبر من عالم الفرد المجرد أو الظن والوهم

ويقول الله تعالى « **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** » ـ « **ولا تقف ماليس لك به علم** » ـ « **أن يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئا** » .

واجمالا لوفقه المسلمون وغير المسلمين حقيقة مايرمى اليه القرآن من معتقد صحيح وفلسفة « ناضجة » وعلم مستنير لما بقى على وجه الأرض من يدين بغير دين القرآن ، ذلك الدين الذى يرى الاشياء على ضوء حقائقها ، ويرجع المعلولات الى عللها ، ويوحد علائق الكائنات ببعضها ، وينظر الى سائر أفراد الانسانية كما ينظر الى نفس واحدة ، ويبعث بأوامره وأحكامه على فقه ناموس التطور والرقى .

وقد وعدنا الله عز وجل معاشر أهل الاسلام واتباع هدى القرآن وسنة خير الأنام قائلا « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا** » .

وها نحن فى انتظار ذلك الوعد الحق ، وقد بدرت بوادره وظهرت بشائره وجاء العلم الحديث فاستل من الصدور سخائم الحقد القديم والتعصب الذميم وأغرى الانسان بتلمس الحقيقة خالصة ولو من فم أعدائه .. والاسلام دين المعتقد الحق والعلم الأصيل والمعرفة البالغة كما سنبين بعد .

يأتى كتابه بالحق تلميحا آنا وتصريحا حينا ، **وهو الدين الذى يتآخى به مجاميع سكان هذا العالم وتزول به أحقادهم وعصبياتهم** .

الدين يقول لأهله : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » ـ اعدلوا هو أقرب للتقوى » ولا فرق فى هذا لدى القرآن وأهله بين مسلم وكافر وذمى أو كتابى أو عربى وأعجمى ولا بين أبيض وأسود ، ذلك الدين الذى يخاطب كتابه الناس جميعا قائلا « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . لهو جدير بالخلود واجماع القلوب عليه ، حتى يعم أهل الأرض جميعا ويبقى الى أن تقوم الساعة . وانا الى فتح من الله بذلك لمنتظرون ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

العقل يهدى إلى الله ..

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

العقل البشرى ليس خصما للايمان ، انه يقف دائما مع العقيدة ، ينافح عنها ، ويدعو اليها ، وليس بصحيح أن العقل هو الذى أرشد الى الوثنيات فى العصور القديمة فان الذى أرشد اليها هو الجهل والتأخر الفكرى وضعف الارادة الانسانية أمام الأهواء والتقاليد والعصبيات المذهبية ، وطغيان الحكام ، والمستبدين .

ولم يرشد العقل الحضارى فى العصور الحديثة الى المادية الجدلية ، انما أرشد اليها تعصب دعاتها ضد الاديان .

ويغالى دعاة الالحاد والمروجون لخرافة العداء بين العقل والدين ، فيقولون : ان العقل قد ارتقى فى عصر العلم ، وسحقت الآلة كل شىء ، حتى أصبحت الحياة وليس فيها الا جبروت هذه الآلة التى يقودها عقل الانسان ، وينادون بأن العقل يجب ألا يخرج عن نطاق العلم التجريبى ، وألا يخضع لما يسمونه أوهاما وغيبيات ، بل يعمل مؤمنا بنفسه وبالحياة وحدهما ..

وليس لما يقولونه سند من العلم ، اذلايحمل قولهم غير طابع التعصب وشعارهالمموه الزائف ولو استمع هؤلاء لصوت عقولهم وضمائرهم ، وأنصتوا الى نداء السماء والكون ، ووقفوا مليا أمام عظمة الوجود وجلال ابداعه ، لعلموا أن الحق واضح كل الوضوح ، وأن العقل لم يتخل أبدا عن مساندته للايمان ، وأن الفكر الانسانى يرشد دائما الى الله ، والى الدين ، والى الحقيقة الناصعة ، العقل المحايد ، المنصف النزيه من وصمة الأغراض والعصبيات والمطامع والشهوات .

العقل دائما يقف مؤمنا بالله وبالرسل وبالدين وبوجود الملائكة وبالآخرة وبالبعث والنشور والحساب ، لأن العقل يأبى أن يرى قدرة الله وآثارها الظاهرة فى السماء والأرض وفى خلق الانسان ، ثم يكفر بوجود الله .. ولأن العقل لايستطيع أن يفهم أن الحياة خلقت عبثا ، ولا أن الناس خلقوا سدى ، ولا أنالبشر يعيشون لأولاهم فحسب .. ولأن العقل يأبى أن يصدق مزاعم الجاحدين والكافرين والمشركين ، من أن الدين خرافة ، وأن الحياة الدنيا ليس وراءها غاية

والعقل دائما يقف فى صف الايمان ، ويشير أبدا الى وجود الله وقدرته ، انه يقول ماقال القرآن الكريم : « **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية ، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ، ثم أنتم تشركون** »

والعقل يقف متعجبا من خلق الانسان ، وما ركب فى جسمه من أذنين ، وعينين ، وساقين ويدين ، ومن أعضاء داخلية دقيقة ، تفوق فى دقتها أعظم المعامل المصنوعة ، وما أودع فى جوفه من قلب ، وفى رأسه من عقل ، ولا يجد مناصا من أن يعترف بان خالق ذلك كله هو الله الذى أتقن كل شىء صنعا ، وأحسن كل شىء خلقا .

والعقل قد أعزه القرآن وكرمه ، وجعله الفاصل فى كل شىء ، والحكم فى كل قضية ، والمصرف لكل أمر يتعلق بالانسان، ان القرآن قد جعله طريقا من طرق المعرفة ومنبعا من منابع الادراك .. يقول الله تعالى : « **ومن**

الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ، «واذاقيل لهم : اتبعواماأنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير »

ففى هذه الآيات الكريمة تحديد واضح لمناهج المعرفة ومذاهب التفكير والنهم عند البشر .

وقد عنى القرآن الكريم فى هذه الآيات وفى سواها مما لم نذكره أن يوضح للبشر منابع الحقيقة ، حتى لايضلوا فى الحياة ، أو يتشعب بهم الظن فى مجال البحث واليقين ، وحتى يبنوا عقائدهم وآراءهم على أساس سليم مستقيم ، فالآية عامة فى كل من أمعن فى الجدل دون علم أو برهان لانه يهمل عقله اهمالا ويفسد فطرة الله فى نفسه افسادا وقد بالغ الاسلام فى احترام العقل ، حتى حارب التقليد فى أصول العقائد .

ولذلك ذهب الأئمة الى أن التقليد فى أصول العقائد ضلال غير جائز ، وحتى قال الرازى : **« وأكثر العلماء على أن التقليد لايكفى فى أصول العقائد »**

وتندد آيات القرآن بمن يتخذون الجدل بغير علم وسيلة للضلال والاضلال عن سبيل الله .

ويفسر المفسرون العالم بالعلم الضرورى ، والهدى بالاستدلال والنظر الذى يهدى الى المعرفة ، والكتاب المنير بالوحى ، وان كنا نحن لانرى مانعا من **أن المراد بالعلم الحقائق التى تستقر فى النفس ، ويرشد اليها التفكير والبحث والدليل والتجربة ، والهدى المراد به هو الالهام النفسى ، الذى تمده فطرة الله فى النفس الانسانية التى فطرها الله على التدين والايمان .**

والكتاب المنير هو المنزل من السماء على رسول من الرسل ، يدعو الى مبادئه ، ويبشر بشريعته ، وتكون أقواله وأفعاله تفسيرا لما تضمنه من أحكام وآداب وشرائع وشعائر وعقائد ومثل

وانا لنجد القرآن الكريم يبنى صروح الحياة الانسانية المثلى ويقيم المدنية والحضارة على أساس عظيم من الفطرة والعقل وهداية السماء

وتقرر **أصول المعرفة الثلاثة** : العلم الفطرى المركوز فى طبائع الناس كافة الذى يرشد الى التوحيد والخير والفضائل والى الايمان ، **والعلم النظرى** المستفاد من الحجة والاستدلال والبرهان والبحث والتجربة ، **والعلم الالهى** المستفاد من الوحى والكتب السماوية المنزلة على الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

فأنت اذا خلوت الى وجدانك وجدت الله . واذا رجعت الى عقلك هداك الى الله ، واذا قرأت القرآن عرفت الله . ان الله عز وجل ، مضىء فى كل قلب ، مشرق فى كل جارحة ، انه فى السماء والأرض وفى أنفسنا ، وكذب دعاة المذهب الواقعى والعملى والمثالى والتجريبى والنقدى ..

اننا لو رجعنا الى ديكارت ممثل المذهب العقلى نراه يقيم الادلة على وجود الله من أن فى الذات فكرة واضحة متميزة لكائن لانهائى كامل ، ووجود هذه الفكرة فى العقل دليل على وجود مدلول لها فى الخارج هو الله ، واثبات وجود الله كما يرى « ديكارت » وسيلة لازالة الشك ولبلوغ اليقين فى المعرفة ، فالله الذى أثبتنا وجوده لايضللنا ولا يخدعنا ، وينتهى أخيرا الى أن العقل وحده هو مصدر المعرفة اليقينية ، وأن الحواس التى وهبها الله لنا لابد أنها صادقة غير خادعة ، والعالم الخارجى الذى خلقه الله لابد أنه حقيقة وليس وهما .

وقد سبقه القرآن الكريم بأجيال مديدة الى النظرية الضخمة الممتدة فى المعرفة .

ان القرآن يحلل المعرفة الى مصادرها ومنابعها العديدة أما ديكارت فيتخذ من العقل وحده مصدر المعرفة اليقينية .

آمنت بالله ، وان ضل الضالون ، وجحده الجاحدون ، لأنه الذى يهدينى فى الظلمات ، وأشعر بأنه معى فى الشدائد والمحن والنوائب ، وأراه بعين البصر والبصيرة فى كل شىء ، وتحيط قدرته بالسموات والأرض وهذا الوجود

الجبرية في الإسلام

تلخيص
الأستاذ
محمد فاوى عمر

القضاء والقدر أو مايقع للناس من أحداث سبق تقديره فى علم الغيب موضوع حضرت فيه كثيراً من ندوات الجدل والمناقشة وقرأت عنه غير قليل مما كتب فيه وفى رأى الاسلام وحكم القرآن عنه . ولكن أكثر ما استهوى نفسى فى كل هذا ما كتبه المرحوم محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » . فقد نهج فى بحثه نهجا علميا فلسفيا منطقيا فى حدود أحكام القرآن .. ولقد وجدت فى هذا المبحث خلاصة لأهم ما يتحامل به المغرضون على الدين الاسلامى فى هذا الشأن ، كما وجدت فيه ايضاحا قويا لنظرة الاسلام السامية حول هذا الموضوع . وقد رأيت أن أقدم ملخصا لما قرأت راجيا أن يكون وافيا بالفكرة التى أوردها المبحث .

استهل الكاتب بحثه بما أورده الكاتب الأمريكى واشنجتون ايرفنج فى كتابه عن سيرة النبى العربى والذى وضع له خاتمة عرض فيهاالقواعد الاسلام وفى مقدمتها الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وقال « والقاعدة السادسة والأخيرة من قواعد العقيدة الاسلامية هى الجبرية . وقد أقام محمد جل اعتماده على هذه القاعدة لنجاح شئونه الحربية . فقد قرر أن كل حادث يقع فى الحياة قد سبق فى علم الله تقديره فكتب فى لوح الخلد قبل أن يبدأ الله العالم . وأن مصير كل انسان وساعة أجله قد عينت تعيينا لا مرد له .

فلا يمكن أن تتقدم أو تتأخر بأى مجهودمن مجهودات الحكمة الانسانية أو بعد النظر . بهذا الاقتناع كان المسلمون يخوضون غمار المعارك دون أن ينال منهم الخوف .

« وقد ألهم محمد مذهب الجبرية من وحى الساعة فكان ذلك الهاما معجزا لحدوثه فى أنسب الأوقات .

فقد حدث توا بعد غزوة أحد المنكودة التى ذهبت بأرواح عدد غير قليل من أنصاره ومن بينهم عمه حمزة . عندئذ وفى ساعة وجوم وهلع تحطمت أثناءها قلوب أصحابه المحيطين به أصدر هذا القانون ينبئهم أن لا مفر للانسان

من أن يتوفى فى ساعة أجله فى فراشه كان أو فى ساحة الوغى ٠

« أية عقيدة يمكن أن يصورها صاحبها أدق من هذا التصوير ليدفع بها للغزو طائفة من الجنود الجهلاء الأغرار دفعا وحشيا ٠ اذ يقنعهم بالفىء لمن يبقى والجنة لمن يموت ٠

ولقد جعلت هذه العقيدة جند المسلمين لايكاد يغلبه غالب ٠ لكنها احتوت كذلك السم الذى يقضى على سلطانه ٠ فمنذ اللحظة التى كف فيها خلفاء النبى عن أن يكونوا غزاة فاتحين بدأت العقيدة الجبرية تعمل عملها الهدام ٠ فقد أرهف السلم أعصاب المسلمين كما أرهفها المتاع المادى الذى أباحه القرآن والذى يفصل فصلا حاسما بين مبادئه ودين المسيح دين الطهر والايثار ٠ فصار المسلم ينظر الى مايصيبه من بأساء على أنها بعض ما قدر الله عليه وما لا مفر منه ٠ ومايجب الاذعان له واحتماله مادام كل جهد وكل حكمة انسانية عبثا لا نفع له ٠ ولم تكن قاعدة « أعن نفسك يعنك الله » مما يرى أتباع محمد تنفيذه ٠ بل كان عكسها نصيبهم ٠ ومن ثم محق الصليب الهلال ٠ وبقاء الهلال الى اليوم فى أوربا حيث كان يوما ما بالغا غاية القوة انما يرجع الى اختيار الدول المسيحية الكبرى أو بالأحرى الى تنافسها ٠ ولعل الهلال باق ليكون دليلا جديدا على أن « من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ » ٠

هذا هو المذهب الخاطىء الذى ذهب اليه الكاتب فى تأويل مسألة القضاء والقدر وكتاب الأجل ٠

فأما القرآن فلا تقاس الى جانب ما ورد فيه عبارة « أعن نفسك يعنك الله » من حيث القوة فى التعديل على الذات وأن الناس مجزيون بأعمالهم وبالنية التى تصدر هذه الأعمال عنها ٠ ومنها قوله تعالى « ان الله لا يغير مايقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » وقوله « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا » ٠ ومثل هذا فى القرآن كثير ٠ وهو صريح فى الدلالة على أن ارادة الانسان وعمله هما مصدر مثوبته وعقابه

وحض الله الناس على السعى فى مناكب الأرض وأن يأكلوا من رزقة ٠ وأمرهم بالجهاد وليس الاسلام ـ كما يقول واشنجتون وغيره من المغرضين ـ دين تواكل وقعود ٠

أما اذا كان المغرضون من كتاب الغرب يستندون فى نظريتهم على بعض الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى « **وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا وقوله «ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ٠ وقوله « قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » ٠

والواقع أن هذه الآيات وما جرى مجراها تصور حقيقة علمية قررتها كثرة فلاسفة الغرب وعلمائه وأطلقوا عليها مذهب الجبرية كذلك ٠ ونسبوا الجبر فيها الى سنة الكون ومجموع الحياة فيه بدل أن ينسبوها الى الله وعلمه وقدرته ٠ ومذهبهم هذا أقل سعة وتسامحا وانطباقا على خير الجماعة الانسانية من المذهب الفلسفى الذى يستخلص من القرآن الكريم ٠

وهذه الجبرية العلمية تذهب الى أن مالنا من اختيار فى الحياة انما هو اختيار نسبى ضئيل القدر ٠٠ وأن القول بهذا الاختيار النسبى يرجع الى ضرورات الحياة الاجتماعية من ناحية عملية اكثر مما يرجع الى حقيقة علمية أو فلسفية ٠

واذا أردنا أن نخلص الى الحقيقة العلمية والفلسفية ألفينا الجبرية هذه الحقيقة٠ فليس لأحد اختيار العصر الذى يولد فيه ٠ ولا للبيئة التى ينشأ فيها ولا لأبويه وحالهما الاجتماعى ولا لأنه ذكر أو انثى ٠ وان كان لما يحيط به ـ عادة ـ الأثر الأكبر فى توجيه أعماله وحياته ٠ وهو ماعبر عنه الفيلسوف الفرنسى هيبوليت تين بقوله « المرء ثمرة بيئته » ٠

مع ذلك لم يقل أحد بأن هذا المذهب الجبرى يحول بين المرء والسعى للنجاح فى الحياة أو يحول بين الأمم والوثوب الى خير مكان ٠ ولم يقل أحد بأن هذا المذهب يؤدى الى تدهور الأمم التى تأخذبه ٠ هذا مع أن هذا

المذهب الجبرى فى الغرب تؤيده فى السعى والعمل آيات كالتى جاء بها القرآن عن تبعة الانسان عن عمله « **وأن ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى** » . بل ان الجبرية فى الاسلام لأكثر حضا على السعى الى الخير والفضل الى ابتغاء الرزق من الجبرية الغربية . فالجبرية الغربية تخضع المرء لبيئته ووراثته خضوع اذعان لامحيص عنه ولا مفر منه . وتجعل ارادة الانسان بعض مايخضع لبيئته فلا سبيل له لذلك أن يغير نفسه . أما القرآن فيدعو ارادة كل فرد لتتوجه بحكم العقل الى ناحية الخير ويذكرلهم انه اذا كان قد قدر لهم الخير فبما كسبت أيديهم وأنهم لاينالون هذا الخير اعتباطا من غير سعى .

والتواكل ليس من التوكل على الله فى شىء . فالتوكل على الله لايكون بقعود المرء والتخلف عن أمر ربه . بل بالعمل الجدى لما أمر به . وفى ذلك قوله تعالى « فاذا عزمت فتوكل على الله » . فالعزم والارادة يجب اذا أن يسبقا التوكل .

أما علم الله بكل مايقع فى الوجود قبل أن يبرأ الله الوجود وأنه جل شأنه « لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » فيرجع الى أن الله قد برأ للكون سننا لا تحويل لها ويجب أن تنشأ عنها آثارها . فاذا كان علماء الفلك والاقتصاد والهندسة وغيرهم يستطيعون أن يحددوا مستقبل مايقومون به من أعمال وأبحاث فلا شك أن علم الله فى هذا الشأن أكبر وأفضل وأقدر . كما وأن الله قدر على نفسه الرحمة وقبول توبة التائب من عباده وأنه يعفو عن كثير . فليس لانسان أن يقنط من رحمة الله اذا هداه نظره آخر الأمر سبيل الله . وانما الويل لمن ينكر انسانيته ويستكبر عن النظر والتفكير ابتغاء الهوى . أولئك يعاندون الله ولا يبتغون وجهه . وأولئك ختم الله على قلوبهم فلهم جهنم ولهم سوء الدار .

ما أعظم هذه القوة التى تبعثها هذه التعاليم السامية الى النفس . فالانسان موفق الى الخير مابتغى بعمله وجه الله . ومقبولة توبته ماغالب عقله هواه فغلبه وعاد به الى الصراط المستقيم .

ولكن لماذا يفكر الناس ولماذا يعملون والموت لهم بالمرصاد فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ؟

الموت خاتمة حياة وبدء حياة لا يجزع منه الا الذين ينكرون الحياة الآخرة ويخشونها لسوء صنيعهم فى الحياة . أولئك لا يتمنون الموت بما كسبت أيديهم وانما يتمنى الموت صدقا المؤمنون حقا والذين عملوا فى الدنيا صالحا « **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . والله لايهدى القوم الظالمين . قل يأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** » .

ومن الخطأ الذى وقع فيه ايرفنج حين زعم أن القضاء والقدر وكتاب الأجل انما نزل مانزل من القرآن فيه بعد غزوة أحد ومقتل حمزة سيد الشهداء فيها . فى حين أن هذه النظرية قد نزلت فى شأنها آيات مكية كثيرة .

والفكرة الفلسفية فى الجبرية الاسلامية فكرة توفيقية لا تضيق بالجبرية العلمية ، ولا بالعالم كارادة وتمثل ، ولا بالتطور المنشىء . بل هى تسلك هذه المذاهب جميعا فى نظامها على أنها بعض سنن الكون والحياة . وان سمو هذه الفكرة وانفساح مداها وعمقها قد بلغ الغاية من كل ما نعرف من نظريات حتى اليوم ، كما وأنها تفسح الطريق الى ماقد يسمو اليه الفكر الانسانى فيما بعد .

وقد صور الامام محمد عبده حال المسلمين فى بعض العصور المظلمة الى ذيوع مبادىء متناقضة نشرها أصحابها على أنها من الاسلام وأنها بعض ماأمر به الله والرسول . من هذه المبادىء مذهب الجبرية ، الذى صوره المتأخرون تصويرا يخالف ما جاء بالقرآن . فدعوا الى القعود والاستسلام وقالوا ان العيش ليس بالسعى والتدبر وانما هو بالرزق

وبالتقدير دون أن يكون لعمل الانسان فيه فضل ٠ وكان مقصودا بهذا تجميد تعاليم الاسلام وأفكار المسلمين خدمة لطائفة من الحكام المخادعين ٠ وهذه جبرية مخطئة أتاحت لبعض أهل الغرب أن يتهم الاسلام بها باطلا من غير حق . ومن هذه المبادىء مذهب ازدراء المادة وعدم الأخذ منها بأى نصيب . مع مخالفته لقوله تعالى « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ٠

ويزعم الكاتب الأمريكى أن المسيحية تدعو الى الطهر والايثار على نقيض مايتقوله هو على الاسلام ٠ ولكن الموازنة الحقة بين المسيحية والاسلام تجعلهما فى هذه المسألة متفقان غير مختلفين ٠ فالمسيح كانت أولى معجزاته أن أحال الماء خمرا فى عرس « قانا الجليل » حيث كان مدعوا وحيث أراد أن لا يحرم الناس الخمر بعد نفادها ٠ وهو لم يكن يأبى دعوة الفريسيين الى مآدبهم ولا كان يأبى على الناس أن يستمتعوا بأنعم الله٠ وسيرة محمد كانت أشد امعانا فى قصد السبيل ٠ صحيح أن عيسى كان يدعو الأغنياء الى البر بالفقراء ومحبتهم من غير من ٠ والقرآن فى هذا وفى الدعوة اليه أبلغ ماعرف البشر وخاصة فى أحكام الزكاة والصدقة ٠

بقيت العبارة الأخيرة من كلام ايرفنج وهى التى ختمها بقوله « **من أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ** » ٠ وهى كلمة من الانجيل ولئن صدقت هذه الكلمة على قوم لهى أشد ماتكون صدقا على أوروبا المسيحية اليوم ٠ أما الاسلام فلم يأخذ بالسيف ولن يؤخذ لذلك بالسيف ٠

وأوروبا المسيحية قد أخذت بالسيف فى العصر امعانا منها فى الاباحية والترف مما ينسبه ايرفنج باطلا للاسلام والمسلمين ٠ أوروبا المسيحية تقوم فى القرن العشرين بالدور الذى قام به المغول والتتار حين اتشحوا ظاهرا برداء الاسلام ثم فتحوا الممالك دون أن يعبئوا بتعاليم الاسلام فيها ٠ فحقت عليهم وعلى المسلمين الكلمة ٠ وأوروبا المسيحية أقل فضلا من أولئك التتاروالمغول ٠ فالممالك التى فتحها هؤلاء سرعان ما دخلت فى الاسلام حين رات عظمته وبساطته .. أما أوروبا فلا تغزو لتنشر عقيدة ولا لتدعو لحضارة ٠ انما هى تريد استعمارا وتريد أن تجعل من العقيدة المسيحية مطية هذا الاستعمار . لذلكلم تنجحالدعاية التبشيرية الأوروبية لأنها دعاية غير مخلصة . وهى لم تنجح فى الأمم الاسلامية خاصة لأن عظمة الاسلام وبساطته وأخذه بحكم العقل والعلم لا تجعل لأية دعاية دينية أملا فى النجاح بين أبنائه ٠

والمسلمون الأولون لم يغزوا للفتح والاستعمار٠ انما غزوا دفاعا عن عقيدة حينما هددتها قريش والعرب والفرس والرومان ٠ وفى هذا الغزو لم يفرضوا على أحد دينهم فلا اكراه فى الدين ٠ كما لم يغزوا ليستعمروا ٠٠ بل استولى الاسلام على العقول والقلوب والضمائر بقوة سلطانه ٠ ووضع الأمور فى البلاد التى فتحها فى يد المسلمين محافظة على حرية الدعوة للعقيدة ٠

والخلاصة أن الاسلام دين سعى وكفاح وجهاد فى نواحى الحياة الروحية والعلمية والدينية والدنيوية جميعا ٠ وأن الله قد كتب فى سنة الكون أن الانسان انما يجزى بعمله ٠ وأنه جل شأنه لا يظلم أحدا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ٠

كيف نجت بعض البلاد من الاستعمار

الأستاذ محمد عبد الهادي

تحت عنوان (هل زال خطر الاستعمار) نشرت مقالا فى عدد المحرم ، ذكرت فيه أن الصليبية كانت الدافع الأول للاستعمار . ودللت على ذلك ، بأن البلاد التى استعمرت ، كلها بلاد اسلامية ، بسكانها أو بحكوماتها أو بغلبة نفوذ المسلمين فيها . وبينت أن أوروبا لم تستعمر فى الشرق بلاد غير المسلمين سواء كانت كبيرة أو صغيرة ، وضربت لذلك مثلا بالصين فى آسيا وبالحبشة فى أفريقيا .

وقد اتصل بى فريق القراء ، وطالبونى بالتوسع فى شرح ما أجملته ، لأنى فى نظرهم أوجزت أكثر من اللازم .

وطالبنى فريق آخر بتناول الحركة الاستعمارية كلها بالعرض والتحليل . وليس فى مقدورى أن أشبع نهم هؤلاء . فالحركة الاستعمارية ذات وجوه متعددة ، وصور شتى ، وأساليب متباينة ، وسياسات عميقة الغور بعيدة المدى ، وضعها عباقرة الغرب ، وتعاونت فى تنفيذها جميع الدول الصليبية، وخدمها ـ بقصد وبغير قصد ـ اكثر حكام الشرق التافهين ، واعان على تثبيتها كل انتهازى لا خلاق له ، وكل مغامر لادين له ، وكل عاجز مفتون بمظاهر الغالبين .

فكيف يمكن ان أحيط بكل ذلك ، وان أتناوله بالعرض والتحليل ؟

وفريق ثالث ، انهال على الأسئلة والاستفسارات . وقد اخترت من بين أسئلتهم ثلاثة جعلتها موضوع هذا المقال .

أما السؤال الاول فهو : كيف تقول ان الحبشة لم تستعمر ، وايطاليا قد استعمرتها ؟ ويبدو ان السائلين تناسوا انى وقفت بالبحث عند نهاية الحرب العالمية الاولى ، اذ انهيته بكلمة اللورد اللنبى التى ألقاها على قبر صلاح الدين وهى « الآن انتهت الحروب الصليبية » فى حين أن ايطاليا لم تغز الحبشة الا بعد ذلك بسنوات طوال ، أو بالتحديد فى سنة ١٩٣٧ .

على انى لااظن أن غزو ايطاليا للحبشة كان وراءه استعمار بمعنى هذه الكلمة المألوف، اى تحطيم لكيان الحبشة ، ونسف لمقوماتها ، واستغلال ونهب لثرواتها ، واذلال واستعباد

لأبنائها ، كشأن الاستعمار دائما فيما احتله من بلاد المسلمين .

بل ان هذا الغزو لايعدوا أن يكون اجراء وقائيا اتخذته ايطاليا لتوقع قيام حرب عالمية أو حملة تهديدية لفرض سلطان الكاثوليكية على كنيسة (أديس ابابا) الارثوذكسية ، أو مناورة سياسية قام بها موسولينى حليف هتلر ، واحتملتها انجلترا – زعيمة الاستعمار – على مضض ، لتؤخر قيام حرب عالمية ، أو لتسلخ موسولينى عن أصدقائه الألمان .

على أن استعمار الحبشة لم يطل أمده ، فسرعان ماقامت الحرب العالمية الثانية ، واستقلت الحبشة ، وحرصت انجلترا على ارجاع هيلاسيلاسى الى بلده ابان الحرب ، بل احتفلت باعادته الى عرشه فى وقت كانت تدور فيه أعنف المعارك فى ميادين اوروبا وأسيا وشمال أفريقيا ، وكأن تلك المعارك الطاحنة ماكانت لتشغل انجلترا عن اعادة هيلاسيلاسى والاحتفال باجلاسه ثانية على عرشه المغصوب .

وأما السؤال الثانى فهو : ضربت مثلا للبلاد التى لم تستعمر بالحبشة والصين . والعلاقة الروحية بين أوروبا والحبشة معروفة ، فأوروبا مسيحية والحبشة مسيحية فهل هناك علاقة روحية بين أوروبا وبين الصين ؟

قبل كل شىء يجب أن يعرف أن الحبشة، مسيحية بحكومتها لابسكانها ، فأكثرية السكان فيها من المسلمين ، لكن الدولة تأخذ دائما مظهر الفئة المسيطرة .

أما عن الصين ، فان الحقد الصليبى هو الذى دفع اوروبا لاستعمار الشرق الاسلامى، فحقد الصليبين على الاسلام ورغبتهم فى القضاء عليه كعقيدة ، وبغضهم للمسلمين وحرصهم على تحطيم كيانهم كأمة ، هذهالمعانى الحافزة على التعدى لا وجود لها فى نفوس الأوروبيين بالنسبة للصين . فالاصل فى انصراف أوروبا عن غزو الصين هو انعدام عامل البغض والحقد بالنسبة للصينيين .

على أن هناك فعلا علاقة روحية بين أوروبا وبين الصين فالمبشرون اليسوعيون الذين كانوا يعيشون فى الصين فى القرن السادس عشر أوصوا البابا فى روما بأن يدرج اسم (كنفشيوس) فى قائمة قديسى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وكنفشيوس هو الأب الروحى للصينيين. وسواء كان المبشرون يرون تكريم معلم الصين الأول أو يريدون التودد الى أتباعه ، فان طلبهم هذا لايصدر الا عن تعاطف روحى له وجود .

كذلك فان البوذية التى يدين بها سواد أهل الصين تقوم على فكرة التثليث ،والمسيحية تقوم على فكرة التثليث ، وهذه المشاركة فى أصول العقيدة فى الديانتين لها لاشك أثرعميق فى نفوس ابناء كنفشيوس من اتباع بوذا ، وابناء اوروبا من اتباع المسيح .

أما السؤال الثالث فهو : قلت ان أوروبا استعمرت جل بلاد المسلمين . فما هى البلاد الاسلامية التى لم تستعمر ؟ وما أسباب نجاتها من الاستعمار ؟

وهذا سؤال وجيه ، يحتاج الجواب عليه الى شىء من التفصيل . ان البلاد الاسلامية التى لم تستعمر هى ، الحجاز ، واليمن ، والافغان ، وايران ، وتركيا .

أما الحجاز : فأرض الحرمين الشريفين ،ولو ديست هذه الأرض المقدسة ، لهاج كل مسلم فى العالم أشد الهياج ، ولثارت كل بقعة اسلامية أشد الثورة ، والمستعمرون أذكى وأحصف من ان يتيحوا للمسلمين فرصة التجمع على معنى يلم شتاتهم ويوحد صفوفهم ، ويدفعهم الى ثورة عارمة عاتية لاتبقى على صليبى فى الشرق كله على الاطلاق

ولعل هذا هو السر فى عدم احتلال الحجاز .

وأما اليمن : فله موقع استراتيجى يغرى به ، وفيه ثروات مخبوءة تطمع فيه ، فكيف اذن تركه المستعمرون ؟

الحقيقة أنهم لم يتركوه . لقد سيطرت انجلترا علىأطرافه – باستيلائهاعلى عدن وغيرها من المحميات – الى جانب سيطرتها على بقية الجنوب العربى وأمارات الخليج . فأصبح اليمن السعيد كمخزن تملك انجلترا حوائطه وأبوابه وتستطيع الدخول اليه وقتما تريد .

فاذا أضفنا الى ذلك أن اليمن يحكم بطريقة ترضى عواطف المستعمرين وتشفى صدورهم وتحقق اكثر مما يبتغون ، أدركنا لماذا ترك هذا البلد دون احتلال كل هذا الزمن الطويل

ان أبناء حميد الدين يحكمون اليمن بأعجب طريقة واغرب اسلوب ، طريقة الرهائن التى تدمر النفوس ، والقات الذى يحطم الجسوم ، والجهل الذى يفسد العقول والفقر الذى يهدر كل معنى انسانى كريم . وهل فوق ذلك كله تدمير وتحطيم واذلال ؟

ان لنا أن نقول : ان بلاد اليمن بالنسبة لانجلترا ، كانت كشريحة لحم على مائدةرجل نهم أكول، حشا معدته بكل دسم لذيذ حتى بشم واتخمه الشبع ، فوضع هذه الشريحة فى ثلاجته ليلتهمها حين تهضم معدته بعض ماأكل ، ويضبح فيها متسع لحشو جديد .

فبلاد اليمن لم تحتل ، لكنها كانت تحت طلب الاستعمار .

وأما الافغان : فهى بعيدة عن البحار ، والبحر هو الطريق المأمون للمستعمرين وليس من العقل المجازفة بغزو بلد يصعب الوصول اليه .

ثم ان الافغان بلاد فقيرة ليس فيها ثروات تغرى الأوروبيين كذلك هى ليست مركزا للاشعاع الدينى الذى يخشى خطره الصليبيون

وكل هذه الأسباب مجتمعة صرفت أوروبا عن احتلال الأفغان .

وأما ايران : فان لنجاتها من الاحتلال قصة طريفة ، اوردها بايجاز ، ولعلها على وجازتها تبين بوضوح ، كيف أن الملوك والحكام كانوا — بقصر نظرهم وبجشعهم — يفتحون أبواب بلادهم للمستعمرين ، وكيف أن الاستعمار كان يعتمد على غفلة الحكام وتخاذل الشعوب أكثر مما يعتمد على حيلته وقوته . وكيف أن اى مقاومة جادة منظمة كانت كفيلة برد خطر الطامعين . وكيف أن علماء الاسلام حين يتصفون بالزهد والورع والبعد عن الأهواء ، كانت ترتفع مكانتهم وتسمومنزلتهم ويقوى سلطانهم على النفوس ، حتى تصبح كلمتهم فى الناس نافذة ، وامرهم فيهم مطاعا ، ومجرد نصيحتهم توجيها وتكليفا .

فمنذ نحو ثمانين عاما ، أى فى أوائل هذا القرن الهجرى، شرعت انجلترا فى التسلل الى ايران بطريقتها المألوفة ، فأوعزت الى احدى الشركات الانجليزية ان تتقدم الى ناصر الدين شاه — امبراطور ايران فى ذلك الحين — وتطلب منحها امتياز احتكار الدخان نظير مبلغ كبير تدفعه اليه . ونشطت الشركة فى سعيها وسخت فى عروضها ، ونجحت فى الحصول على ماتريد ، ودفعت الثمن ، وصدر المرسوم بمنحها امتياز احتكار الدخان .

ولما كان الدخان من اهم المحاصيل الايرانية ، فان احتكار الشركة له كان ضربة اقتصادية لزراعه وتجاره ومصدريه ومستهلكيه ، فتوجس كل هؤلاء شرا وتوقعوا الخراب .

وفتحت الشركة ابوابها ، وانشأت فروعها ، وبثت وكلاءها فى البلاد ، وأخذت تزاول أعمالها . غير انها اسرفت فى استغلالها لتعوض فى اقصر مدة مادفعته للشاه ، أو لتعجل فى الاجهاز على التجار الوطنيين ، أو لتمتص اكبر قدر من ثروة البلاد بأسرع ما يكون . وضاق الناس ذرعا بهذا الاستغلال البشع ، وجأروا بالشكوى ، وطالبوا المسئولين بحمايتهم من تعنت الشركة ، لكن الشركة يحميها ناصر الدين ، ومن ذا الذى يجرؤ على مراجعة سيد البلاد ؟

لجأ الناس الى علماء الدين يلتمسون عونهم لدفع البلاد ، بيد أن العلماء تحرجوا من التدخل فى الأمر دون الرجوع الى كبيرهم الذى انعقد له لواء الزعامة الدينية ، حجة الاسلام ميرزا محمد حسن الشيرازى ، امام الشيعة فى ذلك الزمان . وكان — رحمه الله — يقيم فى (سامراء) بالعراق . فتوجه الناس اليه بشكاواهم ، وسافر اليه الكثيرون وشرحوا له الامر وبينوا الخطر ، وافهموه أن هذه الشركة قد تمهد لغزو بلادهم واحتلالها ، كما فعلت الشركة الانجليزية فى الهند والشركة الهولندية فى اندونيسيا .

وفكر الشيخ الورع الذكى فى الأمر ،وقلبه من كل وجه ، ماذا تراه يصنع ؟ هل يطلب الى الشاه الغاء الامتياز؟ وهل يستجيب الشاه لذلك ؟ ان للمال سلطانا على النفوس وخاصة

نفوس الاثرياء ، وهو قد قبض المال الوفير •

هل يطالب الشاه بايقاف الشركة عند حد فى استغلالها ؟ ان هذا قد يخفف على الناس فى حاضرهم ، لكنه لايرد عن البلاد الخطر المرتقب ، خطر الغزو الانجليزى ان تمكنت الشركة من اقتصاد ايران ، واتيحت لها فرصة جمع المعلومات عنها ، والوقوف على نقط الضعف فيها ، وشراء الذمم ، وتكوين جيش من العملاء •

هل يأمر الناس بالمقاومة ؟

ان الشاه فى هذه الحالة قد يستعين بالأجانب ليفرض سلطانه على الثائرين ، كما حدث فى بعض البلاد الاسلامية •

فماذا يصنع اذن ؟ وأى سبيل يتخذ ؟

وأخيرا وجد الامام الجليل الحل السديد فخرج على الناس وأفضى اليهم بكلمته فى هذا الموضوع •

فماذا كانت كلمته ؟

لقد افتى رحمه الله بحرمة الدخان ،افتى بتحريم بيعه وشرائه وتداوله وتعاطيه •

وحمل العلماء والطلاب والتجار هذه الفتوى الى كل ربوع ايران • فماذا حدث ؟

كل من له مزرعة للدخان أهملها ،وكل من عنده متجر أغلقه ، وكل من فى بيته نارجيلة كسرها ، وكل من بيده لفافة تبغ القى بها بعيدا •

ويروى أن الشاه ناصر الدين ، بعد صدور فتوى الامام ، آوى الى جناحه الخاص وطلب النارجيلة ليدخن ، فلم تحمل اليه •

فسأل زوجته ـ كيف يتأخر الخدم كل هذا الوقت ؟

قالت ان احدا منهم لايقبل أن يعدها لكم •

قال ـ كيف ولم ؟

قالت ـ لأن الامام افتى بحرمة الدخان والتمباك •

فزمجر وهدد وتوعد ، فقالت له ـ مهما صنعت بهم فلن يمدوا أيديهم الى الدخان •

قال ـ اذن ، أعديها لى انت •

قالت ـ ماذا تقول ؟ الامام يفتى بحرمة الدخان ، وأنا أعد لك نارجيلة ؟ سبحان الله ، والله ان هذا لن يكون . أعدها لنفسك ان كنت تريد •

وهكذا وجدت الشركة نفسها فى موقف عصيب ، تواجه مقاطعة كاملة ، فلا تجد من يبيعها شيئا ولامن يشترى منها ، ولا من يحمل لها بضائعها . لقد حاولت أن تصمد للكارثة لكنها كانت كارثة ماحقة ، أودت بها فى سرعة مذهلة الى هاوية الافلاس •

نعم أفلست الشركة الانجليزية بعد بضعة أيام من صدور فتوى الامام الشيرازى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ فجمعت أوراقها وأغلقت مكاتبها واستردت مادفعته للشاه ، وغادرت البلاد ، وتنفس الناس الصعداء •

وهذا هو السبب الوحيد فى نجاة ايران من الاحتلال العسكرى ، ولكنها لم تنج من الاستعمار الاقتصادى بسبب البترول •

رمضان

رشاد

فضيلة الشيخ محمد أمين هلال

كان الشهر التاسع من الشهور العربية بمثابة الواحة الندية ترتد اليها النفوس الصادية فينسجم وعيها ويستقيم أمرها . أو بمثابة الصوى فى متاهات الطريق ترشد العابر ، وتهدى الحائر فيسلك سبيلا صعدا الى غايته ، فلا يستعجم سيره ولا تضجر نفسه . أو بمثابة صدر الأم وهو المهد الوثير الذى يحس عنده الطفل بالأمان والراحة ، ويجد فيه الشبع والرضا ، وتتلاشى فوقه الدموع ، وتشرق الابتسامة ، وتنمو أجمل العواطف وأرق الأحاسيس .

هذا رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فكان دستور الرسالة المحمدية التى أحيت الموات، ونشرت الروح فى الرفات ، وأنبتت من الصحراء القاحلة أبطالا مغاوير ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل من رعاة ابل وقطاع طريق وسفاك دماء . الى ساسة شعوب ورواد فضل ، ومشاعل هداية ، وحاملى رسالة تصل الأرض بالسماء وتوطد بين الناس أواصر الاخاء ، وتبسط جوانب العدل والاحسان ، وتعلى كلمة الدين على عبادة الأوثان .

والحديث عن رمضان يطول ويطول ، وكم كتب عنه من فصول وشحذت فى بيان فضائله الهمم والعقول ، وما زال الكتاب يبدون ويعيدون فى فوائد الصيام وحكمته وكيف أنه يربى خلق الأمانة ويغرس قوة الارادة ، ويحبس النفس عن الشهوات ، ويحول بينها والمألوفات . ويروضها بالجوع والظمأ على ما يكسر من حدتها ويطامن من سورتها ، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من الفقراء والمعوزين ، ويقمع الشيطان ويسد عليه مسالكه ، ويضيق عليه مجاريه بتضييق مجارى الطعام والشراب . وأنه تدريب عملى على مراعاة قواعد الصحة من انتظام الغذاء ، وتحديد أوقاته واراحة المعدة من أخلاط

الطعام وفضلاته ، وأنه تدريب أخلاقى يذلل النفس الجامحة ويشع فيها الرضى والطمأنينة ويلحقها بما يشبه أخلاق الملائكة ، ويطهر اللسان والجنان فلا يرفث ولا يهجر ، ولا يغضب ولا يبطر ، فاذا سابه أحد أو شاتمه قال انى صائم ٠

ومع كثرة ما قالوا وما كتبوا فلن تمل الآذان الكلام عن رمضان ، ولا تمل الأقلام تدبيج ثمار الصيام والقيام ٠

هاتى حديثك لا أمللت مستمعا

ومن يمل من الأنفاس ترديدا ؟

ولسنا بهذه الكلمة الموجزة بسبيل الكلام عن الصوم وعرض شواهد من الكتاب والسنة عن شهر الله وأحكامه وما يجب له من قيام وجود وعطف ٠٠ واخواننا قد أغنونا عن كل هذا سابقا ولاحقا ، وأحاديث رمضان اليومية فى « البلاغ » التى كتبناها نحو عشرين عاما تغنينا فى هذه الناحية ٠٠ وحسبنا ما أشرنا اليه فى صدر هذه الكلمة ٠٠ ولكنا بسبيل أن نلم ببعض الأحداث الاسلامية التى وقعت فى رمضان للعبرة والأسوة ، فما أحوجنا فى هذه الظروف الى آذان صاغية وقلوب واعية ، تعى الدعوة الى الله ، الدعوة الى العزة والكرامة والاقدام، الدعوة الى التعاطف والاخاء الانسانى الذى يوافق فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولا عجب أن تشعبت ينابيع هداته فى الأقطار تحمل النور والهدى والحضارة **والخير ، كما** يساق السحاب الثقال الى بلد ميت فيمطر الخصب والنماء ويوزع الرى والغذاء فتمسى النفوس مطمئنة قانعة وقد حربها القحط ٠ وتصبح الأجسام ممرعة وقد هزلها سوء الحال وبعد المنال ٠

وقبل أن نلم ببعض هذه الأحداث التى وقعت فى رمضان نوضح معنى هذا الصوم فى اللغة ، ونبين حقيقته عند بعض من سبقنا من الشعوب ، كما تشير اليه الآية : « **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** »٠

فالصوم فى اللغة الامساك وترك التنقل من حال الى حال ، ويقال للصمت صوم لأنه امساك عن الكلام ، قال تعالى مخبرا عن مريم: « **انى نذرت للرحمن صوما** » أى سكوتا عن الكلام ٠ والصوم ركود الريح وهو امساكها **عن الهبوب** ، وصامت الدابة على آريها (**وهو الحبل الذى تشد به الدابة فى محبسها**) قامت وثبتت فلم تعتلف ٠ وصام النهار : اعتدل ، ومصام الشمس حيث تستوى فى منتصف النهار ٠

ومنه قول النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة

تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وفى الشرع : الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية الصوم ٠ وتمامه وكماله : اجتناب المحظورات : فمن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ٠

١ ـ يحدثنا التاريخ أن آدم أبا البشر صام عقب قبول الله توبته ، فكان فى صومه ذلك معنى من معانى الشكر لله ٠ ويقال انه صام الثلاثة البيض من كل شهر فكان اذا بلغ الهلال من كل شهر الليلة الثالثة عشر بدأ صومه بطريقة لم ندر كيفيتها حتى اذا انتهى اليوم الخامس عشر عاد الى فطره ٠ وبعد حادث الطوفان صامها نوح وزاد عليها صيام عاشوراء من كل عام ٠

ولقد اعتبرت الأمم القديمة الصوم ركنا هاما من أركان عبادتها وجعلته من أهم العبادات التى يقوم عليها تهذيب النفس وتطهيرها ٠ فالمصريون القدماء كانوا يصومون فى جميع أعيادهم الدينية ، وكان كهانهم يصومون من سبعة أيام الى ستة أسابيع ٠٠ وكان الكثيرون يصومون تعبدا لايزيس ٠

كما كان قدماء اليونانيين يغالون فىصومهم الى حد أن ـ الألوزيين ـ و ـ التسموفوريين ـ من قدماء اليونان كانوا يكلفون نساءهم بالصيام وكانوا يراعون له آدابا خاصة :

منها أن يجلس الصائم أو الصائمة فى حالة اكتئاب وكمد اجلالا لفريضة الصوم المشروعة •

كما أن « اللديمونين » من القبائل اليونانية القديمة كانوا يصومون أياما متوالية قبل شروعهم فى حرب من الحروب •

وكان بعض اليونانيين أيضا يصومون تعبدا – لذيميتير – آلهة الزرع وغيرها •• وكانوا اذا أرادوا لبعض منهم أن ينتسب وينخرط فى طائفة المطلعين على أسرار – كيبيلى – استعد لذلك بصوم عشرة أيام •• وكان يفرض الصوم عندهم أيضا على المتهيئين لعمل الاستخارات التى كانوا يؤمنون بها •

والرومانيون كانوا أكثر صوما من اليونان وكانت لهم أيام معلومة من كل شهر يصومون فيها تعبدا – لزفس – المشترى – و سبريس وذيمتير – وكانوا اذا ألمت بهم نازلة صاموا استعطافا لمعبوداتهم ، كما كانت جميع شعوب ايطاليا تصوم بصفة غريبة خصوصا اذاكانوا مقبلين على أمرجلل، ولذلك فان – التارانتيين – لما حاصرهم الرومانيون صاموا عشرة أيام استنزالا للنصر وتفاؤلا به •

وعند المسيحيين صومهم يختلف باختلاف طوائفهم المتعددة وأقطارهم المتباينة لا نجد حاجة الى استيعابها ، ومما هو جدير بالذكر أن هناك خلافا فى قواعد الصوم بين الكنيسة اللاتينية وطوائف الكاثوليك الشرقية •• فالصوم الكبير يوم الاثنين بدلا من يوم الأربعاء ، وانقطاع عن اللحم يوم الأربعاء عوضا عن السبت ، أما الكنيسة الشرقية للروم الأرثوذكس فأيام الصيام فيها أكثر من الكنيسة الكاثوليكية وقوانينها أشد صرامة وفيها مواقيت كثيرة للصوم والامساك عن أكل اللحم ، ومن هذه المواقيت الأيام السابقة لعيد الفصح والعنصرة والعذراء وأربعون يوما قبل عيد الميلاد •

وليس فى الملل النصرانية أشد صوما من الأرمن والقبط ، فان هؤلاء يصومون يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع الا ما وقع بين الفصح والصعود ، ولهم علاوة على ذلك عشرة أسابيع يصومونها كل سنة : مثلا بعد عيد الثالوث وبعد التجلى وبعد عيد انتقال العذراء وصيام عيد الصليب وصوم الرفع وصوم الفصح – وهكذ وكله اجبارى لايجرى فيه شىء من التساهل ما يجرى عند باقى الطوائف • ويذهب بنحو نصف السنة – أما البروتستنت فالصوم عندهم حسنة لا فرض واجب لا يطلق الا على الامساك عن الطعام بتاتا بخلاف أكثر الطوائف المسيحية فان الصوم عندهم الانقطاع عن بعض المآكل •

وبالمقارنة بين الصوم لدى المسلمين وغيرهم نجد أن الاسلام انما فرضه بصفة فيها الخير للروح والنفس والجسد واعتبره وسيلة مثلى لصيانة النفس عن كل ما يوهنها • فالأمم التى تقتصر فى صيامها على الكف عن اللحم وماينتج منه انما يصومون صياما لا يحقق الغرض المقصود من الصوم• كذلك نجد أن التشديدات الواقعة فى صيام الأمم الأخرى كالتبت والبراهمة تجافاها ديننا الحنيف وراعى جانب التخفيف بالصفة التى يحتملها الجسد وأمر بالتوسط فى الطعام والشراب بقوله تعالى : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » •

٢ – بعض الأحداث الهامة

وكما كان رمضان رياضة روحية ، ونفحة من السماء تربط بين الرحيم والرحماء ، كذلك كان وعاء لعدة واقعات هامة فى تاريخ هذا الدين •

١ – **ابتدأ فيه نزول القرآن** ، تلك المعجزة المخلدة على طول الزمان والذى بفضل تعاليمه مكن لأوليائه أن يقبضوا بأيديهم على أعنة الدهر وينشروا لواءهم فى كل مصر ، وهيأ لهم أن ينشروا حضارتهم فى مشارف الشام وريف العراق وروابى النيل، وربوع الأندلس وجنوب أوربا وثغور المحيط ، ويمدوا ملكه من الهند والصين شرقا الى جبال البرانس

غربا ، ويزاوجوا الفتوح بالعدالة والمرحمة ، ويحطموا الطغيان، ويقتبسوا ما أباح له الدين من علم وفن ، وأخذوا من الطيبات والزينة التى أخرج الله لعباده . فما أسرع ما استجاب له أصحاب البلاد ، واعتنقوا هذا الدين الذى هذب الأخلاق وكرم الانسان - وعدل الميزان وسوى بين الناس فلا يتفاضلون الا بالتقوى **« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »** .

غزوة بدر

٢ - غزوة بدر : وفى يوم الاثنين السابع أو الثامن من رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة وقعت غزوة بدرالكبرى وغلب ثلاثمائة وأربعة عشر من المسلمين ألفا الا قليلا من المشركين . وكانت أولى الغزوات التى انتصر فيها الاسلام من أعدائه وقرع صوت الاسلام آذان المتجبرين بأن هذا الدين الذى طالما طاردوه فى دياره وعذبوا الكثير من أنصاره قد تأذن ربك لينصرن من ينصره ، ومرت بأخيلة قريش طائفات من الثلاث عشرة سنة التى قضاها الرسول بينهم ، لا يبغونه الا شرا : يطلب فلا يجد ، ويعرض فلا يقبل منه ، ويخفق فلا يعتريه يأس ، ويجهد فلا يتخونه الملل ، ويرمى بالحجارة وتدمى قدماه ويلقى على كتفيه معى بعير فلا يهن من عزيمته ولا يفل من شكيمته ، ويضرع الى الله قائلا :

« أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

ثم هو بفضل هذه الأخلاق الثابتة قد آمن بدعوته غرر محجلون لم يطمس التقليد على بصائرهم ولم يغشى الحقد على أبصارهم . وها هم يتغلبون على جند الشيطان الذى لم يغن عنه عدد عديد ، ولا فخر شديد .

وببدر انطلقت الصاعقة واضطرد التاريخ، وأراد الله أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

٣ - فتح مكة

وفى العشرين من رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة أول يناير سنة ٦٣٠ خرج المسلمون فى عشرة آلاف على رأسهم « سيد الخلق » فساروا حتى نزلوا « بممر الظهران » قريبا من « مكة » ليعيدوا الى البيت حرمته ، ويعلو مكانته ، ويزيلوا بكلمة الحق خسائس الجور وينشروا فى أرجائه نور الله ، بعد أن طال فى سمائه ظلمات الطغاة وليحطموا هذه الأوثان والأصنام المتخذة - جهلا وغباوة وتقليدا - أربابا من دون الله ، **وليرجع الى مكة هؤلاء الأبرار الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، وليروا عالم الخيرات والطغيان معا ، ان للحق جولة وان طال عليها الوقت ، وللباطل كبوة ولو كثر سدنته وامتدت فترته .**

وكان المسلمون موفين بعهدهم حين عاهدوا قريشا - فى الحديبية - على وضع الحرب عشر سنين لولا أن نكثت قريش العهد وناصرت بنى الديل من بكر حلفائهم .. ورفدتهم بالسلاح وقاتلوا خزاعة التى كانت دخلت فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستغاثت بالرسول طالبة النصر للحق ووفاء بالعهد، وتأمينا للراكعين الطائفين الساجدين .

وظفر النبى - صلى الله عليه وسلم - بأعدائه الذين آذوه وألبوا عليه العرب ومالئوا اليهود وقتلوا عمه وأصحابه ورموه بكل بهتان . ولعلهم ظنوا أنه سينتقم ممن بالغوا فى ايذائه ويحاسبهم على ما أسرفوا فى جنب الله ، وغاب عنهم أن النفس العظيمة لا يستهويها ظفر كما لا يفل من عزيمتها خور وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - ليس بملك مسلط ولا سياسى مراوغ ، وانما هو رحمة للعالمين ، ونبى أمدته العناية الالهية بما تمد من اختارته خاتما للنبيين : فغناه فى قلبه وموضعه من الحياة موضع الدواء وفيه الشفاء ، حتى لمريض تأفف من تعاطيه وبرم بمن يعطيه ، وليس باطن الرسول - صلى

الله عليه وسلم - كسائر البواطن يحمل حقدا لمن آذاه ، أو انتقاما لمن عاداه ، أو سخرية لمن باداه ، بل هو قلب النبى ، يموت فيه أكثر ما فى الأرض والناس من شهوات ومطـامع وجزاء السيئة بالسيئة .

وما أجمل ما هدأ من روعتهم حين قال لهم: « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .. فأسلموا واعتبر فتح مكة حدا فاصلا بين الجاهلية والاسلام ، واعتبر خضوع قريش قضاء أخيرا على الدين الوثنى فى جزيرة العرب .

٣ - مكانة رمضان فى النفوس

لا شك فى أن رمضان وهو حافل بكل هذه المزايا كان الشهر المعظم عند العامة والخاصة وكان أشهر الشهور مما جعله موسما للعبادات وميقاتا للأحداث العامة أو الخاصة ، حتى ان الناس كثيرا ما يغفلون عن الشهور الفرنجية ويؤرخون أحداثهم برمضان : فهذه وقعت فى رمضان ، وهذا فيه ، وهذا بعده .. وهكذا تواضع المسلمون فى كافة أقطارهم على ذلك .. وكان جديرا بهذا الميقات لما فيه من تجليات وحسنات تندى بها الأكف وتلين بها القلوب، ولأن مناسك الصوم بصفة خاصة تترك أثرها فلا ينسى « شهرها » .

ولم يسلم رمضان - على جلالة قدره ويمن بركته من تملح الأدباء باسمه ، وتظرفهم نحو رسمه ، ولم يكن ذلك على ما نعتقد بغضا فيه أو تقصيرا عما يقتضيه .. ولكن هى المحبة قد تدنو الى الدلال ، وبعض مناحى الأدب تدعو الى تلون المقال .. ونكتفى بما كتبه بديـع الزمان الى بعض الرؤساء :

« كتابى أطال الله بقاك عن شهر رمضان عرفنا الله بركة مقـدمه ويمن مختتمـه ، وخصك بتقصير أيامه واتمام صيامه وقيامه ، فهو وان عظمت بركته ، ثقيل حركته ، وان جل قدره بعيد قصره ، وان نمت رأفتـه ، طويل مسافته ، وان حسنت قربته ، شديد صحبته ، وان كبرت حريته ، كثير حشمته، وان سرنا مبتداه ، فليس يسوءنا منتهاه ، فان حسن وجهه فليس يقبح قفاه ، وما أحسنه فى القذال وأشبه أدباره بالاقبال .. جعل الله قدومه سبب ترحاله ، وبدره فداء هلاله ، وأمد فلكه تحريكا ، بتقضى مدته وشيكا ، وأظهر هلاله نحيفا ليزف الى اللذات زفيفا ، وعف الله عن مزح يكرهه ، ومجون يسخطه » .

قال لقمان لابنه : « يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة ، وسكتت الأعضاء عن العبادة » .

من نفحات رمضان

سُبحانك ما أُحكم قرآنك

الدكتور محمد مصطفى حلمي

سبحانك اللهم خير معلم
علمت بالقلم القرون الأولى
اخرجت هذا العقل من ظلماته
وهديته النور المبين سبيلا
ارسلت بالتوراة موسى مرشدا
وابن البتول فعلم الانجيلا
وافجرت ينبوع البيان محمدا
فسقى الحديث وناول التنزيلا

((شوقى))

الحمد لك ، والملك لك ، والتعبد لك ، والعون منك ، والهدى منك ، والنعمة منك .

الحمد لك يا رب العالمين ، والملك لك يا مالك يوم الدين ، والتعبد لك يا من اياك نعبد واياك نستعين ، والهدى منك يا من نهتدى بك الى الصراط المستقيم ، ونقتدى بنبيك الذى فطرته على خلق عظيم ، والنعمة منك يا من أنعمت علينا ببينات حكمتك ، واحسنت الينا بآيات صنعتك .

ها نحن أولاء فى شهر رمضان ، الذى انزلت فيه القرآن ، بينات من الهدى والفرقان ، وأطلقت به لسان أكمل انسان ، وأقمت عليه أشمخ صرح وأرسخ بنيان ، لقد أقبل بأنواره الروحانية المشرقة ، وباسراره النورانية المتألقة ، فاذا النفوس الزكية تتهيأ لاستكناه هذه الأسرار ، واذا القلوب النقية تتفتح لاستقبال تلك الأنوار ، واذا كل ما فى الكون يسبح بحمدك ويقدس لك فى الغدو والآصال والأسحار ، واذا الصائمون فى رحابك ، الناعمون بترتيل آيات كتابك ، قد عاشوا شهرهم وهم أنعم ما يكونون باجتلاء طلعتك ، واستهداء حجتك ، وأكرم ما يكونون بالقرب منك ، والاتصال بك ، والاستمداد منك ، والاعتماد عليك ، ذلك بأنهم قد طووا نهارهم فأمسكوا عن الطعام ، وأحيوا ليلهم فقاموا والناس نيام ، وهم فيما بين ذلك يتبتلون اليك تبتيلا ، ويرتلون قرآنك ترتيلا ، ويذكرون اسمك بكرة وأصيلا ، ويصبرون على البأساء فلا يتخذون من دونك وكيلا ، ويشكرون على النعماء فلا يرددون بين يديك الا ثناء جميلا ، فسبحانك ما أروع حكمتك ، وما أوسع رحمتك ، وما أهدى سبيلك ، وما أسنى دليلك .

وها هو ذا ((كتابك الكريم)) ، الذى انزلته على نبيك العظيم ، فكان قرآنا بما أقرأته احب أحبابك اليك ، وأصفى أصفيائك لديك ، وكان فرقانا بما فرقت فيه بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وبين الحرام والحلال ، وبين الحجة والشبهة ، وبين الحسنة والسيئة ، وكان بما أحكمت من آياته وما أنزلت من بيناته ، وما أودعته من أوامرك ونواهيك ، وما ضمنته من حقائق العلم ومبادىء العمل ، وما أظهرته من أنوار التوحيد وأسرار الوجود ، وما بددته من ظلمات الشرك وغياهب الجهل والشك ، كان بكل أولئك وبكثير غيره أجمع كتاب لدلائل العلم الذى يؤدى الى السعادة القصوى ، ولوسائل العمل التى توصل الى البهجة العظمى ، بقدر ما هو أمنع رحاب عن تلبيس الحق بالباطل ، اذ جعلت منه نورا من أنوارك القدسية تستهديه البصائر وسرا من أسرارك العلوية تستوحيه الضمائر ، فسبحانك ما أحكم قرآنك ، وما أعظم فرقانك ، وما اروع بيانك ، وما أسطع برهانك .

وكيف لا يكون ذلك كذلك وقرآنك هو الجامع ، وفرقانك هو المانع ، وبيانك هو الرائع ، وبرهانك هو القاطع : ليس ثمة آية من آياته ، ولا كلمة من كلماته الا وتشهد بأن ذاتك هى أكمل الذوات ، وان صفاتك هى أجل الصفات ، وان اسماءك هى أسمى الاسماء ، وان افعالك هى أسنى الأفعال ،

وان كل ما يشيع فى الوجود من اسرار الحق والخير والجمال ، وكل ما يشع فى القلوب من انوار الايمان والعرفان والكمال ، انما هو دلالة من دلالات صنعتك ، وآية من آيات قدرتك ، وشاهد ناطق بجلالك وعظمتك ، ودليل صادق على لطفك ورحمتك ، وكل أولئك ينتهى بمن آمن بك وبكتابك ، وبمن استعاذ بك ولاذ بأعتابك ، الى الاقرار بانك وحدك رب العالمين ، وأنك وحدك مالك يوم الدين ، وانك وحدك منزل الكتاب المبين ، على قلب عبدك الأمين ، وسيد خلقك اجمعين، وخاتم انبيائك المرسلين ، وأنك وحدك الذى تعز من تشاء من عبادك فتهديه الى الصراط المستقيم ، وتكتب له الفوز العظيم ، وتذل من تشاء من عبادك فيضل سواء السبيل ، وتكتب عليه العذاب المقيم ، فسبحانك سبحانك ، ما اشرق الحق بأنوار قرآنك ، وما ازهق الباطل بأسرار فرقانك .

واذا كان رسولك عليه الصلاة والسلام ، قد جعل من ((**رمضان**)) ميقاتا لتحنثه فى كل عام ، فكان له عنده موقع يميزه على الأشهر والأيام، وكنت تباركت وتعاليت قد اختصصت هذا الشهر ((**بليلة القدر**)) وهى خير من الف شهر ، وذلك بما انزل فيها من آيات قرآنك، وبينات هداك وفرقانك ، وبما تنزل فيها من الملائكة والروح ، فاذا هى سلام حتى مطلع الفجر ، اذا كان ذلك كذلك ، فأى شىء أحب الى محبك المشوق اليك ، الهائم بك ، المسلم لك ، المتوكل عليك ، الراضى بحكمك وامرك ، الساكن الى قضائك وقدرك ، من ان يقضى رمضان طاويا نهاره ، محييا ليله ، ظمئا الى طلعتك ، مشوقا الى رؤيتك ، محاولا ان يطفىء ظمأه وشوقه بما يقدمه بين يديك ، ويتبتل به اليك ، ويقبل به عليك ، من ترتيل آيات قرآنك البينات ، وتدبر بينات فرقانك الهاديات ، وذلك على نحو ما كان يفعل اعشق العاشقين بك ، واشوق المشتاقين اليك ((**شرف الدين عمر بن الفارض**)) الذى يعبر عن ذات نفسه النقية مخاطبا ذاتك العلية فيقول :

فى هواكم رمضان عمره
ينقضى ما بين احياء وطى

صاديا شوقا لصدا طيفكم
جد ملتاح الى رؤى ورى
حائرا فيما اليه أمره
صائر والمرء فى المحنة عيى

على أن ((**ابن الفارض**)) وهو ما هو من سلطان للعاشقين وامام للمحبين وقف حياته على التسبيح بحبك، والتغنى بوصلك وقربك، لم يقف هنا فى حبه لك ، وهيامه بك ، وامعانه فى التقرب اليك ، عند حد صوم النهار بالامساك عن الطعام فحسب ، ولا عند حد احياء الليل بالاقلال من المنام فحسب ، وذلك ابان شهر رمضان فحسب ، ولكنه قد ذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، اذ سلك طريق محبتك حتى لم يحب الاك ، وهيمه الحب فى جمال طلعتك وجلال قربتك حتى لم يشهد ما سواك ، واذا الصوم عنده ليس صوم رمضان بطى النهار واحياء الليل فحسب ، وانما رمضان عنده هو عمره كله ، او عمره كله هو عنده رمضان الذى ليس احب الى قلبه ، ولا انسب لحبه ،من أن يقضيه ما بين احياء ليل وطى صوم . فهو ها هنا — على حد ما يتذوقه ((**عبد الغنى النابلسى**)) — ((صائم فى عمره كله عن رؤية الاغيار ، اشتغالا بفيض التجليات على قلبه ببدائع الأسرار ، فهو فى ليل غفلته يسهر فى الطاعة ، وهو فى نهار يقظته يطوى فلا يأكل ولا يشرب ، وانما يطعمه ربه ويسقيه)) .

وابن الفارض من حيث هو كذلك ، انما هو اشد ما يكون شوقا اليك ، وانزع ما يكون الى اطفاء ظمئه منك ، ولكنه كلما جد فى السعى الى طلبك ، والظفر بقربك ،لم يزدد الا ظمأ على ظمأ ، والا شوقا الى شوق ، وانما كان ظمؤه وشوقه فى ازدياد لأنه — كما يقول النابلسى — ((**شرب من البحر المحيط وهو بحر التوحيد ، بعد فناء الأغيار، وظهور المتجلى الحق ، فان هذا البحر كل من شرب منه لا يزال اليه ظمآن ، وان كان به ملآن ..**))

وابن الفارض من اجل هذا كله فى حيرة من امره ، لا يدرى ما هو صائر اليه ، وهو من حيرته فى محنة تعييه وتضنيه ، لأنه لم يعرف بعد قدره عندك ، وحكمه لديك ، وماذا

كتبت عليه من سعادة او شقاء ، ولكنه مع هذا كله ، ومع ما برح به الوجد والشوق فى سبيل محبتك ، قد توسل اليك ، والى اشباع حبه منك ، وهيامه بك ، بما تسكن اليه نفسه ، ويروح به قلبه ، وذلك اذ يقول :

ذابت الروح اشتياقا فهى بعـ
ـد نفاد الدمع أجرى عبرتى

فهبوا عينى ماأجـدى البكا
عين ماء فهى احدى منيتى

أو حشا سال وما أختـاره
ان تروا ذاك بـه منا علـى

بل أسيئوا فى الهوى أو أحسنوا
كل شى حسن منكم لـدى

روح القـلب بذكر المنحنى
وأعـده عنـد سمعى يا أخى

على أنه لا يلبث أن يعبر عن ذات نفسه ، وعما تطمح اليه نفسه ، من تحقيق منيته ، وبلوغ غايته ، وعما يضطرم فى قلبه من نار الشوق ، ولكنه هنا مشوق فى طرب ، بقدر ما كان هناك ظمئا فى حيرة وقلق ، كما يتبين هذا كله من قوله :

لمنى عنـدى المنى بلغتهـا
وأهيـلوه وان ضنوا بفى

منذ أوضحت قرى الشام وبا
ينت بانات ضواحى رحلتى

لم يرق لى منزل بعد النقا
ولا ولا مستحسن من بعدى

آه واشوقى لضاحى وجهها
وظمـا قلبى لذيـاك اللمى

فبكل منـه والألحاظ لى
سكرة وأطـربا من سكرتى

وان سلطان العاشقين ليتحدث عن جمال ذاتك العلية ، وعن ترتيله انشودة هذا الجمال على نحو ما تتلى آيات قرآنك الكريم وذكرك الحكيم ، وذلك اذ يقول :

وأبى يتلـو الا يوسفـا
حسنها كالذكر يتلى عن أبى

كما أنه يتحدث عن ليالى الوصل التى استظل فيها بظلك ، ونهل فيها من مناهل فيضك وفضلك ، فيرجو أن تعود تلك الليالى، وأن يفوز قلبك منك بما كان يتمنى عليك ، فيقول :

أى ليالى الوصل هل من عـودة
ومن التعليل قـول الصب أى

وبأى الطـرق أرجو رجعهـا
ربمـا أقضى وما أدرى بأى

حيرتى بين قضـاء حـيرتى
من ورائى وهـوى بين يدى

ذهب العمـر ضيـاعـا وانقضى
باطـلا اذ لم أفز منـكم بشى

غير ما أوليت من عقـدى ولا
عترة المبعوث حقا من قفى

أما بعد :

فاذا كان سلطان العاشقين قد سلك سبيل محبتك ، والتمس أنوار محجتك ، فلم يقبل الا عليك ، ولم يشتغل الا بك ، حتى لقد جعل من عمره كله رمضان ، المشرق بآيات القرآن، المتألق ببينات الهدى والفرقان ، يقضى نهاره طاويا ظمآن ، ويقضى ليله محييا يقظان ، فليس ثمة أروع ولا أمتع من أن تكون حياتنا الروحية فى رمضان ، تقربا الى ذاتك العلية ، وتعرفا لحقيقتك القدسية ، واشتياقا الى اجتلاء طلعتك السنية ، وتسبيحا بآيات تجلياتك العلوية ، بترتيل آيات قرآنك الكريم وتفهم معانيها ، وتدبر بينات فرقانك الحكيم وتعرف مراميها ، واستقاء الحق منه وتأييده ببرهانه القاطع ، واقصاء الباطل عنه وتفنيده ببيانه الرائع .

فسبحانك ما أحكم قرآنك ، ثم سبحانك ما أعظم فرقانك ، ثم سبحانك ما أسطع برهانك ، ثم سبحانك ما أروع بيانك ، الحمد لك ، والملك لك ، والتعبد لك ، والعون منك ، والهدى منك ، والنعمة منك ، « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك علـى كل شيء قدير » .

ممالك إسلامية قديمة

العلويون
أو
الفلاليون

الأستاذ عبده بدوى

تنتمى هذه الأسرة الى الامام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وسميت بالفلالية لقيام دعوتها فى أول الأمر بتافيلالت ، بعد أن دخلت الى « المغرب » فى أواخر القرن السابع الهجرى ، واستقرت فى « سلجماسة » ، ورأت أمام عينيها انهيار « السعديين » ، وزلزلة ملكهم ، وانحصارهم فى آخر الأمر بمراكش ، ثم احساسها الحاد بالخلخلة السياسية التى ظهرت فى البلاد نتيجة لسقوط السعديين ، وعدم قدرة «الشبانات» على اعادة النضارة فى قلب الدولة الجاف .

ولما كانت « سلجماسة » تحس أن الحياة الى قلب الدولة يجب أن تدب من اهتماماتها بالحياة ، ومن التفافها الدينى حول الشريف « الحسن الداخل بن القاسم » .. فانا نراها تومىء اليه ، وتحرضه على رفع الراية التى ترتعش فى أيدى السعديين ، ولكن كان يقف فى وجه الاجماع على الشريف « الحسن الداخل بن القاسم» الفقيهان حسون السملالى ، ومحمد الحاج الدلانى ولكن « الحسن » كان يتميز عليهما بالنسب الذى تنتهى اليه أسرته ، وصرح أكثر من مسئول بأن الولاية يجب أن تكون فى نسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ولما كان الناس فى هذه المنطقة يأخذون بهذا الرأى فى شئون الولاية فانا نرى الأمر يسلم الى « الحسن الداخل بن القاسم ، ومع ان هذا الأمر قد تم الا أنا نرى الفقيهين غير راضيين تماما عن تسليم الأمر له ، فقد استقر فى نفسيهما أن هذه الأسرة دخيلة على المغرب وأن أموره يجب أن تسلم الى أهله ، وأنه قد آن للعلماء أن يتسلموا شئون الحكم باعتبارهم الورثة الحقيقيين للرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن هنا نرى « السملالى » - حينما تسنح له الفرصة - يتحرك بقبيلته ، ويقبض على سير الأمور فى البلاد ، ويأخذ الشريف

« الحسن الداخل بن القاسم » أسيرا عنده ، **وما يزال الشريف فى الأسر حتى يقوم ابنه « المولى محمد » بثورة تنتهى بالقضاء على قوة الفقيه السملالى ، ويفك والده من الأسر ، ثم يجمع الناس حول والده لاعادة مبايعته ، ولكنه يقول لهم بصوت ورع والابتسامة تكسو وجهه : « ان على الشعب أن يولى من يشاء غيره ، وأنه لن يفرض عليهم أحدا » ، وحين يطلبون منه تفسيرا لما يقول يعود الصوت الورع ليكمل « انه يخشى الوقوع فى معصية اذا تمسك بالحكم ! » ومن ثم يجمع الناس على تولية ابنه « المولى محمد » .**

وما يكاد « المولى محمد » يتسلم أمور الحكم حتى يرى الفقيهين يتوثبان من حوله ، ويثيران القبائل ، ويدفعانه دفعا الى السير اليهما أو ترك شئون الحكم ، ولكنه يرى الثقة به فى وجه الجماهير ، فيسير اليهما ، ويعود متوجا بالنصر ، وبغبار المعركة المنتصرة ، واذا به يرضى عن انتصاراته ، ويخطط لتوسع دولته ، ولكنه يفاجأ بأخيه « الرشيد » يثور عليه ، ومن ثم يغمض عينيه فى أسى لأن آماله تضيع هى الأخرى مع دمه قطرة قطرة وأملا أملا .

ويتسلم « الرشيد » الحكم فيرى الحياة وارفة من حوله بعد القضاء على الفقيهين ، ويدير عينيه فاذا ببقايا « الشبانات » تتحرك ضده فيسارع الى القضاء عليها ، وفى هذا الجو الآمن نراه يعمل على التوسع فيضم بعض الأطراف اليه ، ويستعين بكافة القوى ليعيد الى البلاد وحدة المغرب ، حتى انه قد استعان بالانجليز والأتراك على محاربة أحد الرجال الأقوياء فى الثغور - وهو الخضر غيلان - واضطره الى ترك المغرب واللجوء الى الجزائر !

وقد استفاد من هذه الانتصارات السلطان اسماعيل (١٦٧٢ - ١٧٢٧ م) حين أتى من بعده ، فقد أقبل على الحكم ووحدة المغرب محققة ، ولكنه لا يكتفى بأن يكون المغرب بين يديه ، وفى ضوء آماله الجديدة نراه يسير الجيوش الى القطاعات الافريقية المجاورة ، ونراه يقدم على عمل كان له كبير الأثر بعد ذلك على الحياة فى المغرب ، ذلك لأنه استقدم « الافريقيين السود » بأعداد وفيرة ، ووضع فى مخططه أن يكونوا قوة أخرى الى جانب قوتى العرب والبربر ، وللوصول الى غرضه نراه يسير بهم فى عدة اختبارات حتى يكون منهم مواطنين صالحين . فكان يدفع بالقادمين فى أول أمرهم الى استصلاح الأراضى ، ثم الى ممارسة أعمال البناء ، ثم الى الطبقة الدنيا فى الجندية الاحتياطية ، فاذا أحسنوا التدريبات سلكهم فى عداد الجند المقاتل ، وأعطاهم اذنا بالزواج وتكوين الأسرة .

وبهؤلاء الافريقيين ، وأمام كثرتهم الهائلة يكون ميزان القوى قد تحدد بين العرب والبربر والافريقيين لأول مرة فى شئون المغرب ، على أنها جميعا كانت فى أول أمرها فى خدمة الدولة ومن هنا استطاعت وضع يدها على المدن الساحلية مثل المهدية ، وطنجة ، والعرائش وأصيلا بعد أن كانت من قبل تحت النفوذ الاسبانى والبرتغالى والانجليزى ، ثم نراها تنجح فى مزاحمة الأتراك فى المغرب الأوسط « الجزائر » وتنجح فى مد نفوذها داخل الجزائر حتى « وادى شلف » .

وتقوى هذه الانتصارات من معنويات الأمة فتقبل على التعمير ، حتى أننا نراها تستخدم فى بناء مدينة « مكناس الجديدة » ما يقارب من خمسة وعشرين ألف أسير مسيحى ، مما جعل المؤرخ « أبو القاسم أحمد الزيانى » يقول عنها « .. وهذا شىء لم يبن فى دولة عربية ولا عجمية ، لا فى الجاهلية ولا فى الاسلام ، وكان عنده بأبواب قصوره على ما ذكروا ألفان ومائتان من الخصيان السود ، وكل واحد بمن يخدمه من السودان » .

على أن مما صدع هذا الصرح الشامخ تصايح أولاده من حوله برغبتهم فى تولى الولايات وعندما استجاب لهم ثار عليه واحد منهم ، ثم ثان ، مما حمله على عزلهم جميعا ، والاستناد

فى شئون الدولة على ولى عهده « أبو العباس احمد » .

وبعد وفاة السلطان اسماعيل أصبح مصير البلاد نهبا بين قوى الجيش الثلاث فى البلاد ، ولكن كفة « الافريقيين » سرعان ما رجحت حينما رأوا السلطان وأحمد الذهبى يقربهم ويبسط لهم يده بالأموال ، مما جعلهم يتطاولون على الشعب ، ويعملون على اهانته ، واغتصاب ما يحبون اغتصابه .

وقد ضاق الناس بهذا السلطان فعزلوه ، ثم جاء آخر وضيق على « الجيش الافريقى » فاذا بهم يعملون على عزله ويعودون بأحمد الذهبى ، وهكذا استمرت عمليات العزل والتولية بين عدد كبير من السلاطين ، حتى أصبحت الدولة مفككة تماما ، فقد خربت العاصمة « مكناسة » وأصبحت فاس ومكناسة ومراكش فى حرب مستمرة ، وكانت قوة « الجيش الافريقى » هى المحرك الحقيقى لكل هذا ..

على أنه لم يقض على هذه الفتنة الا السلطان « محمد الثالث » حين تولى الحكم عام ١٧٥٧، لأنه سرعان ما قام بعملية توازن بين المدن المتصارعة ، وبين قوى الجيش ، فقد نجح فى أن ينبه الناس الى الخطر من حولهم، ويصرفهم عن صراع بعضهم بعضا ، وقد نجح فى عملية « التحويل » هذه حين ذكر لهم أنهم مهددون من الخارج ، وأن عليهم أن يحصنوا الثغور ، ويهتموا بالبحرية ، ويقبلوا على بناء ثغر جديد هو ثغر « الصويرة » ، وقد بلغت الفتوة البحرية حدا جعلها تأسر سفينة فرنسية ، ثم ترد الاعتداء الفرنسى الذى تبع ذلك ، ثم نرى هذه القوى الجديدة المتنفضة تعمل على اجلاء البرتغاليين عن مدينة « الجديدة » ، ثم تحاصر ميناء « مليلة » الذى كان فى أيدى الاسبانيين ، ثم تدخل مع « كارلوس » ملك اسبانيا فى مفاوضات لتبادل الأسرى المسلمين سواء أكانوا من المغاربة أو من غير المغاربة ، ولعل ألمع نقطة ضوئية فى حياة السلطان « محمد الثالث » أنه كان أول من اقترح على أوروبا الدخول فى مفاضاوت من أجل الغاء الرق ، وحفظ كرامة الانسان !!

ثم ان هذه الانتصارات حين أخذ الناس يستمتعون بها ، وحين هدأ « الخطر » الذى حركهم باسمه السلطان، نرى من جديد الخطر الكامن يتحرك ، ذلك لأن « الجيش الافريقى » سرعان ما مل الحياة تحت نفوذ هذا السلطان القوى ، واذا به يلتف حول ابنه « يزيد » ، ويقومون بثورة ضده ، ولكن السلطان تمكن منهم ، وأعلن « يزيد » العاق توبته ، ومن هنا أخذ يفكر جديا فى هذا الخطر الكامن فى بلاده، والذى كان يعادله تماما وجود المماليك فى المشرق !

فقد فكر فى اعادتهم الى أوطانهم ولكنه لم يجد هذا الحل عمليا ، ومن ثم رأى أن يفرقهم بالتوزيع على الثغور ، ولكنهم سرعان ما تكتلوا فى الثغور وأصبحوا خطرا يهدد بالثورة ، وأخيرا نراه يقوم بعمل حاسم فى هذا المجال ، فقد أمر بالقبض عليهم ، وتوزيعهم كعبيد على عدد كبير من السكان ، وبهذا يصبح كل واحد منهم تحت بصر السكان !

وقد كان يمكن للدولة أن تنهض بعد هذا الحادث ، ولكنها أصبحت موزعة بعد ذلك بين ثلاثة سلاطين يتركز نفوذهم فى مراكش ، وفاس ، وبلاد الهبط .

ثم كانت عملية الأطماع الغربية تأخذ طريقها الى القارة الافريقية ، وكان دخول فرنسا السافر فى الجزائر ، وتهجمها على الحدود المغربية بدعوى مناصرة المغرب لقضية الجزائر ، وفى الوقت نفسه تم اعلان اسبانيا الحرب على المغرب ، وتلفتت البلاد فاذا بها داخل أطماع شبكة من الدول تتمثل فى أسبانيا وفرنسا وايطاليا وانجلترا وألمانيا ، واذا بهذه الدول يساوم بعضها البعض على التهام مناطق النفوذ فى افريقية ، واذا برقعة المغرب الكبيرة تسقط تحت النفوذ الفرنسى والنفوذ الاسبانى .

ثم كان دخول البلاد فى معارك حـامية ، وتعتبر « حرب الريف » تحت قيادة « عبـد الكريم الخطابى » من أهم هذه الحروب ، ثم تلا ذلك قيام الأحزاب ، ووقوف الملك «محمد الخامس » الى جانب المطالب الوطنية ، ونفيـه الى « مدغشقر » ، والاضطرار الى عودته عـام ١٩٥٥ ، ثم أخيرا اعلان فرنسا استقلال البلاد فى ٢ من مارس عام ١٩٥٦ ، وإعلان اسبانيا استقلال البلاد التى تحت يدهـا فى ٧ من ابريل عام ١٩٥٦ .

ويعتبر الملك « الحسن » امتدادا لهذه الأسرة التى قاومت وصمدت أمام عملية التفتيت من الداخل ، وعملية الغزو من الخارج ، واذا بها تدخل فى المحيط العربى كقوة ايجابية ، وتقف على المحيط لتمسك بنهاية الخط الضـوئى للشمس العربية التى تلف « الجسر العربى » الذى يتخطى آسيا الى افريقية ، والذى يعتبر – فى الوقت نفسه – نقطة الارتكاز الاسلامى القديمة التى قام بتثبيتها على المحيط الأطلسى عقبة بن نافع حين خاض بفرسه فى ميـاه المحيط الأطلسى ، ثم حول وجهه الى الله – مع التاريخ – وهتف بأنه لو أمكن التقـدم .. لتقدم .

فكرة وعبرة

الأستاذ احمد مسلم ابراهيم مصطفى

ان لكل كائن حى فى حياته مطالب ومتاعب قاسية ، ولابد من مواجهة هذه المطالب ان عاجلا وان آجلا ، والانسان أكثر الكائنات الحية تعرضا لهذه المطالب والمتاعب ومهما يكن من أمرها فان البشر جميعا مزودون بالعقول التى تبتكر الوسائل والطرق اللازمة للرد والتغلب على متاعب ومطالب هذه الحياة ، مميزون بالقدرة على النطق والتعبير ، ولكن هذه المتاعب وتلك المطالب تختلف باختلاف الأفراد كما تختلف معها العقول والأفكار .

فقد تكون مرضامؤلما ، أو حادثا مفجعا ،أو دينا ميئسا ، أو فشلا محققا ، والعقل الانسانى — هو وحده وليس غيره — الذى يستطيع ان يجابه هذهالصعوبات ، ويتخلص من تلك العقبات فيما لو نمت فى نفسية المرء بعض الصلابة الداخلية التى تعرف بقوة العزيمة . ولا غرابة فى ذلك — فمن المحتمل أن يكون العالم قد خلق هكذا مليئا بالمشاكل والعقباتلاظهارهذه الصفة — صفةالصلابة — فى الانسان . والعقل الواعى لايدع لليأس سبيلا الى نفسيةصاحبه لأن صاحبهفىالواقع اقوى مما يظن . ولو سأل الفرد نفسه بأمانة عن متاعبه ومشاكله لوجد أنها ليست بعيدة عن سلوكه ولا دخيلة عليه بل هى مخلوقة من تفكيره وصنع يديه . ولقد صدق (جواتامابوذا) حينما قال : (ان العقل هو كل شىء ، ومايفكر فيه الانسان يحدد شخصيته)

ولكى يحقق الانسان لنفسه الراحة والسعادة لابد له من اتباع هذه المبادىء ليكشف الأستار عن الأسرار وليتمتع بنظرته الواسعة ويرى خط الضوء فى نهاية الظلام .

هذه المبادىء السبعة ليست فى حقيقتها صعبة التطبيق ، ولاحديثة الفكرة وانما تعتبر مفاتيح النجاح ، تلمسها من واقع حياتك ، وتستنتجها من خبرتك ومشاهداتك واذا ماحرصتعلى تنفيذها وجعلتهاالنبراس الذى يضىء لك الطريق لايستطيع شىء أن يوقفك عن تحقيق هدفك اذا أردت ولا يقف حجر عثرة فى طريقك اذا رغبت .

وأول هذه المبادىء :

أن يستخدم الانسان كل طاقاته وقدراته فى التفكير المنتج المقرون بالتجربة والاستدلال المنطقى السليم ، وحتما ستبهره النتائج . ولا ريب فى ذلك — لأننا لو دققنا النظر فى تفكير وسلوك الكثيرين ممن خيم الجهل عليهم ، وختم الله على قلوبهم ، وجعل على بصرهم غشاوة لتجلى لنا انهم لايستخدمون سوى العشر من قدرتهم الكاملة للعمل والتفكير الأصيل ..

وثانى هذه المبادىء :

أن يدعم هذا التفكير بالمثابرة ومواصلة العمل والكفاح حتى يحقق الهدف المنشود والنتائج المرجوة ، ويجنى ثمرة جده وكفاحه لأن المثابرة على العمل عاقبتها النجاح ، وبالصبر دائما يبلغ الانسان مايريد ، ولنا فى كثير من الحيوانات والحشرات عظة وعبرة ، فلنتعلم الصبر والمثابرة من النملة . النملة التى تحمل قوتها وتتسلق به الحائط فيسقط منها عشرات المرات ، وتظل هكذا تصعد به ثم يسقط ثم تصعد به ثم يسقط

دون أن تمل ولاتكل الى أن تحقق ماتصبو اليه من آمال .

وثالث هذه المبادىء :

ان يحدد المرء اهدافه وأحلامه الحقيقية ، فلا يسبح بعقله فى عالم الخيال ، ويترك له العنان ليسير وراء هواه ومشيئته فيشوب التفكير السليم بما يباعد عن الوصول الى الهدف ويضع العقبات فى الطريق . الطريق التى ان تبعها الفرد لكانت أقرب مما يظن وأسهل مما يتوقع .. وان أعظم فكرة لسرعة تحقيق هذه الأحلام ، وضمان الوصول الى تلك الأهداف . ان تضع نصب عينيك الهدف الأصلى ، ثم تنظر الى المشكلة جزءا جزءا بعد تقسيمها حتى لايتطرق الملل والسآمة الى عقليتك وتبدو أمامك المشكلة بالفة التعقيد .

ورابع هذه المبادىء :

لايقل أهمية عن الآخرين وهو أن يحترس الانسان من الأشياء التى تلهيه عن بذل الجهد الكامل لتحقيق النجاح فلا يصرف اهتمامه زيارات اجتماعية، ولا ممارسة لأوراق اللعب، ولا مشاهدة (لفيلم سينمائى) يقتل الوقت ويبدد الطاقة ويرغبها عن تحقيق الأمانى ، وليتخذ من حياة المشهورين الذين حققوا المجد بمواصلتهم البحث والتفكير مع اضواء الصباح حتى منتصف الليل قدوة . فلقد كانوا أشبه مايكونون بمن وضع على جانبى عينيه حاجزا حتى لاينظر دائما الا الى الأمام.

وخامس هذه المبادىء :

مبدأ الشورى والاستعانة بآراء الآخرين ومساعداتهم لأنه ومن النادر ان تنجز الكثير من الأعمال بنفسك ، ولقد خلق الله سبحانه وتعالى الاختلاف فى التفكير والعقول ليستعين كل برأى اخيه وليلجأ الى مشورته ليستوضح معالم الطريق ، ويستبين سبيل الهدى ، ولقد كان (هنرى كابزر) موفقا حينما كان يقول لأحد مستخدميه عندما يقوم بتقديم فكرة طيبة له **(هذا حسن ــ اننى اميل للفكرة واقدرها ، وقد حصلت انت على عمل اضافى لتنفيذ فكرتك ، هيا ابدأ العمل فيها بعد ظهر اليوم)** .

وسادس هذه المبادىء :

مبدأ الاخاء والتعاون ، ويتمثل فى خدمة الجمهور بتنفيذ المشروعات التى تدر عليه الخير الكثير ، والمال الوفير ، وتشبع حاجته الملحة المتعطشة الى السعادة والنعيم ، وهذا مبدأ اقرته الديانات السماوية ، وحثت عليه الكتب الربانية ، واتفقت عليه عامة الأمم والشعوب ، وكلما زاد عدد من ينتفعون من تلك المشروعات زاد انتفاع صاحب المشروع نفسه وسمت قيمته حتى وصلت الى أعلى الدرجات ، ولا يعوزنا فى ذلك برهان ولا دليل

فالناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وسابع هذه المبادىء وآخرها :

ان تتحلى بالشجاعة الأدبية وألا تدع لحظة تمر دون أن تغتنم فيها فرصة ، أو تحقق فيها مأربا، وأن تسيرفيها مباشرة، وكأنك تتوقع أن يكون وقت تفكيرك منتهى أوقاتك ، ويومك آخر أيام حياتك ، ولتكن فترة نومك (فترة الفكرة) لأن الشخص القوى ذا النظرة الواسعة يمكنه حقا ان يشاهد خط الضوء فى نهاية الظلام الحالك .

وهكذا ــ فان العقل هو المفتاح الوحيد الذى ان استعملته بأمانة يدور فى لطف ليفتح لك قفل مايعتريك من مشاكل وصعوبات ، ولو وعيت وصف الشاعرة **(ايلاهويلر ويلكوكس) حينما قالت فى التفكير السليم للشخص (ان الانسان هو مايفكر فيه ، وليس مايقرؤه أو يسمعه وبالتفكير الدائم الملح تستطيع أن تتغلب على كل شىء قائم ، وتستطيع أن تحرر نفسك من الأغلال ، سواء كانت أغلال الفقر أو الخطيئة أو المرض أو التعاسة أو الخوف)**

ومادامت أهمية العقل هكذا ــ فان من أوجب الواجبات على المرء الذى يبغى لنفسه ولأمته الحياة السعيدة أن يحرص كل الحرص ويحافظ أشد المحافظة على عقله من الاقدام على تعاطى المسكرات او مايجهد العقل فى غير منفعة ، ليضمن سلامة تفكيره وقوة عزيمته ، ويكون ــ بحق ــ المواطن الصالح الذى ترجو منه امته الكثير .

الإمام الأوزاعي

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

ولد فى بعلبك سنة ٨٨ من الهجرة ومات سنة ١٥٧ من الهجرة ونشأ بالبقاع يتيما فى حجر أمه خرجت به من بلد الى بلد الى أن بلغته المنزلة التى تطاولت أعناق الناس فى الوصول اليها فلم يدركوها حتى قيل فى شأنه عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه فى نفسه فلم يكن فى أولاد الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ولا أورع ولا أنصح ولا أوقر ولا أحلم ولا أكثر صمتا ما تكلم بكلمة الا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها وفيه يقول العباسى بن الوليد بن مزيد العذرى ما رأيت أبى يتعجب من شىء رآه فى الدنيا تعجبه من الأوزاعى فكان يقول سبحان الله يفعل ما يشاء

رحلاته فى طلب العلم

جاب الأوزاعى البلاد متنقلا من مكان الى مكان مفتشا عن المعرفة باحثا عن الحكمة لا يعرف اليأس الى نفسه سبيلا لأن حب العلم يهون كل خطب وييسر كل صعب سافر مرة الى اليمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبى كثير وانقطع اليه فأرشده الى الرحلة للبصرة التى كانت يومئذ تموج بأفواج العلماء وأساطين الحكمة وتدوى كدوى النحل فسمع من الحسن وابن سيرين وقيل انه وجد الحسن قد توفى منذ شهرين ووجد ابن سيرين مريضا فجعل يتردد لعيادته فقوى به المرض ومات ولم يسمع منه شيئا ثم جاء فنزل دمشق بمحلة الأوزاع والأوزاع قرية بدمشق على طريق باب الفراديس ولم يكن أبو عمرو منهم وانما نزل فيهم فنسب اليهم وهو من سبى اليمن فساد أهل الشام فى زمانه فلم يكن بالشام أعلم منه فقد أجاب فى سبعين ألف مسألة عجز عنها العلماء وحار فيها دليلهم وكان أمة فى الفقه والحديث والمغازى وغيرها من علوم الاسلام وقد أدرك خلقا كثيرا من التابعين وغيرهم فأخذ العلم عن عطاء والزهيرى ومكحول ومحمد بن ابراهيم ويكفى فى فضله وتفرده فى المعرفة أن سادات المسلمين الذين تقف مراكب الملوك بأبوابهم وتعقد الخناصر على مواعظهم يأخذون العلم عنه وعلى رأسهم امام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى والثورى وفيه يقول الذهبى فى الكاشف : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى هو شيخ الاسلام الحافظ الفقيه الزاهد . حج مرة فدخل مكة وسفيان الثورى آخذ بزمام جمله ومالك بن أنس يسوق به والثورى يقول أفسحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة وجلسا بين يديه يأخذان عنه

مناظراته للعلماء

تناظر الأوزاعى والثورى فى مسجد الخيف فى مسألة رفع اليدين فى الركوع والرفع منه فاحتج الأوزاعى على الرفع بما رواه عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه فى الركوع والرفع منه واحتج الثورى على ترك ذلك بحديث يزيد بن أبى زياد عن ابن أبى ليلى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا افتتح يعنى الصلاة ثم لا يعود فغضب الأوزاعى وقال أتعارض حديث الزهرى بحديث يزيد بن أبى زياد وهو رجل ضعيف فتغير وجه الثورى وظهر الغضب فيه فقال الأوزاعى لعلك كرهت ما قلت قال نعم قال قم بنا حتى نتلاعن عند

الركن أينا على الحق فسكت الثورى وكان الأوزاعى يرى وجوب الرفع فى افتتاح الصلاة وعند الركوع وعند الرفع منه وقد تذاكر مالك والأوزاعى مرة فى المدينة من الظهر حتى صليا العصر ومن العصر حتى صليا المغرب فغلبه الأوزاعى فى المغازى وغلب مالك فى الفقه وقال يحيى بن القطان عن مالك اجتمع عندى الأوزاعى والثورى وأبو حنيفة فقلت أيهم ارجح قال الأوزاعى وقال محمد بن عجلان ما رأيت احدا انصح للمسلمين من الأوزاعى ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد بمجلسه الا بكى بعينيه او بقلبه دخلت امرأة من جيرانه على امراته فرات الحصير التى يصلى عليها بالليل مبلولة فقالت لها لعل الصبى بال ها هنا فقالت لها هذا أثر دموع الشيخ من بكائه فى سجوده وقالت هكذا تصبح كل يوم

مناظرته للقدرى

كان على عهد هشام بن عبد الملك رجل قدرى فبعث اليه هشام يقول لقد كثر كلام الناس فيك فقال نعم يا أمير المؤمنين وادع من شئت يجادلنى فان قامت على الحجة امكنتك من راسى فقال هشام قد انصفت فبعث هشام الى الأوزاعى فلما حضر قال له هشام يا أبا عمرو ناظر لنا هذا القدرى فقال له الأوزاعى اختر ان شئت ثلاث كلمات وان شئت أربع كلمات وان شئت واحدة فقال له القدرى بل ثلاث كلمات فقال الأوزاعى للقدرى أخبرنى عن الله عز وجل هل قضى على ما نهى فقال القدرى ليس عندى فى هذا شىء فقال الأوزاعى هذه واحدة ثم قال الأوزاعى اخبرنى عن الله عز وجل حال دون ما أمر فقال القدرى هذه أشد من الأولى ما عندى فى هذا شىء فقال الأوزاعى هاتان اثنتان يا أمير المؤمنين فقال الأوزاعى أخبرنى عن الله عز وجل هل أعان على ما حرم فقال القدرى هذه أشد من الأولى والثانية ما عندى فى هذا شىء فقال الأوزاعى يا أمير المؤمنين هذه ثلاث كلمات فأمر هشام فضربت عنقه فقال هشام بن عبد الملك للاوزاعى فسر لنا هذه الثلاث فقال نعم

يا أمير المؤمنين ألم تعلم أن الله تعالى قضى على ما نهى نهى آدم عن الأكل من الشجرة. ثم قضى عليه بأكلها ، وأكلها ، ثم قال الأوزاعى يا أمير المؤمنين أما تعلم أن الله تعالى حال دون ماأمر امر ابليس بالسجود لآدم ثم حال بينه وبين السجود ثم قال الأوزاعى أما تدرى ياأمير المؤمنين أن الله تعالى أعان على ما حرم حرم الميتة والدم ولحم الخنزير ثم اعان عليه بالاضطرار اليه فقال له هشام اخبرنى عن الواحدة ما كنت تقول له قال كنت اقول له اخبرنى عن مشيئتك مع مشيئة الله عز وجل او مشيئتك دون مشيئة الله عز وجل فبأيها اجابنى حل ضرب عنقه قال فأخبرنى عن الأربع كلمات ما هن قال كنت اقول له اخبرنى عن الله عز وجل حيث خلقك خلقك كما شاء او كما شئت فانه كان يقول كما شاء فأقول له أخبرنى عن الله عز وجل يتوفاك اذا شئت أو اذا شاء فانه كان يقول اذا شاء فأقول له أخبرنى عن الله عز وجل اذا توفاك أين تصير حيث شئت أو حيث شاء فانه كان يقول حيث شاء فقال الأوزاعى يا أمير المؤمنين من لم يمكنه أن يحسن خلقه ولا يزيد فى رزقه ولا يؤخر فى اجله ولا يعير نفسه حيث شاء فأى شىء فى يده من المشيئة ياأمير المؤمنين قال صدقت ياأبا عمرو ثم قال الأوزاعى ياأمير المؤمنين ان القدرية ما رضوا بقول الله تعالى ولا بقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول الملائكة ولا بقول أخيهم ابليس فأما قول الله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وأما قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وأما قول الأنبياء فقال شعيب عليه السلام وما توفيقى الا بالله عليه توكلت وقال ابراهيم عليه السلام لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحى ان اردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وأما قول أهل الجنة الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأما قول أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وأما قول ابليس رب بما اغويتنى

دقته فى الفتوى

حدث حماد بن محمد الفزارى قال بلغنى عن الأوزاعى أن رجلا من عسقلان سأله على الساحل فقال له يا أبا عمرو نرى طيورا سودا تخرج من البحر فاذا كان العشى عاد مثلها بيضا قال وفطنتم لذلك قال نعم قال تلك طيور فى حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار فتلفحها النار فذاك دابها حتى تقوم الساعة فيقال ادخلوا آل فرعون أشد العذاب

الأوزاعى يعظ المنصور

اجتمع الأوزاعى بالمنصور حين قدم الشام فوعظه وسدد اليه سهام النصيحة فأحبه المنصور وعظمه فلما اراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لايلبس السواد فأذن له فلما خرج قال المنصور للربيع الحاجب أدركه فاسأله لم كره لبس السواد ولا تعلمه بأنى قلت لك فسأله الربيع فقال لأنى لم أر محرما أحرم فيه ولا ميتا كفن فيه ولا عروسا جليت فيه وكتب المنصور الى الأوزاعى يقول أما بعد : فقد جعل أمير المؤمنين فى عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك فى عنقه فاكتب الى بما رأيت فيه المصلحة فكتب اليه . يقول . اما بعد فعليك ياأمير المؤمنين بتقوى الله عز وجل وتواضع يرفعك الله تعالى يوم يضع المتكبرين فى الأرض بغير الحق واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله تعالى عليك الا وجوبا

مواعظه

كتب الأوزاعى الى اخ له يقول أما بعد فقد احيط بك من كل جانب وانه يسار بك فى كل يوم وليلة مرحلتان فاحذر الله والقيام بين يديه وان يكون آخر العهد بك والسلام ومن مواعظه يقول تقووا بهذه النعم التى اصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة فانكم فى دار الثواء فيها قليل وأنتم عما قليل عنها راحلون خلائف بعد القرون الماضية الذين استقبلوا من الدنيا زينتها وزهرتها وكانوا أطول منكم اعمارا وامد أجساما وأعظم اجلالا واكثر أموالا واولادا فنحتوا من الجبال بيوتا وتنقلوا فى البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجساد كالعماد فما لبثت الأيام والليالى أن طويت آثارهم وتغيرت منازلهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا كانوا يتطلبون الدنيا ويطيلون الأمل آمنين وعن ميقات يومهم غافلين قد علمتم الذى نزل بساحتهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين واصبحتم من بعدهم فى أجل منقوص فلا تكونوا أشباها لمن ضرعه الأمل وغره طول الأجل ولعبت به الأمانى جعلنا الله واياكم ممن اذا دعى بادر واذا نهى كف وعقل مثواه فهدى لنفسه

نهاية المطاف

حدث محمد بن عبيد الطنافسى قال كنت جالسا عند الثورى فجاء رجل فقال رأيت الليلة كأن ريحانة من المغرب قلعت قال ان صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى وكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعى فى ذلك اليوم فمات وما خلف ذهبا ولا فضة ولا عقارا ولا متاعا مات بمدينة بيروت وقبره فى قرية على باب بيروت يقال لها حنتوس وأهلها مسلمون وهو مدفون فى قبلة المسجد وأهل القرية لا يعرفونه بل يقولون ها هنا رجل صالح ينزل عليه النور ولا يعرفه الا الخواص من الناس وسبب موته انه دخل الحمام ببيروت وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق الحمام عليه وذهب ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة وقيل ان امراته فعلت ذلك ولم تكن عامدة فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة

وهكذا انتهت حياة من ملأ الدنيا علما وفضلا كما تنتهى حياة الزهور ضاقت بمواهبه الدنيا حيا كما ضاق بطن اللحد به ميتا وقد رثاه بعضهم بقوله

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبرا تضمن لحده الأوزاعى

قبر تضمن فيه طود شريعته
سقيا له من عالم نفاع

عرضت له الدنيا فأعرض مقلعا
عنها بزهد أيما اقلاع

الاتحاد الاشتراكى العربى

إطار للتقدم الاجتماعى وحصن للديمقراطية السليمة

الأستاذ محمود عبد الحميد

يفتتح الشعب العربى فى مصر صفحة جديدة من حياته بقيام الاتحاد الاشتراكى العربى الذى سيكون وسيلة شعبنا لممارسة الحرية والديموقراطية وتنفيذ ميثاق العمل الوطنى من أجل حياة أفضل .

وقد سبقت هذا التنظيم الجديد خطوات على طريق الديموقراطية ومحاولات قامت بدورها فى العمل السياسى منذ قيام الثورة فى عام ١٩٥٢ ومهدت للتطورات التى نعيشها فى هذه الأيام . وكانت قرارات وقوانين ١٩٦١ تمثل تحولا أساسيا نحو الاشتراكية ، فاذا سلمنا بآثارها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ونظام الحكم أدركنا أهمية اجراء التعديلات السياسية التى أعقبتها لتوسيع قواعد الديموقراطية ، وتسليم أعباء التخطيط والتنفيذ والمراقبة لأصحاب المصالح الحقيقية التى عبرت عنها تلك القرارات . وكانت أولى الخطوات التى اتخذت نحو هذا الهدف تكوين اللجنة التحضيرية فى نوفمبر ١٩٦١، ثم انعقاد المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ١٩٦٢ لاقرار الميثاق ، والبدء بتكوين التنظيم الشعبى الجديد .

التنظيم والتقدم :

ويستمد هذا التنظيم أهميته وضرورته من طبيعة المرحلة الحالية للعمل الوطنى ، ومن مبادىء أمتنا ومثلها وأمانيها فى المستقبل لأن الدور العظيم الذى ينتظر شعبنا رهن بتحقيق مبادىء الميثاق بوصفها أسس الاشتراكية العربية ودليل الأمة فى عملها الثورى من أجل التقدم ، ولا يمكن أن يتحقق هذا التقدم الا بالمساهمة الايجابية من الجماهير التى تقترب بعملها من الهدف ، وتجسم الأفكار فى أعمال وتنزل بالمبادىء الى أرض الواقع ومن هنا تنبع الصلة بين أسس الميثاق وضرورة التنظيم الشعبى .

فهذه الأسس تحدد علاقة الشعب بوسائل الانتاج فى القطاعين العام والخاص وتبين

دور كل منهما ، وتؤكد سيطرة الشعب عليهما معا ، لأن الانتاج فى ظل الاشتراكية عملية اجتماعية تستهدف الرفاهية لمجموع الشعب واذا كان الميثاق قد رسم غايات هذه العملية فقد أوضح بدوره أساليب العمل ، لأن الغاية تحدد الوسيلة ، ويبقى أن تتحرك الجماهير بالوسائل المناسبة لتحقيق هذه الغايات . وهذا التحرك يقتضى التنظيم والا أصبح عملا عشوائيا من شأنه أن يثير الارتباك فى صفوف المتقدمين على طريق البناء الوطنى .

واذا كان التنظيم فى الاقتصاد يمثل أحد عناصر الانتاج ، فان التنظيم السياسى للعمل الاجتماعى على مستوى الأمة هو الواجهة الأساسية للعمل الثورى . وبناء على هذا فان التنظيمات الديموقراطية الجديدة فى الجمهورية العربية المتحدة هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا شعبيا ، كما أن الاشتراكية هى الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا تقدميا .

والاشتراكية لا يمكن أن تتحقق بمجرد الاتفاق على مبادىء أو تقريرها نظريا ومن أجل هذا حدد الميثاق القوى الاجتماعية المسئولة عن التقدم الاشتراكى وبين أن تحالفها ضرورى لانجاح الثورة الاجتماعية بعد أن استبعدت اللجنة التحضيرية من صفوف تلك القوى جميع من تتعارض مصالحهم مع مصالح الأغلبية الشعبية وكل من خانوا أو تهاونوا أو حاولوا عرقلة التقدم ، كما أوضح الميثاق أسس الحلول السلمية للتناقضات الطبقية بين القوى الاجتماعية ، ومهد لخلق الظروف الملائمة للتفاهم بين أطرافها حتى تتمكن من تطبيق الميثاق وتضمن سلامة العمل الوطنى .

ومن ناحية أخرى فالتنظيم الشعبى ضرورة لسد الفراغ السياسى الذى نشأ عن الغاء الأجهزة السياسية بعد سقوط التحالف الرجعى بين الاقطاع والراسمالية وبدون هذا التنظيم تظل الجماهير عرضة للتضليل وتفتقر الى الاطار الذى تتحرك فى نطاقه ، والى القيادات التى تقودها فى مجال العمل وتحدد لكل مواطن دوره ومسئوليته وترشده بخبرتها كى يكون على وعى بهذه المسئولية . .

ومن هنا تتلاشى السلبية وينعدم التبرم وتذوب رواسب الماضى الذى انتزعنا أنفسنا من براثنه خلال السنوات التى مهدت للتطورات الجديدة ، فنحن فى مرحلة الثورة بالشعب وهى مكملة لمرحلة الثورة للشعب ولابد من تكوين التنظيمات التى تحمل أمانة العمل بطريقة جماعية بحيث تستطيع أن تفرض سيطرتها على ظروفها الجديدة وتندفع على طريق التقدم .

ولذا كان منطقيا أن يبدأ المؤتمر الوطنى باقرار الميثاق ثم يناقش بعد ذلك أسس التنظيم الشعبى ليضع الديموقراطية السليمة موضع التنفيذ وتتخذ القواعد الشعبية أماكنها من العمل القيادى .

الاتحاد حصن للديموقراطية

واذا كانت الاشتراكية العربية ليست التزاما بنظريات جامدة ، فان الديموقراطية العربية ليست هى نقل واجهات دستورية شكلية . وكما جاءت الاشتراكية العربية فريدة فى نوعها بما تشتمل عليه من أسس روحية ومادية نابعة من صميم التجربة الوطنية كذلك جاءت الديموقراطية فى الاتحاد الاشتراكى ممثلة للارادة الشعبية نابعة من واقعها ومتلائمة مع ظروفها مكملة لاشتراكيتها .

ومن أجل هذا كله فان التنظيم الشعبى الجديد هو صورة للديموقراطية الجديدة التى لا تنفصل عن العدالة الاجتماعية ، وهذه أهم الأسس التى تقوم عليها فكرة الاتحاد الاشتراكى العربى

أولا : العدالة الاجتماعية

الحقوق السياسية للمواطن مرتبطة بحقوقه الاقتصادية والاجتماعية فهو لا يمكنه أن يمارس الديموقراطية الا اذا تحرر من الاستغلال فى جميع صوره ، وأصبح حقه المستمد من وجوده وانسانيته فى ثروة وطنه وخيراته سبيلا يخلصه من الخوف والقلق وبهذا تسقط جميع القيود التى حالت دون قيام الديموقراطية السليمة

ان المظهر السياسى للديموقراطية لم يعد كافيا ولا مقنعا ومن الضرورى أن تكون الحرية الديموقراطية ضمانا للمواطن وحصنا يحميه من السيطرة والاستغلال . وعلى هذا فالمبدأ الذى يؤاخى بين الديموقراطية والعدالة الاجتماعية هو الأساس الأول للعمل الوطنى وللتنظيم الشعبى الجديد . الذى يضمن التحرر من الاستغلال واتاحة الفرص المتكافئة للجميع فى مجال العمل والترقى والقضاء على الخوف والقلق بضمان العمل وبالرعاية الاجتماعية الشاملة .

ثانيا : السيادة لمجموع الشعب

ان التنظيم الشعبى الجديد يؤكد سيادة الشعب ويضع السلطة كلها فى يده ، ويكرس هذه السيادة والسلطة لخدمة الأهداف المشتركة لمجموع فئاته . ان ديموقراطية الاتحاد الاشتراكى لا يمكن ان تتحقق فى ظل سيطرة طبقة من الطبقات وانما تتحقق لسيادة مجموع الشعب لأن الوقوع تحت سيطرة طبقة واحدة من شانه أن يفقد الديموقراطية قيمتها الحقيقية

ثالثا : التحالف الوطنى

هذه الديموقراطية اذن ترفض دكتاتورية الطبقة أيا كان لونها ولهذا فهى تقوم على تحالف جميع فئات الشعب من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ورأسماليين غير مستغلين من أجل تصفية التناقضات بين هذه الطبقات سلميا وتذويب الفوارق بينها ، وهذا كله يؤدى الى تقارب فكرى واندماج بين أطراف التحالف ويسهم فى تدعيم الوحدة الوطنية التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى وتضمن استمرار وجوده وتطوره فى خدمة الأهداف الوطنية بالانتخاب الحر المباشر وبضمان نصف المقاعد للعمال والفلاحين على أساس انهم الأغلبية التى عانت من الحرمان فى الماضى وبتأكيد سلطة المجالس الشعبية المنتخبة على أجهزة الدولة وبخلق جهاز سياسى جديد داخل الاتحاد الاشتراكى ليتولى مهمة القيادة والتوعية وبتطبيق مبدأ القيادة الجماعية لتكون عاصما من جموح الفرد .

رابعا : التنظيمات الشعبية

تقوم النقابات العمالية والتنظيمات التعاونية باعتبارها الهيئات الممثلة للاغلبية الشعبية بدورها الفعال فى التمكين للديموقراطية وفى تنفيذ خطة التنمية والسهر على حماية مكاسب الشعب وتغذى الاتحاد الاشتراكى بالعناصر الصالحة للعمل الوطنى .

وعلى هذه التنظيمات العمالية والتعاونية أن تطور نفسها لتصبح جمعيات علمية ومنظمات فكرية لهذا الاتحاد وتضع امكانياتها فى خدمة المجتمع بجميع قطاعاته وحينئذ يتم التقارب بين الفئات العاملة والاحساس بفكرة المساواة .

خامسا : النقد والحريات العامة

تقوم ديموقراطية الاتحاد الاشتراكى على أساس النقد والنقد الذاتى باعتبار ذلك ضمانا للحرية وحائلا دون تسرب العناصر الرجعية الى الاتحاد . والنقد هو ابراز المحاسن والمساوىء واقتراح علاج للمشاكل

أما النقد الذاتى فيقوم به الشخص نفسه وهو لون من الرجوع الى الحق والاعتراف الشريف بالواقع من أجل تقدم العمل الاشتراكى دون خداع أو سكوت على أخطاء لا يتيسر اكتشافها بسهولة وفى الحال الا لأولئك الذين وقعوا فيها . وبالاضافة الى هذا فان الحريات العامة مكفولة لجميع المواطنين كما أن ملكية الاتحاد الاشتراكى للصحافة تجعل منها اداة للتعبير السليم عن راى الشعب ومشاكله وامتدادا لحرية ارادته .

سادسا : المفاهيم الثورية

ان المفاهيم المنحدرة من عهود الاقطاع والاستغلال واللوائح القديمة التى وضعت فى ظل الاستعمار ليست مما يناسب الأوضاع الجديدة للمجتمع الاشتراكى . لأنها لم تعد قادرة على خدمة ديموقراطية الشعب كله .

ولذا فان فرض المفاهيم الثورية وتغيير اللوائح ونظم الادارة وصياغة المناهج والقوانين هى من المهام الرئيسية للقيادات الشعبية واجهزة الدولة فى ظل الاتحاد الاشتراكى الذى يعكس وجوده لونا جديدا من العلاقات والأفكار تحقق العدالة والديمقراطية فى ربوع الوطن الاشتراكى

التجربة الجديدة

ومن أجل هذا كله فان الاتحاد الاشتراكى العربى يختلف اختلافا جذريا عن التنظيمات السياسية التى سبقت قيام ثورة ١٩٥٢ من حيث انها كانت تخدم مصالح طبقية ، كما يختلف بدوره عن التنظيمات التى أعقبت قيام تلك الثورة لسببين :

١ ــ أن تكوينه يجرى بعد اقرار الميثاق دليل العمل الثورى ومحور التجمع الشعبى

٢ ــ انه يستبعد من صفوفه الظروف والعناصر التى تسللت الى الاتحاد القومى وحاولت افساده

ان وضوح الهدف وعزل الرجعية والانتهازية يفتحان الطريق أمام تجربة الاتحاد الاشتراكى لتبلغ أهدافها بنجاح كما أن الدروس المستقاة من الماضى والضمانات الديموقراطية الجديدة تهيىء الأرض الصالحة لقيام التحالف الوطنى داخل الاتحاد الاشتراكى لكى يصبح اطارا سياسيا للعمل الجماهيرى وتنظيما ديموقراطيا وتجسيدا حيا لسلطة الشعب ودرعا حاميا لمكاسبه .

وهذه مسئولية كبرى تفرض على القيادات الشعبية ان تثبت مقدرتها وكفاءتها فى تكوين التنظيم والمحافظة على مبادئه ولتحقيق هذه الغاية فان عضوية الاتحاد تكليف بالخدمة للقادرين على الوفاء بها لتحقيق الديموقراطية السليمة والقضاء على رواسب التفكير الرجعى وتصفية الأساليب المتخلفة ومراقبة الأجهزة التنفيذية وتاكيد سلطة الشعب والتوعية بالمبادىء الاشتراكية وتاكيد مبدأ القيادة الجماعية .

ان اكبر ضمان لنجاح التنظيم الجديد هو وضوح الأهداف الاجتماعية ووسائل تحقيقها فى اطار الوحدة الوطنية ، وفتح باب الحرية لتصارع الآراء ثم الخضوع لرأى الأغلبية . وسوف يحاول اعداؤنا أن يشغلونا بمعارك مفتعلة كى يعطلوا أعمالنا الثوريةالديموقراطية وعلينا ألا نصغى لعواء الكلاب ونحن نحدوا قافلتنا الاشتراكية . بيد أن اخطر ما يواجهنا هى رواسب الماضى فى نفوسنا ، مجموعة الانطباعات والمفاهيم التى نجمت عن الأوضاع الشاذة قبل عام ١٩٥٢ فحفرت فى نفوس الكثيرين آلاما حادة وغرست بذور اللامبالاة والسلبية والخنوع لدى آخرين فتكونت فى أذهانهم فكرة مشوهة عن الديموقراطية ..

نحن والاتحاد

ان هذه الرواسب العقيمة التى تكونت فى النفوس على فترات طويلة أصبح لها جذور فى سلوك بعض المواطنين وفى اتجاهاتهم الفكرية ولقد عانينا منها حتى وقتنا هذا ، وان ازالة هذه الرواسب بالتوعية والتربية السليمة وبممارسة الأساليب الديموقراطية فى العمل والقيادة لهى من أكبر وأشق المهام التى يضطلع بها الاتحاد الاشتراكى العربى بوصفه التنظيم الجماهيرى الذى يتعين عليه تصحيح أوزار الماضى وفتح الطريق للمستقبل المرموق

وان واجبنا الوطنى فى هذه المرحلة ليقضى بان نهيىء لهذه التجربة كل امكانيات النجاح ونحن نتطلع بانظارنا الى تنظيم شعبى تتلاشى فيه الرواسب والعقد التى خلفها الاستعمار وحكم الرجعية ، وتمارس من خلاله الحرية والديموقراطية وتتحقق فى ظلاله العدالة الاجتماعية

ان الاتحاد الاشتراكى العربى بفضل الوعى والاخلاص والرغبة العميقة فى التقدم وحسن التنظيم والمباداة الجماعية لشعبنا سيجعلنا اكثر قدرة على ان نعيد صنع الحياة على ارضنا ..

.. ولقد عقدنا على ذلك عزمنا .

من فضائل الصوم

الأستاذ محمد كامل شحاته

تهدف التعاليم الدينية وتقصد الشرائع السماوية دائما الى تهذيب النفوس وصقلها والسمو بها الى القمة فى الكمال ، وتلبسها ثوب الصفات الكريمة التى لا تلبث أن تكون صاحبة السلطان على الانسان وتدفع به الى فعل الجميل ، والى التحلى بكل ما هو حسن ، وتوجهه وجهة الخير ، وتباعد بينه وبين اقتراف الشر ومباشرة الرجس والالمام بالقبيح من الأعمال ..

من ذلك نجد الصوم .. وهو أحد الأركان التى بنى عليها الاسلام ، عبادة حرمان اجبارى فرضته الشريعة الاسلامية على الناس ليتساوى الجميع فى بواطنهم سواء منهم من ملك ، ومن لم يملك .. ولعلنا نلمس فى ذلك الاشتراكية الحقة (المساواة) ، وما هو أجل من ذلك وأعظم أنه لم يفرض على المسلمين فقط بل فرضته الشرائع التى سبقت الاسلام .. **قال تعالى : «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »** . ولعل ذلك لما فيه من منافع جمة .. روحية وجسمية .. فهو تهذيب للنفس ، وسمو بها الى مصاف الذين لا يأكلون ولا يشربون وانما طعامهم وشرابهم تقوى الله .. ألا وهم الملائكة حيث غذاء أرواحهم مراقبة الله ، ودوام عبادته ، والاخلاص فى تقواه ، فاذا ما سمت النفس الانسانية الى هذه الذروة من الشفافية ، واستطاعت أن تمسك نفسها فترة الصوم — من الفجر الى غروب الشمس — عن الأكل والشرب وما اعتادته ، مما هو حلال فى غير وقت الصوم وما تشتهيه من متاع ، سما الانسان الصائم الى هذه الدرجة واستطاع ان يتخلص من الشهوات المباحة فلا يتناول طعاما ولا شرابا علانية ولا خفية ، ولا يمتع نفسه مما هو حلال فى غير وقت الصوم ، ويكون قصده من هذا الامتناع .. هو امتثال أمر الله ، ورعاية أحكام الشريعة الاسلامية ، وبغية نيل رضى ربه ... من كان هذا مأربه فلا شك أن من السهل عليه أن يضبط نفسه عما هو حرام فى غير وقت الصوم كما هو حرام فى وقت الصوم . لأن من تمكن من نفسه الأمارة ومنعها من مباشرة الحلال فترة من الزمن حيا فى الرضى

السماوى سيكون على منعها من الحرام أقدر .. الحرام الذى سينزل به الغضب بدلا من الرضى .

من هذا نرى أن الصوم يعلم الناس كيف يترفعون عن مظاهر الحيوانية التى كل همها الأكل والشرب ومباشرة الشهوات والانغماس فى المنكرات ، وينمى فيهم فضيلة الأمانة لأن الصائم رقيب على نفسه فى صومه .. أى أمين فيه ، فلا رياء ولا نفاق فى الصوم وجزاء الصوم لا يقدر بوزن أو كيل ولا يمكن أن تدخل فيه معايير الحساب ، لأن الله سبحانه وتعالى أسند جزاء الصوم الى نفسه ، ونحن نعلم تمام العلم كيف يجازى الكريم من البشر بسخاء غير مقدر فى نظر البعض ، فما بالكم اذا كان المجازى هو الله سبحانه وتعالى .. فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه عز وجل :

« كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » **فعلينا أن نقف وقفة تفكير وتدبر عند قول** الحديث **(لى)** كيف نقدم هذه التحية لله سبحانه وتعالى وقد طلبها منا ؟ قطعا نقية بيضاء مزخرفة بالصدقة، متحلية بتلاوة القرآن، متزينة بالكلم الطيب . ثم اذا تأملنا قول الحديث **(وأنا أجزى به)** حق لنا أن نفرح ونطرب لأنها جائزة غير مقدرة لا يقدر عليها البشر أسندها الرب الى نفسه جلت قدرته .

ثم ان الصوم اشعار للنفوس بطريقة عملية ظاهرة بأن الحياة انما تستقيم بين الناس ويسود بينهم التعاطف ، والتراحم حينما يتساوى الجميع فى الشعور الواحد لا حين يختلفون فيه ، وحين يتعاطفون باحساس الألم الواحد لا حين يتنازعون فيه باحساس الأهواء المتعددة . وبذلك يحجبها عن الانهماك فى متع الدنيا وزخارفها ، ويجعل الانسان فى قوة روحية تهزم طغيان المادية وتنتصر عليه ، وتمكنه من الغلبة على سلطان الأنانية واعدامها جاعلا الغلبة والبطش والقوة والسلطان للفضائل الطيبة ، والمعنويات السامية ، وبذلك يمكن للاخاء الانسانى ، الذى ينتج المحبة فى الله تفرقا واجتماعا ، ويحقق التعاون بين الأفراد والجماعات ، الذى نحن وكل الأمم فى حاجة اليه ، وما اتجاه ثورتنا الفتية الى التعاون فى مختلف شعب الانتاج والاستهلاك الا احدى نتائج الاخاء الانسانى الذى هو ثمرة من ثمار الصوم ، حيث ان فقدان التعاون يوقع الأمم فى أزمات لا قبل لهم بها فتظل تصرخ من شدة ضغط هذه الأزمات وتتلمس الخلاص ولا خلاص ما دام لا تعاون ، ولا تعاون ما دام لا محبة ، ولا محبة اذا اختلف الاحساس بين بنى البشر وتعددت الأهواء .. فهذه المعانى الجميلة نلمسها .. ونحسها فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابو هريرة : **« الصيام جنة ـ وقاية ـ فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : انى صائم مرتين .. »**

لأن هذا القول الشريف يقضى على ما تحمل النفوس من الاحقاد والضغائن ، وما تتسم به من بطر وفخر ، كما يمنعها من الميل مع الهوى ، وحب التجبر والطغيان .

كما نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا صورة محسة لمكانة الصائم عند الله ، وذلك بعقد مقارنة تتحكم فيها حاسة الشم فنحن نستطيب رائحة المسك، ونشمئز وننفر من الرائحة الكريهة على العكس تماما من استطابتنا وميلنا الى الرائحة الطيبة التى أمثلها وأفضلها المسك ، فنسمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابو هريرة قوله **« والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى . الصيام لى وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها »** .

وما أجمل من أن نرى الصوم يعصم الانسان من الفحش ومنكر القول ، حيث ان المراد منه ليس هو الامتناع عن الأكل والشرب فقط ، بل الأهم من ذلك ترك الفحش من الكلام والبعد عن القبيح منه ، والا اذا شاب الصوم شىء من ذلك فما هو الا ضرب من التعذيب والحرمان ، فقد قال الرسول

صلى الله عليه وسلم : ((**من لم يدع قـول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**)) حقا ان الصوم خير استاذ للانسان يعلمه الفضيلة ويعوده الاخلاص ويدربه على الجد والحزم وقوة العزيمة ، ويجعل الصبر ديدنه فيتخلق به فى كل شئونه فلا يجزع عند الشدة ، بل يقابل العسر بمثل ما يقابل به اليسر وفى ذلك كمال الايمان وقوة اليقين قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((**الصوم نصف الصبر والصبر نصف الايمان**))

وفى ايجاب الصوم حث للاغنياء على رحمة الفقراء وسد جوعاتهم لأن الفتى بصومه قد عانى من شدة الجوع فترة الصوم – من الفجر حتى الغروب – فحدثته نفسه .. وما حال من هم فى جوع بغير صوم وفى مدة اكبر وبلا امل فى الحصول على المشهيات التى تقدم له عند الفطور ؟ وهنا يميل جانب الخير من نفسه ويقوم بالعطف على الفقراء ويكتسب صفة الكرم التى تحلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت اظهر ما فيه فى رمضان ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما : ((**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة**))

وأخيرا ان شهر رمضان كان أفضل من كل الشهور لميزات كثيرة ومتعددة ، ويكفى أن الصوم يبعث على الاحسان والرحمة ، ويمرن النفس على الجلد والصبر ، والقرآن هدى ونور يحث على الرحمة والاحسان فى المعاملة والمعاشرة فتجمع بينهما صفات متعددة وقد تشرف رمضان ببدء نزول القرآن فكان رمضان احياء لذكرى نزول القرآن الكريم ، وبما يفخر به رمضان على سائر الشهور ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ليس من بينها رمضان وليس مقام المقال ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر

روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم :
((**اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب جهنم ، وصفدت الشياطين ونادى مناد : يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر**))

دور الشباب في الاتحاد الاشتراكي العربي

الأستاذ محمد فتحى محمود

يخطو مجتمعنا العربى فى الوقت الحاضر خطوات ثابتة نحو تحقيق أهدافه الكبرى ، تلك الأهداف التى تحددت فى تحقيق الكفاية والعدل ، وليس المقصود بالكفاية أن يكفى المجتمع حاجاته المادية وحدها ، وانما يجب أن يعنى بالثروة البشرية وأن يبذل الاهتمام الكبير باعدادها ، ويتوقف تحقيق المجتمع لما وضع لنفسه من اهداف على ما يدخره من قوى انسانية فى مختلف الميادين

والشباب هم عماد هذه القوى الانسانية ، وذلك لأنهم يملكون من الطاقة والحيوية ما يبعث فى المجتمع النشاط ويمنحه القدرة الخلاقة المبدعة . فالشباب هم قوة الدفع التى تحفز سائر القوى على دفع عجلة الاصلاح والتقدم .

ولا يمكن لمجتمع ما أن يحقق أهدافه ما لم يكن للشباب دور فعال فى تحقيق هذه الأهداف .

ووعى الشباب لنفسه ولأهدافه ولمثل المجتمع وتطلعاته الى المستقبل عامل هام فى الوصول بصورة صحيحة الى هذه المثل وتلك الأهداف ، وما لم يكن الشباب مدركا لأهدافه فى العمل الاجتماعى فان هذا العمل لا يمكن أن يكون سليما متكاملا لأن العنصر الحيوى أصبح بذلك مفقودا فيه ، على أن الشباب بطاقاته ذخيرة اجتماعية كبرى فى عملية الاصلاح والتطور .

وفى مجتمعنا العربى نجد أن دعوة الاشتراكية اصبحت حقيقة واقعية ، خرجت

من مرحلة النظرية والبحث اللغوى والاقتصادى الى مرحلة التطبيق العملى ، فقد ترجمت قوى الاصلاح تلك النظريات الى حقائق وقوانين أخذت طريقها الى ميدان التنفيذ ، فالثورة الاشتراكية الكبرى التى تناولت مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تؤتى ثمارها اذا أسهمت فيها سواعد الشباب الفتية وكانت سندها الأكبر ودعامتها القوية . ويقابل ذلك أن يدرك الشباب مسئولياته الكبرى فى تركيز أسس هذه الثورة .

ومسئوليات الشباب فى هذا السبيل لا تحدها حدود معينة فالشباب بما له من وعى وادراك وفهم وبما يملك من حيوية وقوة مسئول عن تعميق آثار هذه الثورة فى أذهان الناس وان ما لديه من الأسلحة القوية خير معين على نجاحه فى هذه المهمة ، فهو فى صفاء ذهنه وتطلع روحه وحماسه قادر على الشرح والتفسير لمبادىء الثورة وخطوط الاصلاح ومداه .

وينجح الشباب فى ذلك اذا جعل من الادراك السليم وسيلته واتخذ من الميثاق الوطنى هاديا له فى تحقيق أهدافه .

وميثاقنا الوطنى : هو دستور العمل فى هذه المرحلة التطورية الهامة ، كما أن فيه تركيزا واضحا لمبادئنا وأهدافنا ، وما مر به مجتمعنا على مدى التاريخ البعيد والقريب ولقد رسم الميثاق خطوط سيرنا وأوضح طريق هذا السير وضوحا لا لبس فيه ولا غموض ، كما رسم أسس العمل واتخذ من الاشتراكية حلا واضحا لمختلف مشكلاتنا فى سائر الميادين الاجتماعية ، وأبرز بوضوح أن شعبنا يملك من ايمانه بالله وبالوطن ما يمكنه من خلق حياته من جديد خلقا نابعا من دينه ومن تقاليده ومن قدراته وعلى أساس احتياجاته

وتتوقف ترجمة هذه المبادىء والأفكار الى عمل جاد مثمر على مدى فهم الشباب لها ، ولن يتوقف تحقيق ذلك الأمر على حاضر مجتمعنا فحسب بل ان ذلك يتعدى الحاضر الى المستقبل بآماله وأهدافه . ومسئولية الشباب نحو الأجيال المقبلة مسئولية ضخمة غير محدودة . **فالشباب مسئول عن أن يكون قدوة صالحة من ناحية وهو كذلك مسئول عن أن يكون هاديا ومرشدا من ناحية أخرى ، ولا يتحقق الارشاد ولا تتم أسس الهداية ومبادئها بالكلام فحسب ، وانما بأن يخلق الشباب من نفسه عنصرا مثقفا واعيا يتخذ دور القائد ويتمثله ، ولابد من أن يعد هذا الشباب لهذا الدور القيادى اعدادا سليما وقويا .**

ولن يتم الاعداد للقيادة الصالحة الا اذا كانت بذورها صالحة .. ومن فضل الله أن بذور القيادة الصالحة تتوفر فى كثير من شباب هذا المجتمع . وليست عملية الاعداد متوقفة على نجاح الدولة أو الكلية أو الجامعة فى اعداد الشباب بما تتخذ من وسائل وانما يتوقف نجاح هذه العملية على الشباب أنفسهم .

فاستعداد الشباب للعمل وأخذه أمور الاصلاح مأخذ الجد والحكمة والاخلاص فى الأداء لا تقل فى قوتها أو أثرها عن كل ما يتمتع به الشباب من حيوية وطاقات وقوى دافعة . واذا كنا لا نستطيع أن نخلى الشباب من مسئولياته فى اعداد نفسه ، فكذلك لا يمكن أن ننكر أثر القيادات الفكرية والعملية والروحية الأخرى فى نجاح هذا الاعداد وهى لذلك مسئولة أيضا ، فالأثر متبادل والنتيجة ذات وسائل متعددة لا ينفرد بها طرف دون آخر

واذا فالشباب فى هذه المرحلة : مسئول عن نفسه كما هو مسئول عن غيره من الهيئات والمؤسسات وهذه المسئولية عن النفس — ونحن اذ نؤكدها للشباب — لهى ابلغ صور احترام الذات وتأكيدها . وليست المسئولية مسئولية مادية فحسب بل هى مسئولية اجتماعية وخلقية كذلك .

وكما أن الشباب يجب أن يحافظ على قيم المجتمع وأخلاقياته ومثله فهو كذلك مسئول عن طاقاته الجسمية والمادية ، لأن الشباب بكل امكانياته ثروة ، واذا بدد جزءا

من امكانياته فانه يبدد جزءا من هذه الثروة وبذلك يفقد المجتمع عنصرا هاما من عناصر ثروته ويحافظ الشباب على ثروته الجسمية بوسائل رياضية معروفة، والاتحاد الاشتراكى يجب أن يراعى فى تخطيط أجهزته ما يحقق حفظ هذه الثروة الاجتماعية الهامـــة بكل طاقاتها المادية والمعنوية والخلقية والروحية .

ومن نافلة القول أن نذكر : أن العلم والبحث العلمى والمعرفة بكافة نواحيها من أهم ما يجب أن ينصرف اليه اهتمام الشباب ، ذلك لأن أى تغيير فى المجتمع لا يمكن أن يتحقق ما لم يقم على أسس علمية سليمة ، وعلى معرفة صحيحة والشباب أقدر من غيره على أن يبذل جهـدا بناء وخلاقا فى الكشف والبحث والتمحيص لما تركه السابقون من آثار علمية ولما يمكـن الوصول اليه من نظريات وقوانين . وان للامة العربية ماضيا مجيدا وتراثا قويا ، وهى حين بنته كانت أصيلة فيه، وكان نابعا من ذاتها ومن تقاليدها ، ونحن يجب أن نكشف عن هذا الماضى ونزيل عنه كل ما علق به أو كل ما أراد لـه **أعداء الأمة العربية من اخفاء لتراثهـــا وحجب لمجدها وماضيها ، وعلى أساس هذا الماضى يجب أن نشيد صرح الحاضر وأن نضع لبنات المستقبل .**

ولن يستمر الجيل الحـــالى فى دوره الى الأبد ، فلابد أن يأتى يوم يسلم فيه للشباب راية العمل فهذه طبيعة الأشياء ، ولذلك يجب أن يعد الشباب نفسه لتحمل مسئولياته فى القيادة الاجتماعية لمختلف نواحى النشاط الاجتماعى فى المجتمع ويتحقق ذلك عن طريق الممارسة العملية والتدريب على القيادات فى مستوياتها المختلفة . وأجهزة الاتحـــاد الاشتراكى لابد أنها واضعة ذلك نصب عينيها وهو فى المقام الأول من اهتمامها ، فان مـــا تبذله الدولة الآن من تربية الشباب واعداده وتدريبه على القيادة الجماعية فى المـدارس والمعاهد والجامعات لهو مظهر لتقدير الدولة لضرورة واعداد الشباب وتدريبه تدريبا عمليا على تحمل مسئوليات القيادة حين تلقى عليه وهذا يجعلنا نطمئن لحاضرنا ونتنبأ بما سوف يكون عليه مستقبل وطننا من تقدم ونجاح .

العلم

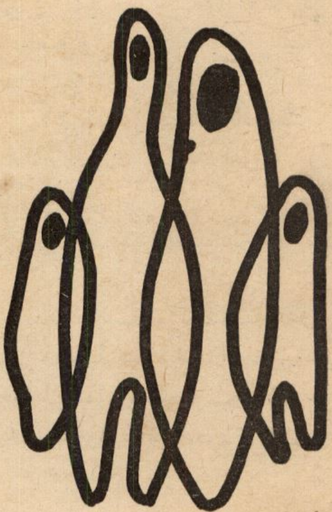

والدين

الدكتور زكريا العصفوري

«خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ»
صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

كلنا يعرف أن الله تعالى خلق الانسان من طين ولقد تردد ذكر ذلك فى القرآن الكريم فقال تعالى ((**خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار**)) وسمع بذلك العرب وسمعه غيرهم من الأمم وصدقه البعض ولكن هل أدركوا ذلك عن معرفة ويقين ؟ هل فهموا كيف حدث ذلك ؟ لقد جعل الله تعالى ((**لكل شىء سببا**)) فهل الطين يشبه تركيب جسم الانسان الحى ؟

لقد ذكر القرآن الكريم تلك الآية وغيرها منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وجاءت الكتب السماوية بنفس المعانى قبل القرآن من ازمان سحيقة وكلها تؤكد أن الله تعالى خلق الانسان من طين ـ وقال الرسول الكريم ((**كلكم لآدم وآدم من تراب**)) مبينا للناس أنهم عباد رب واحد وأبناء آدم واحد وأنهم كلهم من تراب بسيط وكلهم من نفس التراب ولا فضل لأسود على أبيض وعلى لعربى على عجمى فكلهم من نفس التراب ومن نفس الطين البسيط فى مظهره .

مضت القرون بالعشرات وبالمئات والانسان يعرف أنه من طين . وتقدمت العلوم وتشعبت وانشغل ملايين العلماء والأطباء بالبحث والدراسة منذ آلاف السنين ((**ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**)) وهذا ماطلبه الله تعالى منا حتى نؤمن به عن عقيدة ويقين ـ ان نتفكر فى خلقه وأن ندرس بديع كونه حتى يحسن ايماننا به وبقدرته ـ لا أن نؤمن به دون تفكير أو دراسة . فماذا عرف العلماء بعد دراساتهم آلاف السنين ؟ لقد عرفوا الكثير وأدركو سر خلق الله تعالى لنا من الطين ومن التراب .

ولو وقفنا على ضفة أحد الأنهار كالنيل الخالد فاننا نرى الماء ينساب وعلى جانبيه ضفاف من الطين ولقد حملت مياه النهر هذا الطين معها من منابعه وبالتدريج ترسب الطين فى قاع النهر على ضفافه ونرى مياه النهر أثناء الفيضان لونها بلون الطمى الذى يترسب من مياهه فيزيد الأرض خصوبة

وانتعاشا . وتمر الأيام ويترسب الطمى من الماء ليصفو حتى اذا اكتمل الترسيب أصبح الماء شفافا لاشائبة فيه .

تنزل مياه الأمطار غزيرة فوق الجبال فتنحت الصخور وتحمل معها الى مجرى النهر قطعا من الصخور ومن الحجارة التى تتدفق مع الماء الى روافد النهر واحباسه العليا وتتفتت قطع الصخور بالتدريج سواء باحتكاكها مع بعضها أو بتعرضها للحرارة والبرودة كل نهار وكل ليل بفعل حرارة الشمس وبرودة الجو فى الليل . ومع استمرار جريان مياه النهر آلاف الكيلومترات يتم تفتيت قطع الصخور الى ذرات رفيعة تختلط تماما بالماء الذى يصل أيام الفيضان فتعكر صفاءه . وما ان تنساب مياه الفيضان على الأراضى الزراعية حتى تترسب هذه الذرات الرفيعة العالقة بها وتتراكم فوق بعضها وتغطى رمال الصحراء بالطمى الذى يحول أرض الصحراء الميتة الى جنات خضر ينعم الانسان بما فيها من طيب الثمرات ولو اخذنا قطعة من هذا الطين ودرسناها لوجدنا أنها تحتوى على مواد معدنية واخرى عضوية أما المواد المعدنية فهى تمثل الحديد والكالسيوم والفسفور والمغنسيوم والنحاس واليورانيوم وغيرها . وكلها آتية من الصخور الصلبة فى جبال الحبشة والسودان يحملها النيل الى ضفافه والى جناته الخضراء كل عام منذ ملايين السنين أما المواد العضوية الموجودة فى الطين فأساسها نباتات دقيقة وحيوانات صغيرة تفتتت وتحللت مع الوقت وامتزجت مع المواد المعدنية الموجودة فى الطين .

هذا هو تركيب الطين ولكن ماهى العلاقة بين تركيب الطين وتركيب أجسام الناس ؟ ان التركيب واحد والمكونات واحدة وصدق الله وصدق رسوله ـ فان المواد المعدنية والمواد العضوية التى تكون الطين ينمو عليها النبات وبه يتغذى الانسان وتنتقل المعادن والمواد العضوية الى جسم الانسان لينمو الطفل ويكتمل الشاب من الطين . لاحظ الانسان منذ القدم ان مياه الفيضان تحمل الى الصحراء القاحلة الحياة والخصب اذ عند مجيئه ينمو الزرع ويسمن الضرع ويتغذى الناس بهذا الخير ـ **« كلوا من طيبات مارزقناكم »** ـ والسر فى ذلك هو الطين الذى أطماه النهر ساعة الفيضان فأسرع الى النبات يزيد خضرته والى الحيوان يزيد شحمه ولحمه ـ والانسان يتغذى على النبات ويتغذى على الحيوان ويهضم الانسان النبات والحيوان وتدخل فى جسمه نفس ذرات الطين التى حملها النهر من منبعه الى مصبه ـ فتكون أنسجة جسمه وعظامه ودمه ولحمه وشحمه ولقد تابع العلماء والأطباء دراساتهم الدقيقة لمعرفة أسرار الجسم البشرى ومكوناته واتضح انها نفس مكونات الطين ـ فالحديد والكلسيوم والمغنسيوم والفسفور وغيرها كلها تدخل فى جسم الانسان ولو قل أحدهما لأصيب الجسم بالضرر والمرض .

فالحديد من أهم مكونات القشرة الأرضية وتحمله مياه الأمطار الى الأنهار ليدخل فى تركيب الطين وتحمله الخضراوات والفاكهة الى جسم الانسان وكثير من النباتات غنية بالحديد مثل السبانخ والطماطم ولم تحصل عليه هذه النباتات الا من الأرض ولولا هذا الطين لضعفت هذه النباتات نفسها لأن الحديد له دخل هام فى حيوية هذا النبات ونشاطه ونموه ويتغذى الانسان على النباتات ولحوم الحيوانات والطيور والأسماك والأصداف وبها كلها نفس معادن الطين ومنها الحديد الذى يصل الى كرات الدم الحمراء فى جسم الانسان أو الحيوان ليحمل الأكسجين الى أنسجة الجسم ولولاه لتوقفت حياة الحيوان والانسان على السواء ولو قلت كمية الحديد فى دم الانسان فانه يصاب بقلة كمية الهيموجلوبين (وهو الذى يعطى الدم لونه الأحمر القانى) وتقل كرات الدم الحمراء فى الجسم ويمرض الانسان بفقر الدم ولا يشفى الانسان الا باعطائه الحديد سواء على هيئة شراب أو حبوب أو عصير فواكه وخضراوات أو لحوم الحيوانات واكبادها لأنها غنية بالحديد **« وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع**

للناس » ـ والكالسيوم أحد العناصر الهامة فى الطين ومنه يبنى الانسان منزله ـ بالأحجار والأسمنت والجير ـ كما تتكون منه العظام والأسنان واللآلىء والأظافر والحوافر والقرون لأنه يعطى الجسم الصلابة اللازمة .

وبدون العظام لايقوى الانسان أو الحيوان على الحركة وبدون الأسنان لايستطيع تمزيق الطعام ومضغه جيدا ليحسن هضمه وامتصاصه فى الجسم ـ والفسفور ضرورى لجسم الانسان والحيوان والنبات على السواء ودائما نراه ملازما للكالسيوم فى أحجار الجير والعظام والقرون والأظافر وكل زارع يعرف جيدا أهمية فوسفات الجير لتسميد الأرض ليزيد من غلة الفدان سواء كان ذلك خضراوات أو فاكهة فان كل نبات محتاج الى الفوسفور والكالسيوم لينمو ويثمر ـ والانسان والحيوان يتغذى كل منهما على هذه النباتات لينعم بما فيها من فوسفور وكالسيوم .

وهناك معادن أخرى مثل المغنسيوم والنحاس لها أهميتها فى جسم الانسان تصله أيضا من الطين ولها فضل كبير فى الحفاظ على حياته وصحته ونموه وشبابه . ولكى نثبت للقارىء صدق هذه الدراسات العلمية نقول ان بعض الناس يوصون بحرق أجسادهم ويتخلف عن ذلك رماد ـ هو نفس الرماد الذى يتخلف عن حرق قطعة من الخشب أو الفحم ومثله تماما الرماد الذى يتراكم فى طرف السيجارة عند تدخينها ـ فكل الأجسام الحية مثل الانسان والنبات والحيوان ـ بها مواد عضوية ومواد معدنية كما سبق أن ذكرنا وهى تشبه الى حد كبير تركيب الطين نفسه .

ولو حرقنا جسم كائن حى أو نبات ـ أو قطعة خشب وأصلها فرع شجرة ـ أو سيجارة وهى أوراق نبات الدخان ـ فان المادة العضوية تحترق وتتصاعد على هيئة دخان ـ أما المواد المعدنية ـ مثل الحديد والكالسيوم والفسفور والمغنسيوم والنحاس وغيرها ـ فانها لاتحترق ـ وتظل كما هى على هيئة رماد ـ مكون من المعادن التى ذكرناها متحدة مع الأكسجين الذى ساعد على الاحتراق والاشتعال ـ ولو درسنا هذا الرماد نجد أنه يمكن تحويله الى نفس هذه المعادن بعد ازالة الأكسجين منها بطرق كيمائية خاصة ـ وهذا مايحدث بالفعل ففى كثير من الجبال والصحارى رواسب معدنية للحديد والكالسيوم وغيرها من المعادن نستخرجها بكميات كبيرة وتدخل الى أفران شديدة الحرارة وباضافة الفحم اليها تنصهر وينزل منها الحديد الخام ـ

أيها المسلم هذا ملخص بسيط لقصة خلق الله للانسان من الطين وبعد اليوم تستطيع أن تدرك كيف خلقنا الله تعالى من « **صلصال كالفخار** » والى المرات القادمة ففيها كثير من الايضاحات ان شاء الله .

جاهلية

إسلامية

الأستاذ أحمد محمد بريري

لله در عصابة صاحبتهم
يوم الرصافة مثلهم لم يوجد
متقلدين صفائحا هندية
يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وغدا الرجال الثائرون كأنما
أبصارهم قطع الحديد الموقد

دولة بنى أمية عربية لحما ودما .. وان شئت أضف : وعصبا وعظما أو كما قال قائلهم : وانهم سادة الملوك ولا تصلح الا عليهم العرب فما المراد بمثل هذا الكلام الذى كان يقال قبل قيام الدولة العباسية وقبل ان تتأتى الموازنة بين دولة عربية وبين أخرى فارسية ..) . المراد أن الدولة الأموية انما كانت امتدادا لسنن الجاهلية التى أحيتها وزادتها قوة كما وكيفا .. لقد ألقى الاسلام العصبية القبلية وجمع العرب كلمة واحدة أو أمة واحدة يؤلفها اخوة أحرار متساوون . لا قرشى ولا قحطانى ، ولا عدنانى .. بل لا عربى ولا عجمى فسلمان الأصفر الفارسى وعلى بن ابى طالب القرشى الهاشمى اخوان لا يتمايزان. فالمواطن الصالح يمثل الحال المثالية التى يتنافس فيها المتنافسون .. ولا شىء آخر يفضل به انسان على آخر . فلما كانت الفتنة الكبرى وتمخضت « مرج راهط » عما تمخضت عنه اذا القبائل تعود سيرتها الأولى .. حمية وعصبية ابشع وأشنع مما كانتا أيام الجاهلية الأولى .. واذا كانت مواقع الجاهلية يلفلفها الغموض ويحيط بها الشك لأسباب ليس من همى أن أعرضها الآن فان مواقع الاسلام واضحة نقلت الينا صورها نقلا يكاد يكون أمينا تمام الأمانة اذا انت أغفلت التفصيلات التى ليست بذات بال فى الحقيقة افلم نترك الجحاف « يوم البشر » وقد بطش ببنى تغلب بطشته الكبرى ، هاهو ذا يحدثك عن عصابته : قبيلته أو جنوده الذين صاحبهم «يوم الرصافة » فهنالك أجمعوا أمرهم وعقدوا عقدهم متقلدين سيوفهم تلك الهندية..وانهم لثائرون حمر العيون كأنها قطع الحديد صهرته النار .

فلا عجب أن تكون الضربات قوية تترك قتلاها كأمس الدابر .. أو كأنهم لم يولدوا ، وتالله لقد فعلوها أو فجروها فجرة من فجرات التاريخ الكبرى .

ولكنهم ــ من حيث الظاهر ــ يحيون تحت ظل الدولة الاسلامية يدينون بالطاعة لرجل اسمه « الامام » أو « الخليفة » فى تلك الأمة

التى لا عصبية فيها ولا « قبلية » أو هذا — فى الأقل — هو المعقول فلا أقل من ان تتم الفصول فصول الرواية فى شكل يصون المظاهر فينفى الظاهر فى عيون الناس شيئا . مهيبا وقورا

حمل الجحاف التبعة وحده .. وفرق اصحابه الذين يتركون من ضربوا كأن لم يولد .. الا فرقة أو كتيبة تحرسه حتى يبلغ مأمنه فى بلاد الروم .. فهو فى الواقع لم يطرد كما زعم وانما اختفى المدة المعقولة كيما تهدأ الثائرة ثم يعود عزيزا كريما .. الا انه قبل أن يصل « الدرب » الذى قال فيه امرؤ القيس :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا .

يلحق به عبيدة بن همام التغلبى على رأس فرقة مقاتلة من قومه .. وكان صاحبنا الجحاف قد أعد للأمر عدته . فيكر على عبيدة وأصحابه ويهزمهم ويفرق الحرس الذى أبلغه مأمنه .. فها هو ذا قد تخطى « الحدود » وأصبح فى الروم . وتدعو تغلب الويل والثبور ويقول الأخطل .

لقد أوقع الجحاف بالبشر ومعه
الى الله منها المشتكى والمعول
فسائل بنى مروان ما بال ذمة
وحبل ضعيف لا يزال يوصل
فالا تغيرها قريش بملكها
يكن عن قريش مستراد ومزحل

انه لذمى يتسائل عن الذمة التى احكم ابرامها منزل الكتاب لا ريب فيه ورعاها صاحب الدعوة — صلى الله عليه وسلم — حق رعايتها .. ما بالها اصبحت حبلا باليا ما يزال يقطع ويوصل .) لقد اوقع الجحاف بالرجال بل بالنساء والأطفال .. أولئك الذين فجعهم بالبشر .. ان قريشا اذا لم تغير بحكمتها — بملكها — من هذه الحال .. فالله وجده محول الأحوال .. فاليه الشكوى وعليه المعول . أفتراها ذلة واستكانة . وخضوعا لولى الأمر هذا المفروض انه ذو حكمة أم تهديدا واستعلاء واعتزازا به سبحانه القاهر فوق عباده .

أم تراها كل أولئك مصوغا أجمل صياغة فى شعر عربى مبين يبرأ من التصنع والتكلف والتعمل .. ؟

يروى أن عبد الملك بن مروان حين انشده الأخطل هذا الشعر فقال « يكن عن قريش مستزاد ومزحل » قال : فالى اين يابن الـ .. قال الأخطل : الى الفار . قال أولى لك لو قلت غيرها .

وتمر الأيام وترى القيسية أن الوقت مناسب كى تكلم الخليفة فى شأن الجحاف ان يؤمنه .. ويلين عبد الملك ويتلكأ .. فيقال له : ان الجحاف لا يؤمن على المسلمين إن طال مقامه بالروم .. أفليس ذلك كلاما جديرا ان يقف عنده أصحاب التاريخ ويطيلوا الوقوف . .؟

الجحاف بن حكيم العربى القيسى لاجىء فى أوربا يحتمى بها ولا تجد عشيرته غضاضة فى أن تملأ أفواهها بهذا الرجس من القول : انهم لا يأمنونه على الأمة العربية وعلى المسلمين ان لم يتدارك الأمر أمير المؤمنين فيستدعيه معززا مكرما .

يقول لك صاحب الأغانى « ورأى عبد الملك انه ان تركهم على حالهم لم يحكم الأمر . فأمر الوليد بن عبد الملك فحمل الدماء التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب . وضمن الجحاف قتلى البشر .. والزمه اياها عقوبة له . فأدى الوليد الحمالات ولم يكن عند الجحاف ما حمل فلحق بالحجاج بالعراق سأله ما حمل لأنه من هوازن »

افلا تراها سمات جاهلية لا تمد بسبب الى الاسلام الذى ألزمهم كلمة التقوى .. أجل ولكن الذين كانوا احق بها واهلها ماتوا .. فنحن فى أيام « الملكية العضوض » والقبيلة العاقلة . ولا تحسبن انى محدثك عن « عقل القبيلة » اى رشدها وحكمتها وانما حديثى عن القبيلة العاقلة أعنى التى يلزمها العقل : وهو ثمن دم القتيل والتعبير عربى جاهلى قديم .. فدم القتيل يجف او يلعق باحدى وسيلتين اثنتين ولا ثالثة ، فأما احداها فهى « القود » أو الثأر : يقاد القاتل ليقتل قصاصا

.. فالقتل أنفى للقتل . وأما الثانيـــة فهى « العقل » أو بعبارة أوضح : الدية .

والسنة الموروثة مذ كانت الجاهلية الأولى ، ان الدية تلتزمها القبيلة لأن الفرد وحـــده لا يستطيع اداءها .. وبما ان الفرد ملك القبيلة - يحمى حماها حتى ليجود بروحه فى هـذه السبيل فهى كذلك ملكه من حيث انهـــا تؤدى عنه ما لا يستطيع فردا ان يؤديه ..ان فى وسعه الاداء اذا كانت الخطـة الأولى - القود - يعاد فيقتل وكفى الله القبيلتين شر القتال .. فأما العقل فهو غير عاقل لأنـه غير مستطيع .. ولكن القبيلة مستطيعة انتجمع مائة ناقة يأخذها ورثة القتيل « المعقول » أى المدفوع ثمن دمه .. فالقبيلة عاقلة ما فى ذلك شك فكيف يراد الجحاف - وهو فرد - على ان يعقل وحده دماء قتلى «البشر» التى أشكل منها ماء دجلة انه ليكلف المستحيل..ولا أحد يكلف المستحيل .. فتلك قاعدة تعرفها سنن البادية قبل قوانين « روما » وقبل الشـرائع الحديثة .. ؟

واقع الأمر ان الجحاف لم يكلف مستحيلا ولا واجبا ولا جائزا - فتلك أقسام الحـكم العقلى كما يقول أصحاب الكلام - وانما هى حيلة .. وليست بارعة ، بل مكشوفة ساذجة .. فالدولة هى التى ستقوم مقام الجحـاف او مقام قبيلته فتعقل عنها دماء قتلى «البشر» وما كلف صاحبنا الا رحلة ترفيهيـــة الى العراق حيث يرى هنالك ابن عمه الكبيـر : الحجاج بن يوسف فهو ثم الوالى أو «النقيب» ويا بخت من كان الوالى أو النقيب ابن عمه .

كيف لقى الجحاف ابن العم ..؟ وكيف جرى الحديث بينهما او قضى اللبانة وحقق الأمل .. ؟ ليكن ذلك موضوع حديثنا القادم ان شاء الله .

اشتراكيتنا رحمة لأنها أكثر من العدل

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

من مميزات الدين الاسلامى على جميع الأديان أنه دين دولة . فكما تكلم عن الجنة والنار والحساب والعقاب ، تكلم كذلك عن السياسة والاقتصاد والبيع والهبة والمعاملات الأخرى .

وتفكير الاسلام الاقتصادى والسياسى والاجتماعى يعتبر ثورة فى اتجاهات الاسلام .

وهدف الاسلام من وراء اتجاهاته الاقتصادية ليس فقط الاشتراكية والعدالة الاجتماعية ، وانما هناك هدف ابعد من ذلك هو الحب الذى اسسته فى النفوس هذه العدالة الاجتماعية بين الناس جميعا .

قبل الاسلام كان هناك اقطاع وارض ورقيق .. كانت هناك ضرائب يدفعها الفقير للغنى من جهده ومن ماله .. فان عجز ولم يستطع فمن دمه .

قبل الاسلام كانت هناك ثورات اقتصادية يقيمها الفقراء حين يطلبون مزيدا من المال فلا يجدونه فينفجرون .

وجاء الاسلام فنظم هذه الاتجاهات .. وتجلى ذلك حينما وقف عمر بعد فتح العراق معلنا أنه لا اقطاع ، وأنه لا يمكن توزيع الأرض على المحاربين فقط ، وانما توزع كذلك على الزارعين من اهل العراق .

ومنذ مائة وخمسين عاما كانت الأرض فى مصر موزعة توزيعا غير عادل .. كان هناك الكثير ممن امتلكوا الأرض كمساعدات قدمت لهم من الانجليز على خدمة الاحتلال وتثبيت قواعده .

وكذلك كان الحال فى الأسهم والسندات ، اذن كان عندنا اقطاع ..

اقطاع فى الأرض هبط على اصحابه بطريق غير مشروع ..

واقطاع فى المال حصل عليه اصحابه بطريق غير مشروع كذلك ..

وبعدما تملك هؤلاء الناس الأرض والمال .. حاولوا الوصول للحكم للمحافظة على راس المال .. وبذلك تدخل راس المال فى السياسة ..

وفى وسط هذا الغنى كان يظهر بين حين وحين شباب أذكياء يقفزون الى الصفوف الأولى فى السياسة .. ولكن سرعان ما كان الاستعمار يعمل على شرائهم بالمال فيصبحون اقطاعيين من رجال المال .

هذه الحال فى مصر استدعت الكثير من التفكير لاصلاحها لأنها كانت تتنافى مع الاسلام .. فعنى المفكرون بالقيام بثورات ثقافية هادئة تحث على اعادة الحقوق لأصحابها وازالة الفوارق بين الناس .. ولم يكن الناس وقتها يملكون من وسيلة سواها لاعادة الحقوق وازالة الفوارق ..

ومن امثلة هذه الثورات الفكرية والثقافية كتاب « المعذبون فى الأرض » للدكتور طه حسين .. الكتاب الذى كتب فى مقدمة اهدائه « الى الذين لا يجدون ما ينفقون » .. ولكن هذا الكتاب لم يلبث أن صودر قبل أن يرى النور .

وكذلك كان هناك الكثير من المحاضرات والكتب الأخرى التى كانت بمثابة شعاع تصدره شمس الاسلام .

فماذا قال القرآن الكريم فى ذلك ..

« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .. هذا المال ملك لله وانتم خلفاء فيه ..

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .. هذا المال أعطاه الله لكم فاعطوا الفقراء منه ..

وماذا يقول الحديث الكريم :

« ما آمن بى رجل بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم » .

« ايما اهل عطية اصبح فيهم رجل جائع فقد برئت منهم ذمة الله » .

« ان فى المال حقا سوى الزكاة » .

هذا هو قول الله ..

وذاك قول رسوله ..

وكلاهما يؤيد الثورة التثقيفية الهادئة التى لم تكن تملك سوى القول بالنصح والارشاد .

ولقد كان من الطبيعى وهذه الثورة التثقيفية لم تستطع أن تحقق ما ترجو – أن تقوم ثورة أخرى أساسها القانون .. فكانت تلك القوانين الاشتراكية التى أصدرها قائد الثورة الاجتماعية العظيم .

تحديد ملكية الأرض بما لا يزيد عن مائة فدان ..

تحديد ملكية الأسهم بما لا يزيد عن عشرة آلاف جنيه ..

تخفيض ايجارات المساكن ..

الى غير ذلك من القوانين الاشتراكية الفعالة ..

ترى ماذا عسى ان يكون تفكير الاسلام فى تنظيمنا الجديد ؟.

ان ثورتنا الاشتراكية لم تقم فقط على العدل ، وانما كان أساسها أعمق من ذلك .. كان أساسها الرحمة ..

فالثورة الاشتراكية حين حددت مائة فدان دفعت سندات تقابل ما زاد عن ذلك ..

والثورة الاشتراكية حين حددت قيمة الأسهم بعشرة آلاف جنيه دفعت تعويضا عما زاد عن ذلك بالسندات أيضا ..

والثورة الاشتراكية حين خفضت ايجارات المساكن عوضت الملاك برفع عوائد الاملاك عنهم ..

كان هذا هو تفكير ثورتنا الاشتراكية بينما نجد التفكير الاسلامى لا يدفع ثمنا لما زاد .. انما يأخذ ما زاد ..

لنستمع الى ابن حزم وهو يقول : **« وفرض على الأغنياء فى كل بلد ان يقوموا بفقرائها .. ويجبرهم السلطان على ذلك .. فى اللباس فى الصيف والشتاء .. ومسكن مناسب ..**

« وفرض على من عنده فضل طعام ان يعطى الجائع .. فان لم يفعل فللجائع أن يحاربه من أجل الطعام .. فان قتل المانع فالى لعنة الله .. »

وهذا ابن القيم يقول :

« لولى الأمر أن يسكن الفقراء فى بيوت الأغنياء بدون اجر .. او باجر المثل » .

وهذا عمر بن الخطاب .. يقول فى العام الذى حلت فيه المجاعة بسبب عدم نزول الأمطار :

« لو لم أجد للناس ما يسعهم الا ان ادخل على كل بيت عدد من فيه فيقاسمونهم الزاد لفعلت .. فانهم لن يهلكوا على انصاف بطونهم » .

ومن الأعمال المجيدة فى الاشتراكية لأمير المؤمنين عمر ..

انه وجد أحد ولاته قد خرج بثروة كبيرة وهو الحاث بن كعب ..

فسأله عمر ..

ماذا حدث ؟.. أنت كنت فقيرا فاصبحت غنيا ؟.

قال .. خرجت بنفقة يسيرة وتاجرت فاصبحت غنيا ..

فأعطاه عمر اصل ماله واخذ الباقى كله لبيت المال ..

ويمشى عمر فى الشارع فيجد بيتا يبنى بالطوب الأحمر .. فيسأل لمن ؟.

فيقال لأبى هريرة .. عاملك على البحرين.

فيأتى به ويسأله من أين لك هذا ؟

ويأخذ منه ثلاثة أرباع ثروته ويردها لبيت المال .. ويعزله عن ولايته وهو يقول : **« لو حاسبتك لأخذت الجميع »** .

وشك عمر بن الخطاب يوما فيما أصبح عليه سعد بن ابى وقاص من ثراء .. فأخذ نصف ماله لبيت المال ..

وعندما هدد سعد عمرا بانه سيدعو الله عليه .. قال له : **« ادع ما شئت .. انما لا يستجيب الله للخطايا »** .

كان هذا هو تفكير الاسلام على يد عمر ..

مجرد الشبهة تدفعه لأن يعزل واليه ويستولى منه على ماله لبيت المال ..

وبعد ..

فهذا هو تصرف التفكير الاسلامى حيال رأس المال . والاسلام كان العدل المطلق فى المجتمع ..

اما اشتراكيتنا فلم تأخذ ما زاد .. ولم تصادر .. وانما عوضت ..

أليس لنا بعد ذلك أن نقول ..

ان اشتراكيتنا لم تكن مجرد عدل ..

وانما كانت رحمة ..

رحمة للجميع ؟!..

شهر القرآن

الأستاذ محمود لطفي عبد الكريم

يصل هذا العدد الى ايدى القراء فى الوقت الذى يستقبلون فيه شهر رمضان ، الذىفرض الله صيامه ، وأنزل فيه القرآن

والصيام احد الأركان الخمسة التى بنى عليها الاسلام ، فقد أخرج البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « بنى الاسلام على خمس ، شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »

وفرض فى السنة الثانية من الهجرة

ومن فوائده ، أنه يزكى البدن ، ويضيق مسالك الشيطان ، ولهذا قال صلوات الله عليه : **« يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء »**

ولهذا أيضا فقد فرضه الله على جميع الأمم كما جاء صريحا فى قوله تعالى : **« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »**

والصيام سر بين العبد وربه ، لايطلع عليه سواه ، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ، فهو أمر لايطلع عليه بشر ، وتلك هى حقيقة الصوم ، ولهذا قال سبحانه فى حديثه القدسى : **كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم ، فانه لى ، وانا اجزى به »** ، وفى رواية أخرى : **« يترك طعامه وشرابه وشهوته من اجلى ، الصيام لى ، وانا أجزى به ، والحسنة بعشر امثالها »**

والصيام وسيلة الى تهذيب النفوس ، بقهرها ، وكبح جماحها ، ومنعها من الخضوع لشهواتها وأهوائها ، ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه : **« الصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فانسابه احد أو قاتله فليقل انى صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »**

فمن تحققت بصومه تلك الأهداف ، كان جديرا بما جاء فى قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : **« من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه »** ، واستحق أن يدخل الجنة من الباب الخاص ، الذى أعده الله لدخول الصائمين ، تكريما لهم ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه : **« ان فى الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لايدخل منه أحد غيرهم ، يقال : اين الصائمون ؟ فيقومون ، لايدخل منه أحد غيرهم ، فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »**

وقد اجتاز الصيام ـ فى أول العهد بتشريعه ـ ثلاث مراحل ، فقد أخرج الأمام أحمد بن حنبل عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ انه قال : احيلت الصلاة ثلاثة احوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال ـ وبعد أن ذكر أحوال الصلاة قال ـ وأما أحوال الصيام ، فان رسول الله ـ صلى اللهعلية وسلم ـ قدم المدينة ، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة ايام ، وصام عاشوراء، ثم أن الله فرض عليه الصيام، وأنزل الله تعالى **« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ـ الى قوله ـ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين»** فكان من شاء صام ، ومن شاء اطعم مسكينا ، فاجزأ ذلك عنه ، ثم أن الله عز وجل أنزل الآية الاخرى **« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ـ الى قوله ـ فمن شهد منكم الشهر فليصمه »** ، فاثبت الله صيامه على المقيم

الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وثبت الاطعام للكبير الذى لايستطيع الصيام ، وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ، مالم يناموا ، فاذا ناموا امتنعوا ، ثم ان رجلا من الأنصار كان يعمل صائما حتى أمسى ،فجاء الى أهله ، فصلى العشاء ثم نام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائما ، فرآه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد جهد جهدا شديدا ، فقال : ((**مالى أراك قد جهدت جهدا شديدا ؟**)) قال : يارسول الله ، انى عملت أمس ، فجئت حين جئت فألقيت نفسى فنمت ، فأصبحت حين أصبحت نائما ، قال : وكان عمر قد أصاب من النساء بعد مانام ، فأتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك ، فأنزل الله عز وجل : « **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ـ الى قوله ـ ثم أتموا الصيام الى الليل** »

ويفهم من هذا الحديث أن الافطار والاطعام للقادر نسخ بقوله تعالى : « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » ويؤيد ذلك ماروى عن سلمة ابن الأكوع قال :

لما نزلت هذه الآية « **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** » كان من شاء أن يفطر ويفتدى ، حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها .

ومقصوده بالآية التى بعدها الآية المتضمنة لقوله تعالى « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** »

وقد أكرم الله هذه الأمة بتخصيص شهر رمضان لصيامهم ، فهو الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، قال تعالى : « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** »

وليس هذا فقط ، بل انه الشهر الذىأنزلت فيه جميع الكتب السماوية ، فقد أخرج الامام احمد ابن حنبل عن واثلة بن الأسقع ، ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والأنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان .**

وصحف ابراهيم ، والتوراة ، والزبور ، والانجيل ، نزل كل منها على النبىالذى انزل عليه جملة واحدة ، واماالقرآن فانه نزلجملة واحدة الى بيت العزة من السماء الأولى فىليلة القدر من شهر رمضان ، ثم نزل بعد ذلك على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مفرقا بحسب الوقائع .

ولقد وقع فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة أعظم حادث فى تاريخ الاسلام، وهو غزوة بدر ، التى كانت فى السابع عشر منه .

ويبدو لى أنه ليس من المصادفات أن تقع هذه الغزوة فى أول شهر فرض صيامه،وانما هو مقصود ، ليقترن تشريع أعظم فريضة بوقوع أعظم حادث ، كان له أبلغ الأثر فىاعلاء كلمة الله والتمكين للمسلمين .

ولعله من المفيد فى هذا المقام أن نذكر بعض الفضائل ، التى يجب أن يتحلى بها الصائم فى هذا الشهر الكريم ، والأمور التى تجب مراعاتها .

١ ـ فعند ثبوت رؤية هلال رمضان ، ينبغى أن يستقبله المسلم بما كان يستقبله بهرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد روى الترمذى عنطلحة بن عبيدالله رضى اللهعنه ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا رأى الهلال قال : « **اللهم اهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير** »

٢ ـ وعلى الصائم أن يكثر من فعل الخير ، اقتداء بالنبى عليهالسلام،فقد اخرجالبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما انهقال : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة** »

نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعيد هذا الشهر الكريم ، على العرب والمسلمين فى أرجاء الأرض ، وقد تحققت أهدافهم ، وطهرت سائر أراضيهم من بقايا الاستعمار والخونة والمأجورين .

من أعلام الإسلام

المعتصم العباسي
بطل عمورية وقاهر الروم
١٧٩ - ٢٢٧ هـ

الأستاذ
عبد العزيز الاسلامبولي

« والعجيب أن أباه الرشيد ، أخرجه من الخلافة ، وولى الأمين والمأمون والمؤتمن، فساق الله الخلافة الى المعتصم ، وجعل الخلفاء الى اليوم من ولده ، ولم يكن من نسل اولئك خليفة الى اليوم » .

ابن دحية

- ١ -

قد تختلف الآراء فى موقف الخليفة العباسى المعتصم بالله ، من الامام الجليل أحمد بن حنبل ، فى محنة القول بخلق القرآن ، التى امتحن بها المسلمون فى عهدى المأمون والمعتصم، وقد تتصارع أفانين الحديث فى تقدير البواعث التى دعته الى هذا الموقف ، وقد يذهب بعض الناس - مذاهب شتى - فى التماس الأسباب ، واقتناص العلل ، لتبرير عمله .

وقد تتباين أساليب الحجاج والنقاش ، فى مواقف أخرى ، هو أبو عذرتها ، وصاحب وزرها ، اذ هو المسئول الأول عنها . ولكنه - على الرغم من كل أولئك ، يشهد له الجميع بأنه كان واحدا من نوادر الرجال ، الذين ذادوا عن الاسلام والمسلمين ، فى شجاعة بذت شجاعة النظراء والأنداد ، وجرأة تكسرت على صخرتها رءوس الفرس ، واقدام انخلع له قلب تيوفيلوس امبراطور الروم ، فلم يجد بدا من الفرار ، أمام ذلكم الفارس العربى الجبار .

ولقد وصفته الكثرة الكاثرة من مؤرخى الاسلام ، بأنه « كان قوى الساعد ، يكسر زند الرجل بين اصبعيه ، ولا تعمل الأسنان فى

جسمه شيئا » .. وكانت الشجاعة والاقدام وشدة البأس أقل صفاته ، وأنه كان « سديد الرأى ، شديد المنة ، يحمل ألف رطل ويمشى بها » ، وأنه حكم الدولة العباسية حكما استبداديا، ولكنه حكم مقترن بحسن التدبير، ممتزج بالعطف والشفقة على الفقراء والضعفاء.

ويذهب صاحب « مروج الذهب » ، الى الجزم بأنه بلغ الغاية « بحسن السيرة ، واستقامة الطريقة » .

- ٢ -

لما مات هارون الرشيد ، آلت الخلافة الى ولديه : الأمين ، فالمأمون ، وكان هارون - قبيل وفاته - قد اختصهما بها ومن بعدهما المؤتمن ، متخطيا بذلك المعتصم ، وهو أكبر من المؤتمن ، وفى حين كان المعتصم يقود المعارك ضد الفرس مرة ، وضد الروم مرات ، ولا يعود من معركة الا ليقود معركة أخرى ، وهو فى كل ذلك القائد الظافر ، الذى عقدت له ألوية النصر فى كل غزوة ، وارتفعت فيها راية الاسلام فى كل مكان حل فيه .

ولعل أباه الرشيد قد ادخره لمثل هذه المعارك ، ومن ثم عهد بالخلافة الى ثلاثة من اخوته دونه ، فكتب بذلك صحيفة أشهد فيها القضاة والفقهاء وزعماء بنى هاشم ، وعلقها فى الكعبة ، لتكون حجة على أولاده جميعا .

ولكن ارادة الله فوق كل ارادة ، ذلك بأن المعتصم كان يلى بلاد مصر والشام فى عهد أخيه المأمون ، فلما مرض هذا مرض الموت ، دعاه وعهد اليه بالخلافة من بعده ، وأوصاه بل ألزمه القول بخلق القرآن ، وعدل عن تولية ابنه العباس ، لأن المعتصم كان يتمتع بنفوذ ملأ فجاج المشرق والمغرب ، وشهرة واسعة فى دنيا الحرب وميادين الجهاد .

- ٣ -

وبويع المعتصم بالخلافة سنة ٢١٨ هـ ، فأضاف الى اسمه اسم الله سبحانه وتعالى ، فكان بذلك أول الخلفاء الذين أضافوا الى أسمائهم اسم الله - جل جلاله - وأصبح أبو اسحاق ، محمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن منصور ، يعرف باسم « المعتصم بالله » .

ودامت خلافته من سنة ٢١٨ هـ الى سنة ٢٢٧ هـ ، أو هى بالتحديد ، فى رواية الطبرى ثمانى سنين وثمانية أشهر، ويقول ابن طباطبا انه سمى المثمن ، من أحد عشر وجها .. لأنه :

١ - هو الثامن من ولد العباس .
٢ - والثامن من الخلفاء .
٣ - وتولى الخلافة وعمره ثمانى عشرة سنة .
٤ - وكانت خلافته ثمانى سنين
٥ - وثمانية أشهر .
٦ - وتوفى وله ثمان وأربعون سنة .
٧ - وولد فى شعبان ، وهو الشهر الثامن.
٨ - وخلف ثمانية ذكور .
٩ - وثمانى بنات .
١٠ - وغزا ثمانى غزوات
١١ - وخلف ثمانية آلف ألف درهم .

- ٤ -

وكان يعاصره فى مملكة الروم الشرقية بالقسطنطينية ، الامبراطور تيوفيلوس ، وقد ألزمه المسلمون كما الزموا اسلافه أن يدفعوا الفدية قهرا ، وثقلت ايدى العرب على رقابهم حقبة طويلة من الزمن ، حتى داخوا وأشرفوا على الفناء ، وقد امتلأت نفوسهم حقدا .

فانتهزوا فرصة الفتنة التى أحدثها الزنديق « بابك الخرمى » ، واشتغال المسلمين بحربه، وأبوا الا أن يأخذوا المسلمين غدرا ، فخرج تيوفيلوس على راس مائة ألف مقاتل ، حتى وصل الى زبطرة ، وهى بلد عزيز على المسلمين وقد كانوا يتخذونها حصنا حصينا يرابطون فيه لأعداء الاسلام ، وحيث كانوا يدربون فيه على قتال المهاجمين ، والدفاع عن كتاب الله الكريم .

وكانت زبطرة أما رءوما للمعتصم ، ففيها نشأ ، وفيها أعد لما أراده له أبوه الرشيد من

تمرس على الرباط ، وتدرب على القتال ، لذلك تعمد الأمبراطور الرومانى أن يدخلها ويقتل من فيها ، من الرجال والنساء ، ويحرقها ، ويسبى حوالى ألف امرأة من المسلمات .

وقيل ان سيدة هاشمية ، كانت بين السبى ، وقد رأت أن عساكر الروم يسخرون منها ، ويحاولون التندر عليها ، وبيعها فى سوق الرقيق ، فصرخت صرخة مدوية ، تقول « **وا معتصماه** .. » فلما بلغ الخبر المعتصم ، استعظمه وكبر لديه ، وأجابها وهو جالس على سريره « لبيك ، لبيك » ، ثم قام من فوره يعد جيشا ضخما ، يقول بعض المؤرخين انه بلغ خمسمائة ألف ، ويقدره البعض بمائتى ألف .. ثم خرج على رأس هذا الجيش ، حتى أتى أنقرة فاستولى عليها ، بعد قتال عنيف ، بداه بنفسه ، ثم سأل : اى بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ فقيل : « عمورية » ، قال : فأى البلاد أحب الى تيوفيلوس ؟ فقيل : «عمورية» ذلك بأنها مسقط رأس الامبراطور الرومانى ، كما أن زبطرة ـ فى بعض الروايات ـ مسقط رأس المعتصم .

ولم يلبث المعتصم قليلا، حتى قام على رأس جيشه ، فاقتحم عمورية عنوة ، ودك حصونها دكا ، بعد أن خلص الهاشمية ومن معها من المسلمات ، وغنم منها غنائم كثيرة ، ولم يتركها حتى سواها ترابا ، بعد أن جعلها أنقاضا ، وأعمل فيها النار ، حتى أتت على ما فيها ، وهرع من فيها من البيزنطيين ـ ممن أفلت من الأسر ـ يلتمسون من الخليفة العباسى العفو والصفح ، وأرسل اليه الامبراطور الرومانى ، وكان قد تمكن من الفرار الى القسطنطينية ، عاصمة الامبراطورة الرومانية الشرقية ، رسلا ، يحملون كتابا يعرض فيه الصلح .. فرفض ذلك العرض رفضا قاطعا، ورد عليه بكتاب حاسم ، اختتمه بقوله، وقد أثبته الطبرى فى تاريخه :

« غير أنى رأيت أن أتقدم اليك بالموعظة ، التى يثبت الله بها عليك الحجة ، من الدعاء لك ولمن معك ، الى الوحدانية والشريعةالحنيفية .. فان أبيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة، وان تركت ذلك ، ففى يقين المعاينة لنعوتنا ما يغنى عن الابلاغ فى القول ، والاغراق فى الصفة ، والسلام على من اتبع الهدى » .

وقد أذعن الروم فى النهاية ، وانتهوا الى دفع الجزية صاغرين .. ولكنهم علموا بعد ذلك ، أن الخليفة المعتصم يعد العدة للقضاء على الامبراطورية الرومانية الشرقية كلها ، وأنه يعتزم السير بنفسه على رأس جيوش المسلمين لغزو القسطنطينية عاصمة البيزنطيين .

فبعث الامبراطور تيوفيلوس رسله ، يضرعون الى الخليفة أن يترفق بهم ، ويشفق عليهم ، وما زالوا يتلون على مسمعيه آيات من كتاب الله بينات ، توصى بالنصارى خيرا ، وتحض على الترفق بهم ، لأنهم أهل كتاب ، وأكثر الناس مودة للمسلمين .

وفعلت الآيات البينات فعل السحر الحلال، فى نفس المعتصم ، ونادته مروءة المسلم ، وشفقة المؤمن ، ألا يخيب الرجاء ، فاعتلى العرش ، وطلب الرسل ، فاقبلوا يقبلون الأرض بين يديه ، ويسألونه ما انتهى اليه فى أمرهم ، فيقول لهم فى سكون : « نبئوا سيدكم أننى أديت دين زبطرة » .

- ٥ -

وبعد خمسة وخمسين يوما قضاها فى عمورية ، عاد الى مقر الخلافة ، فاستقبله المسلمون أروع استقبال ، واحتفلوا به احتفالا قل أن يجود بمثله الزمان ، وأنشده أبو تمام الطائى قصيدته البائية ومطلعها :

السيف اصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

ومنها :

فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الأرض فى اثوابها القشب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت
عنك المنى حفلا معسولة الحلب

ابقيت جد بنى الاسلام فى صعد
والمشركين ودار الشرك فى صبب

لما رأت أختها بالأمس قد خرجت
كان الخراب لها أعدى من الجرب

كم بين حيطانها من فارس بطل
قانى الذوائب من آنى دم سرب

تدبير معتصم بالله ، منتقم
لله ، مرتقب فى الله مرتهب

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها فى جحفل لجب

رمى بك الله برجيها فهدمها
ولو رمى بك غير الله لم تصب

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنب

خليفة الله جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والاسلام والحسب

انكان بين صروف الدهر من رحم
موصولة أو زمام غير منقضب

فبين ايامك اللاتى نصرت بها
وبين أيام بدر أقرب النسب

ابقت بنى الأصفر الممراض كأسهم
صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

- ٦ -

أما شفقته بالفقراء ، ورحمته بالضعفاء ، فهما - باجماع الكلمة - ليستا موضع خلاف، وان بدا ذلك مستغربا منه ، ويسوقون فى ذلك قصة خلاصتها :

أنه رأى شيخا ضعيفا فى يوم مطير ، وقد غاص حماره فى الوحل ، وسقط ما عليه من الشوك الذى يستعمله أهل العراق فى التدفئة .. فنزل عن صهوة جواده ، فأخرج الحمار من الطين وحمل الشوك فوضعه عليه ، ولم يهتم بما أصاب رداءه النفيس من طين ، ولا ما لحق يديه من بلل الوحل واكتفى بأن غسلهما فى غدير واستوى على دابته ولحق به حرسه بخيولهم ، بعد ان أمر بعض حاشيته باعطاء هذا الشيخ أربعة آلاف درهم .

- ٧ -

ومما يقضى منه العجب ، أن هذا الرجل العظيم ، الذى اتسعت رقعة الاسلام فى عهده، فشملت ما بين المشرق والمغرب ، وحق له أن يتمثل بقول أبيه الرشيد وقد رأى - وهو فى مجلسه - سحابة تمر فى السماء ، فقال موجها الخطاب اليها : « أمطرى حيث شئت ، يأتنى خراجك » .

لم ينس المعتصم فى غمرة الأحداث ، وتوالى الغزوات ، أن يعنى بالصناعة عناية بالغة ، ويحض الرعية على الأخذ منها بأكبر نصيب ، فشيد مصانع عدة ، للصابون والزجاج فى بغداد وسامرا ، واقام مصانع للورق فى مدائن أخرى ، جلب لها الأساتذة والخبراء والصناع من مصر ، وقد اشتهرت بصنع الورق منذ عهد بعيد .

وأنشأ دورا للطراز فى فارس ، وللحرير والأطلس فى الشام، وللسجاجيد والمنسوجات الصوفية فى الهند والعراق .

وكانت له فى هذه البابة فلسفة فريدة ، فقد كان يتخذ من العمارة دستورا له ، ويقول فى ذلك :

« **ان فى العمارة امورا حميدة ، أولها عمران الأرض التى يحيا بها العالم ، وعليها يزكو الخراج ، وتكثر الأموال ، وتعيش أصناف الحيوان ، وترخص الأسعار ، ويزداد الكسب ويتسع المعاش** » .

- ٨ -

وما زال المعتصم فى جهاد دائم ، وعمل متواصل ، حتى أصيب فى سنة ٢٢٧ للهجرة بمرض قضى عليه ، فرثاه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، بقصيدة من عيون الشعر فى فن الرثاء ، ختمها بقوله :

قد قلت : اذ غيبوك واصطفقت
عليك أيد بالترب والطين

اذهب، فنعم الحفيظ كنت على الدنيا ، ونعم الظهير للدين

قدر من الخزف ذى البريق المعدنى من الرقة ببلاد الجزيرة « القرن ١٢ - ١٣ متحف المتروبوليتان بنيويورك

فنوننا الإسلامية فى متاحف الغرب

الدكتور عبد الرحمن زكى

لم يكن خافيا على الغرب ، ما حققه العرب فى بناء حضارتهم الاسلامية الزاهرة ، فى جميع البقاع التى استظلت برايتهم ، وفى الدول السامية التى أقاموها ، وبالمدن الجميلة التى شيدوها ، فى بغداد وفى دمشق ، وفى القاهرة قلب العروبة ، وفى تلمسان ومراكش ، وفى قرطبة والزهراء بالأندلس ! لقد عرف العالم حضارة العرب ، تلك الحضارة التى خلدت على مر الزمان ، من أواسط آسيا على ضفاف نهر الجانج الى وادى النيل وساحل الأطلنطى فى الغرب ، وآثار تلك الحضارة ، ما تزال واضحة شامخة للعيان ، تفخر وتتباهى بتراثها التليد !

وكانت صناعات البلاد الاسلامية ومنتجاتها البديعة ، يحصل عليها العملاء التجاريون الذين يقيمون فى الشرق ، فيصدرونها الى أسواقهم فى الغرب ، حيث تباع للأثرياء بأبهظ الأثمان . وتطفح صفحات التاريخ الاقتصادى فى العصور الوسطى بأحوال التبادل التجارى بين العالمين الاسلامى والغربى بل وفى الشرق الاقصى ، وكان من أشهر العروض والسلع : الأقمشة الحريرية والأوانى النحاسية المكفتة بالذهب والفضة ، والصناديق والألطاف الخشبية المطعمة بالعاج والأحجار الكريمة والصدف ، والخزف الملون بأنواعه الجميلة ، والصحون والأطباق ، والأوانى الزجاجية ، هذا الى البسط والطنافس الجميلة .

وكان من أوائل الذين كشفوا عن روائع الشرق ، طائفة من الرحالة الأوربيين ، الذين وفدوا الى بلدانه فى العصور الوسطى وبعدها ، ونذكر من هؤلاء ماركو بولو ، وشاردان ، وتافرنيه ، وتفنوه ، وبوكوك وغيرهم .

وقد دون هؤلاء ما شاهدوا فى مؤلفاتهم التى اصبحت من اهم المراجع التى يعتمد عليها الباحث ، عن شئون العالم الاسلامى وأحواله اثناء نهضته الكبرى . وجاء فى أعقاب ذلك أن اتصلت الدول الغربية بالبلدان الاسلامية اتصالا وثيقا ، ووقف العلماء على أسرار تلك الحضارة التى بهرت عقولهم وعيونهم ، ومن ثم بداوا يدرسون ويبحثون كل ما تقع عليه ايديهم !

فلما اصبحت دراسة آثار الشرق الاسلامى علما قائما ، اتجهت عناية علماء الفنون الى دراسة نتاجها من التحف والألطاف ، وتحليلها تحليلا علميا ، وصاروا يكتبون عنها البحوث والمقالات فى مناهج نظيمة ، ويمكن القول بأن هذه الحركة الفنية العلمية قد بدأت منذ اواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر.

وكانت دراسة الآثار الاسلامية بالطرق العلمية هدف كثير من العلماء الغربيين ، نذكر من هؤلاء : ديولافوا ، وموزيل ، وسافيناك ، وزاره ، وجرتردبل ، وهرتزفيلد وغيرهم .. وقد لجأ هؤلاء الى التنقيب عن الآثار الاسلامية لا فى الأسواق والمتاجر ، بل بحثوا عنها فى مواطنها الأصيلة ، اى فى المدن الاسلامية التى خربت .. أو التى قامت على انقاضها مدن جديدة .

ولعل أول الأعمال الحفرية فى موضع اسلامى بحت ، هو الذى بدأه ((بلانشيه))سنة ١٨٩٨ فى قلعة بنى حماد ببلاد الجزائر وهى عاصمة الحماديين فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلادى ، ثم بدأ فلاسكويز بوسكو فى التنقيب حوالى عام ١٩١٠ فى خرائب مدينة الزهراء التى سكنها الخلفاء من الأمويين قرب قرطبة بالأندلس .

وتعتبر سنة ١٩١١ من اهم السنوات التى باشر فيها العلماء التنقيب عن مخلفات الآثار الاسلامية ، ففى مصر بدأ المرحوم على بهجت

ابريق من النحاس المطعم بالفضة . من ايران ((بداية القرن ١٣)) بمتحف المتروبوليتان بنيويورك

عالم الآثار وزميله « ألبير جبرييل » الحفر على سبيل التجربة فى الفسطاط ، واستمر العمل بنشاط الى سنة ١٩٢٠ وكان من نتائج هذا التنقيب ، الاهتداء الى حقائق علمية وفنية كثيرة جدا ، من اهمها الوقوف على تخطيط المدينة الاسلامية الأولى ، وعمـــارة بيوتها وزخرفة جدرانها ، والعثور على كثير من التحف الاسلامية ، من الطاف خشبية واوان خزفية وزجاجية ، تلقفتها ايدى العلمـــاء بالدراسة الدقيقة ، وفى العراق قام العالمان زاره وهرتزفيـــلد من ١٩١١ الى ١٩١٣ فى سامرا عاصـمة العباسيين بعد بغـداد ، بالتنقيب وأنتجت أعمالهما معلومات فنية هامة، ويمكن القـــول انها كانت أساسا لدراسات الفنون الاسلامية ، وتمهيـــدا هاما لمن جاء بعدهما من العلماء الكبار .

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ واصل العلماء ، التنقيب فى مواضـع اسلامية شتى ، مثل نيسابور والدى ، وسوسة وبعلبك والرقة وغيرها فوقفوا على كثير من جوانب الفنون الاسلامية ، ونمت مجموعات التحف فى المتـــاحف الوطنيـــة والأوروبية واقيمت لها اقسام مستقلة .. بعد أن كانت تقام لها المعارض فى بعض المناسبات.

ونعنى فى هذا المقال القصير التحدث عن روائع التحف الاسلامية فى متاحف الغـرب ، والتى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : متحف اللوفر بباريس ، والمتحف الاسلامى فى برلين ، والمتحف البريطانى ومتحف فكتوريا وألبرت بلندن ومتاحف الآثار بمدريدوبرشلونة وغرناطة وقرطبة ، ومتحف طوب قابو سـراى باستانبول ، ومتحف بناكى بأثينا ، والمتحف الوطنى بكوبنهاجن ، ومثيـله باستوكهلم ، ومتحف الهرميتـــاج بلننجـراد ، ومتحف متروبوليتان فى نيويورك .

جولة فى متاحف الفنون

والآن ، تعال معى أيها القارىء الكريم لنقوم بجولة قصيرة فى متاحف الغرب لنشـــاهد تراثنا !. كانت مجموعة التحف الاسـلامية باللوفر موزعة بين أقسام المتحف الكثيرة حتى

عام ١٩١٩ ، فجمعت ونسقت فى قاعة «سولى» وأصبحت منذ ذلك الحين مرآة صادقة لاحدى نواحى الحضارة الاسلامية ، الا وهى الفنون . وتضم هذه المجموعة الفـــاخرة ، طائفة من الألطاف الزجاجية والخـزف الملون والأوانى المعدنية والعلب العاجية ومصابيح المســاجد التى اشتهرت بها مصر وسورية فى القـرنين الرابع عشر والخامس عشر !

واذا ذهبنا الى المتحف الاسلامى ببـرلين لاسترعى نظرنا ، معظم ما خلفـــه الزمان من احجار قصر المشتى الذى كان فى بادية الشام ، وقد عرضت عرضا جميلا ، يشـــهد بسلامة الذوق . اضف الى هـــذا مجموعة الطنافس والمنمنمات الذهبية الملونة وقطع الخـزف الكثيرة التى عثر عليها بالفســطاط وبسامراء « العراق » ، وتوضح تلك البقايا تطـور فن صناعة الفخاريات الاسلامية .

وفى بريطانيا مجمـــوعات كثيرة للتحف الاسلامية تضمها متاحف فكتوريا والبرت ، والمتحف البريطانى ومجموعة « والاس » . اما

سيف اسلامى على نصله جوهر جميل من صناعة الطباع قلب على الايران فى أوائل القرن ١٧ بمتحف والاس بلندن

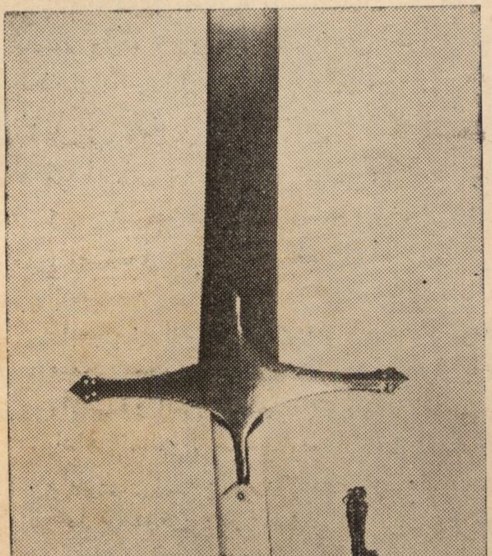

مصباح من الزجاج المموه بالمينا الملونة والذهب عليه نقوش وكتابات عربية ، من صناعة سورية فى أوائل القرن ١٤ بمتحف فيكتوريا والبيرت بلندن

متحف فكتوريا والبرت بلندن ، فأجمل مافيه من التحف الاسلامية ، يعرض اليوم فى القاعة ٤٢ وتشتمل على قطع جميلة من انواع الخزف والصناديق الخشبية المطعمة بالعاج ، والأوانى النحاسية ، ومجموعة رائعة من السجاد والمصابيح القاهرية . اما المتحف البريطانى فيفخر بمجوعة طريفة حقا من التحف المعدنية والأسلحة التى انتجها الفنانون فى شتى بلدان العالم الاسلامى ، فمن اسطرلابات واباريق الى صوانى وشمعدانات ، وقد زينت كلها بالنقوش والزخارف والكتابات البديعة. وتتباهى مجموعة والاس بما تحتويه من السيوف والدروع والخناجر والخوذات ..

وبالرغم من ان مجموعة متحف المتروبوليتان بنيويورك احدث من مثيلاتها فى أوروبا ، فقد احتوت على اندر الأمثلة الطريفة فى جميع حقول الفنون الاسلامية ، وهى كذلك توضح معظم الطرز المعروفة للخزف والنسيج والمعادن والجص والخشب والنقوش الكتابية ، ويمكن القول بأن طريقة عرض هذه المجموعة تمتاز على غيرها فى المتاحف الأخرى ..

هذا قليل من كثير ، فمتاحف الفنون والآثار باسبانيا لا يخلو واحد منها من التحف الأندلسية ، ونقول هذا أيضا عن متاحف الاتحاد السوفيتى والنمسا ودول شمالى اوروبا .. وكل هذه الروائع فى مهاجرها الجديدة يبعث فى صدور مشاهديها الاعجاب والتقدير وحب التعرف على ما اتسمت به الحضارة الاسلامية من حسن الذوق والجمال.

الإهداء إلى ثورة اليمن الظافرة

يهدى هذه القصيدة
إلى ثورة اليمن الظافرة
الشاعر اليمنى المجاهد
السيد/ محمد عبد الهادى العجيل

تغير الوضع من حال إلى حال ... بثورة بين إصباح وآصال
قطر السعيدة وافانا بوثبته ... وحطم القيد فى رعد وزلزال
ظل الحبيس لقوم طوع امرتهم ... وصفدوه بأسوار وأقفال
ظل اليمانى رقا للطغاة على ... فقر وجهل يعانى كل أهوال
وها هو اليوم يبنى مجده بيد ... قضت على الظلم من بُؤس وأسمال
يسعى لينهض بالعبء الخطير لكى ... يطوى الظلام بتفصيل واجمال
مجاوبا صوت ثوار الكنانة فى ... جمع العروبة من أشتات أوصال
ثار اليمانى كالليث الهصور فمن ... يعيده للورا فى ركب ضلال؟
لم تثنه قوة من غاصب زحفت ... لن يستكين لرجعى ودجال
والثورة اليوم تغلى فى الجنوب ولن ... تهدى بتشريد أحرار ومغتال
أمّ السجون كثير من طلائعه ... ما بين شيخ وفتيان وعمال
الجلد والسجن والتعذيب حظهم ... عافوا الحياة بارهاب وأغلال
الكبت أحرمهم من لفظ منطقهم ... ومن زفير وأنات لمثكال

سنغسل العار فى بيحان فى عدن ... وننقذ الأَرض من غاز ومحتال
شريف بيحان واجه زحفنا فلقد ... جاءَ الأَوان لتطهير وابلال
لا تركنن إلى غاز فقوته ... أَضحت أَمام قوانا غير ذى بال
هذى الشعوب قد استوحت ارادتها ... من قوة الله لا من جيش ختال
ماذا يريد سعود من تدخله ؟ ... فينا لاحداث افساد واخلال
ماذا يريد سعود وابن خالته ؟ ... حسين من عاش سمسارا بادلال
للانكليز وامريكا وغيرهما ... وزودوهم بأَلقاب واموال
دع يا سعود أُمورا لا تخصكم ... وجانب الشر من قول وأَفعال
شعب الجزيرة ذا شاءت ارادته ... حياة عز خلت من ظلم مختال
فنشهد الله أنا لا نريد دما ... يجرى على أَرضنا كالنهر سيال
من إخوة نفتديهم رغم قسوتكم ... كيف القتال لاخوان وأخوال ؟

هـذا بيـان لهم منا وننصحهـم — الا يصيخـوا لسفـاك وقصـال
تمردوا وارفضوا امر الطغاة فهـم — عمـا قريب إلى قبـر واهمـال
وان جبرتم فصنعـا من بلادكمُ — سيروا إليهـا خفـافا أو بترحال
مضى زمـان ملـوك لا يشرفنـا — وجودهم بيننـا فى وقتنـا الحالى
فليخرجوا من بلاد لا تريدهـم — لا لا مكان لسفـاح وقتـال
قضوا على شعبنـا إبَّان دولتهم — واعـدموا من بينـه كل مفضـال
فليتركوا شعبنـا اولا فتركلهـم — أَقـدام شعب ليلقـوا شر انزال
الشعب اقسم بالله العظيم بـأَن — يطهر الارض من غـدر وجهـال
خذ يا سعـود نذيرا من جحافلكم — أتوا الى النيـل منقادين للوالى
لمنقـذ الشعب من غـزو أَحاط به — ورائد الوحـدة الكبرى بـاكمـال
إلى الكنانة مهـد الثائرين غـدت — محط انظـار انقـاذ وآمـال
حصن العروبة ملجؤها ومعقلها — مدت يديها باكرام وإفضال
لكل شعب غريق فى معاضلـه — يبغى التحـرر من جـور واقـلال

* * *

جـاءَ النسـور زرافات وقد وصلوا — من الرياض ومن عمـان هطـال
إلى قواعد من شادوا الفخار لنـا — إلى معاقل قـواد وأبطـال
ابت ضمائرهم أن يضربوا بلـدا — ضحت بأَرواح أَحـرار وأَجيال
تحررت من ظلام طالمـا رسفت — فيـه وعاشت على بُؤس واغفال
دوى النفير فلبـوا صوته وأَتوا — من كل فج لركب القـائد الغالى
كى يزحف الجمع فى خطو موحدة — يبنى الصروح ويفنى الواهى البالى
ويمسح الارض من رجس ومن خبث — ومن دخيل وأَصنـام وتمثـال
حتمـا سنسحقهم من ارضنا كقذى — فى العين ينقى بمصفاة لزيَّـال
نلنـا المعونة من مصر وقائدهـا — وزودونـا بأُسطـول ورجـال
حيِّ العـروبة فى مصر بناصرنـا — وفى السعيـدة فى شخص ابن سلال

الدين والمرأة

السيدة خيرية بكرى شيرين رئيسة جمعية التحرر الاقتصادى . من السيدات البارزات فى المجتمع الاشتراكى العربى لما تقوم به من خدمات جليلة لسيدات الجمهورية من مختلف الطبقات ، ذهبت اليها فى مقر الجمعية بشارع قصر العينى لسؤالها عن المرأة والدين .

قابلتنى بوجه باسم يبدو عليه الطمأنينة ويشع من عينيها ايمان صادق وعميق .. ووجدتها تؤدى عملها هادئة راضية .. مؤمنة بنشاطها الذى تمارسه فى خدمة المجتمع للنهوض به ، وأداء مايعود بالنفع على الكثيرات .

بدأت حديثها معى بالآية الكريمة :

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » .

اجابتنى بصراحة عما لمسته فى المراة عامة : المثقفة وغير المثقفة خلال خدمتها الاجتماعية خلال عشر سنوات . قالت :

« بكل أسف ان الناحية الدينية عند المرأة فى مصر ضعيفة بصفة عامة وهى عند المرأة المثقفة أضعف ولو أنه كان يجب أن يكون العكس حيث أن العلم يتيح للمرء فرصة أكبر ويفتح له آفاقا أوسع للتقوى والايمان بعظمة الخالق ومعجزاته الماثلة فى السماء والأرض والانسان والحيوان .

وقد لاحظت أن الأسر الرقيقة الحال مؤمنة ايمانا صادقا تعتمد على الله سبحانه وتعالى فى كل عمل يقوم به كل فرد من أفرادها . ويقوم مجموعهم بأداء فريضة الصلاة فى أوقاتها كما يحرص كل منهم على أداء فريضة الحج مهما كانت امكانياته . ولا ييأس أبدا من رحمة الله .

أما المرأة المثقفة بصفة عامة فقد اعتقدت بأن المدنية والتطور يستدعيان البعد عن الدين وتعاليمه ، وتقليد الأجانب فى المظهر والتصرفات ، واعتبرت هذا التصرف تحررا ورقيا .

فما أبشع هذه الظاهرة فى بلد اسلامى دينه الرسمى الاسلام .. وهو القدوة لجميع البلاد الاسلامية .. يفد اليه مئات الألوف من جميع أقطار العالم رجالا ونساء راغبين فى التزود من علمائنا فى أمور الدين ليقوموا بنشره فى بلادهم .

وقصت على بعض الذى صادفها أثناء عملها بالجمعية مما يدل على الايمان بالله وحكم القدر واستطردت قائلة :

دخلت على سيدة متوسطة العمر يبدو عليها المرض وابتسامة رقيقة على شفتيها ،

تسألنى عن نظام الجمعية فى تسويق انتاج ربات البيوت ، لأنها سمعت بالمشروع ، وتود تقديم انتاجها حتى تستعين بثمنه على العلاج من مرضها فسألتها عن المرض .. وصعقت من الجواب الذى ألقت به بمنتهى الصراحة والبساطة والابتسامة لم تفارق شفتيها .!! قالت :

أنا مريضة بالسرطان .. والحقن التى أتعاطاها غالية الثمن ولا عائل لى وعندى أربعة أولاد . أليست هذه أعلى مراتب الايمان ..؟!

لم تيأس من رحمة الله سبحانه وتعالى .. ولم تعترض على حكمه .. ولم تشكو ظلم الأقدار كما يحدث دائما عندما يصاب المرء بأمر أقل فداحة مما حل بها .. فكرت فى العمل الشريف وهى مستورة مطمئنة فى بيتها ..!!

ثم شغلت عنى بخيالها الذى قادها الى ذكرى أربع سنوات مرت منذ أن لجأت اليها لتمد يد المعونة .. ثم أكملت حديثها معى بارتياح .. وكأن هما ثقيلا قد فارقها وابتسمت وقالت :

وبالفعل يسعدنى أن أذكر أن هذه السيدة منذ ذلك التاريخ أغسطس ١٩٥٨ الى الآن تحيك ملابس السيدات الداخلية، وتخصصت فى حياكة ملابس النوم وأتقنتها لدرجة أن اكثر من مائتى سيدة يشترين انتاجها الصيفى والشتوى من الجمعية بانتظام ، وهى تكسب ما لا يقل عن أربعة جنيهات أسبوعيا وقد تغير مظهرها وزالت علامات الذبول عن وجهها الآن .. انها تبدو الآن سعيدة بالرزق الحلال وبامكانياتها التى تصرف منها على أولادها وتنشئهم نشأة كريمة » .

ثم سألتها : **هل العمل يعطل عن تأدية** الفرائض الدينية كاملة .. وهل الامتناع يعد نقصا فى الايمان ؟

فأجابتنى قائلة :

لاحظت بأن هناك نساء يقمن بفرائضهن الدينية بحكم العادة أو التقاليد أو المظاهر وبودى أن أسأل أحد أئمة الدين عن رأيه فى هذا الوضع .

هل تعتبر هذه المرأة مؤمنة فعلا أم لا ؟؟ أم تعتبر مسلمة فقط .. ولو انه ليس لى أن أدلى برأى فى مثل هذا الموضوع ..

وقد حدث خلال خدمتى الاجتماعية مناقشات لا حصر لها بين السيدات من مختلف البيئات والعقليات .. وفى ندوة من الندوات التى تعقد بيننا سألت احدى السيدات : لماذا لا تقومين بأداء الصلاة ؟ فكان ردها الآتى :

مادمت لاأؤذى أحدا وأساعد من يمكننى مساعدته وأصوم شهر رمضان هذا يكفى .. وهذا الرأى من سيدة مثقفة .

وفى أثناء هذا الحديث كانت تستمع الى حوارنا احدى نساء الشعب العارضات فى معارضنا الدائمة فصرخت قائلة :

الصلاة ركن من أركان الدين ولا نكون مؤمنين بالاسلام تماما من غيرها .

وقد سألتنى السيدة خيرية .. **هل يتكرم أحد رجال الدين بالرد على أسئلتى هذه لكى أكون على نور بما يطلب منى تجاه الخالق سبحانه وتعالى ؟؟**

ان كان المرء مؤمنا صادقا مؤديا للفرائض كلها وقصر فى أداء الصلاة فى كل مرة شعر فيها بعجزه عن تركيز فكره ومشاعره فى الصلاة لاعتقاده بأن الخالق سبحانه وتعالى لا يريد من عبده القيام بحركات آلية بدون وعى ولا شعور . ما حكم هذا الشخص فى رأى علماء الدين ؟ ولقد لمست فى خلال عملى بأنه كلما قوى ايمان المرأة كلما قوى وعيها القومى ، وشعرت بمسئوليتها تجاه وطنها ومواطنيها ، وكانت على هدى بأن الأخذ بيد الضعيف والتعاون من واجبات المسلم نحو أخيه المسلم والانسانية ، والعطف والمشاركة من شيم المؤمنين .

ثم شكرتها على حديثها وهانذا أنشره وأدعو رجال الدين للرد على التساؤل الذى نشرته لينير الطريق للمتشككات وليعرفن حكم الدين بالنسبة للصلاة وحتى ينتهى النقاش حول هذا الموضوع .

تحية رمضان

يا موسم النسّاك

للشاعر عبد الله شمس الدين

أَمَلٌ على شفـة المنى يترددُ — يا مهرجانَ النور : أَنت الموعِدُ

يا مجمع الأَرواح .. فيك تشوّقت — لصفائها .. وهفا إِليكِ المسجِدُ

وعلى المآذن بسْمةٌ صوفيّةٌ — تشـدو بأَفراح السّما وتغرِّدُ

والصائمون مُهَيَّمونَ ... تحفُّهُمْ — رحماتُ ربك .. والقلوبُ تُوحِّدُ

فى كلِّ قلب للمحبّـة غنوةٌ — وبكلِّ وجه للسّماحة مَشْهَدُ

والمسلمـون تزاورٌ وتراحُمٌ — وتحيّةٌ فوق الشفـاه تُرَدَّدُ

والَّليْلُ صَوّأَهُ الجمالُ مباركاً وبِجُنْحِهِ قامَ السَّنا يتهجَّدُ
وبكل عاطفة ترفُّ سكِينَةٌ صمديّةٌ .. وبشائرُ تتجدَّدُ
ما عاد للأَحقاد فيها مَوْضِعٌ وعلى الصفاءِ مشاعرٌ تتوحَّدُ
يا مَشْرِقَ القرآن: يا فجْر الهدى أىُّ التَّحايا عند بابك تنْشُدُ
يا محفلاً للوحْى . فيه تَنَزَّلتْ آياته ... وَبِهَا ترنَّمَ «أَحْمَدُ»
اللهُ كَرَّمَ فيكَ خيْرَ هُداتِهِ ولديْكَ بالبرهان خَرَّ المُلْحِدُ
هذا بيانُ اللهِ .. هذا هَدْيُهُ وكفى به أَلَقاً يضىءُ.. ويُرْشِدُ
يُتْلَى فتخْشَعُ أَنْفُسٌ وجوارحٌ وتَهيم أرواحٌ .. وتدْمَعُ أَكْبُدُ
هو نبْعُ أَسرار الحياةِ .. بشطِّه تحيا وتخضرُّ النفوسُ الهُمَّدُ

* * *

يا مطْلَعَ الرَّحمَاتِ : يا شَهْرَ السَّنى يأيّهـا المتـألِّق المُتَفرِّدُ
من كل مئْذَنَة تُضىءُ وقِبْلَةٍ حيَّ[1] تكبيرٌ بها وتشهُّد
رمضان يا باب السماءِ .. ويامُنى للتائبين على هلالك تُعْقَدُ
يا موْسِمَ النُّسَّاكِ : حسبكِ أَنَّهمْ للهِ إمَّا رُكَّعٌ أوْ سُجَّدُ
لك كلَّ يومٍ فرْحَتَانِ . على مَدَاكَ يهيم فى فَلَكيْهمـا المُتَعبِّدُ

* * *

يا مُلْتَقى النصر العظيمِ .. وآيةً للهِ فى «بَدْرٍ» تُجَلُّ وتُحْمَدُ
هى مَطْلَعُ الفتحِ المبين .. وإنَّها لتحيَّةٌ للحق وهو يؤيَّدُ
عزَّ النبيُّ بها وعزَّ صحابُه وتحرَّرَتْ «أمُّ القرى» «والمسجدُ»
وسرى النّداءُ يهزُّ أَسْماعَ الورى يدعو إلى التوحيدِ وهو يوحِّدُ
لا ربَّ إلَّا اللهُ جلَّ جلالُه هو سيِّدُ الأَكوان .. نعم السَّيِّدُ
كلٌّ له عبْدٌ .. وكلٌّ خاضع لقضائِه ... وهو الكبيرُ الأَوْحَدُ
بمشيئةٍ خَلَقَ الوجودَ جميعَهُ وبإذنِهِ فى النّاسِ قامَ مُحَمَّدُ
رَبّاهُ : صلِّ عليه .. ما مُدَّتْ يَدٌ لكِ بالرجاءِ ... وأَنْتَ نِعْمَ المقْصِدُ

أنت تسأل ؟ .. والمفتي يجيب !

فضيلة الشيخ حسن مأمون

السؤال الأول :

طلب السيد عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقى من بيروت الاجابة عن الأسئلة الثلاثة التى بينها فى كتابه وهى :

أولا :

١ـ هل يجوز للانسان أن يرتهن أرضا أو بيتا أو دكانا بقيمة معلومة على أجل معلوم بشرط أن ينتفع المرتهن بالأرض او بالبيت أو بالدكان من سكنى أو ايجار سواء أكان الايجار من الراهن أو غيره أم لا ؟

وهل زكاة هذا المال المدفوع على الراهن او على المرتهن ؟

والجواب :

ان انتفاع المرتهن بالمرهون محل خلاف بين العلماء المجتهدين والرأى المفتى به فى فقه الحنفية أن لا يجوز له الانتفاع به مطلقا لا باستخدام أو سكنى ولا لبس أو اعارة الا باذن ، أى بأن يأذن الراهن للمرتهن بالانتفاع به . وهناك قولان آخران فى المذاهب : أحدهما أن لا يحل للمرتهن الانتفاع بالمرهون بأى وجه من الوجوه وان أذن له الراهن ، لأنه اذن فى الربا ، اذ أنه يستوفى دينه كاملا فتبقى له المنفعة فضلا فيكون ربا . والقول الثالث فى المذاهب : انه ان شرط المرتهن فى عقد الرهن الانتفاع بالمرهون وقبل الراهن، لم يحل للمرتهن الانتفاع بالمرهون ، لأنه يكون ربا فى هذه الحالة والا فلا ، والقول الأول هو المفتى به فى المذهب والذى عليه عامة المعتبرات، كما جاء فى حاشية العلامة ابن عابدين ونحن نرى الأخذ به .

وأما الجزء الثانى من السؤال : فالظاهر أن المراد به هو بيان حكم وجوب زكاة المال المدفوع من المرتهن للراهن .. والجواب أن المرتهن هو صاحب الدين ، ودينه هو مضمون بالرهن فتجب عليه زكاته ، وأما الراهن فهو مدين به ولا تجب زكاة على مدين ، ويخرج المرتهن زكاة مال الرهن بعد استيفائه من الراهن لأن القرض من الديون القوية التى اتفق الامام وصاحباه على وجوب زكاتها اذا تم نصابا بنفسه أو بما عنده مما يتم به النصاب وحال عليه الحول ، ولكن لا تجب الزكاة على سبيل الفور بل عند قبض أربعين درهما يجب درهم واحد ، وكلما قبض أربعين درهما يلزمه درهم ، ويعتبر ما مضى من الحول قبل القبض بالأصح ، وهذا قول الامام أبى حنيفة ، وعند الصاحبين تجب زكاة جميع الديون ويؤدى الزكاة متى قبض شيئا منها قليلا أو كثيرا ، ولا يخفى أن نصاب الزكاة فى الأموال عشرون مثقالا من الذهب تساوى بالعملة المصرية أحد عشر جنيها وربعا وثمنا أى ١١٨٨ر٥ قرشا . ونصاب الزكاة فى الفضة مائتا درهم تساوى بالعملة المصرية خمسمائة وتسعة وعشرين قرشا وثلثى القرش .

ثانيا :

٢ ـ هل يجوز للانسان مشترى كيس أرز أو ثوب من القماش أو غيره بزيادة عن الثمن الذى يشترى به نقدا لأجل الأجل المسمى أو غير المسمى أم لا يجوز ؟

والجواب :

أن البيع مبادلة شىء مرغوب فيه بمال يتراضى عليه الطرفان ، ويصح البيع بثمن حال وهو الأصل ، وبثمن مؤجل الى أجل معلوم حتى لا يفضى جهل الأجل الى نزاع . والزيادة فى الثمن لأجل الاجل محل خلاف بين الفقهاء المجتهدين ، والجمهور على جوازها وعدم تحريمها .

ويقول الامام الشوكانى فى كتابه « **نيل الأوطار** » ذهب الى تحريم بيع الشىء بأكثر من

سعر يومه لأجل النسأ ، زين العابدين على بن الحسين والناصر والمنصور بالله والهادوية ، والامام يحيى ، وقالت الشافعية والحنفية ، وزيد بن على والمؤيد بالله والجمهور انه يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه وهو الظاهر ٠٠ ويتمسك المانعون بحديث رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من باع بيعتين فى بيعة واحدة فله أوكسهما أو الربا** » ، وفى لفظ آخر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين فى بيعة واحدة ٠٠ وبما رواه سماك عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صفقتين فى صفقة : قال سماك : هو الرجل يبيع البيعة ويقول هو بنسأ بكذا وهو بنقد بكذا وكذا ٠ والقائلون بالجواز يقولون ان الأحاديث تدل على المنع بالصورة الواردة بها ،أما اذ قال بعتك نسيئة بكذا وكان أكثر من سعر يومه فان الأحاديث لا تصلح دليلا على عدم جواز هذه الحالة ٠٠ ويقول الشوكانى ان الدليل فى هذه الحالة أخص من الدعوة ، وقد جمعنا رسالة فى هذه المسألة وسميناها « **شفاء العلل فى حكم زيادة الثمن لمجرد الأجل** » وحققناها تحقيقا لم يسبق اليه ، وأرى الأخذ بما ذهب اليه جمهور الفقهاء من جواز شراء السلعة بثمن يزيد عن ثمنها الحالى لحصول التراضى بين الطرفين على ذلك ، ولعدم وجود موجب للمنع ، ولأن الناس فى حاجة الى شراء ما لا يقدرون على شرائه بثمن حال ، ولولا التقسيط فى أداء الثمن لعجز جمهور الناس عن الشراء ٠

كما أن التاجر فى حاجة الى النقد ليشترى به بضاعة بدل ما يبيعه ، لكن ينبغى على من يبيع بالأجل ألا يغالى فى الثمن حتى لا يضار المشترى بهذه الزيادة المبالغ فيها ٠ ولا يظهر الربا فى هذه الحالة نظرا لأن المشترى سينتفع بالسلعة التى يشتريها من وقت الشراء ٠

ثالثا :

٣ ـ هل يجوز للانسان معه كمبيالة مالية على انسان آخر تستحق بعد مدة معينة أن يعطيها لمصرف أو لتاجر ويقبض قيمتها بعد أن يخصم منها المصرف أو التاجر مبلغا يتفق عليه لقاء انتظار مدة استحقاق الكمبيالة أم لا ؟

والجواب :

أن هذه معاملة ربوية لأن المصرف أو التاجر سيدفع مالا لصاحب الكمبيالة وفى نظير تأخير حصوله على هذا المبلغ الذى دفعه يأخذ مالا معينا فى مقابل التأخير فيكون ربا محرما شرعا ٠

السؤال الثانى :

من السيد مصطفى سيد أحمد عيسى رئيس حسابات مخازن منطقة وسط القاهرة التعليمية :

« **أرجو افادتنا عن حكم الشرع فيما يأتى على صفحات مجلتكم « منبر الاسلام » :**

١ ـ التلقيح الصناعى بالنسبة للانسان ، هل يجوز شرعا أو لا يجوز ؟

٢ ـ هل يصح أن ينسب ابن التلقيح الصناعى الى رجل ـ زوج الملقحة صناعيا ـ وهل يترتب على ذلك الارث من الجهتين ؟

والجواب :

ان التلقيح الصناعى ـ فيما نعلم ـ أن يؤخذ حيوان منوى من الذكر ويعطى للمرأة التى تلقح صناعيا وينشأ عن هذا التلقيح الجنين الذى ينزل من بطن أمه خلقا سويا بعد أن يتم أيام الحمل ٠

وأغلب الظن أنهم يلجأون الى التلقيح الصناعى فى حالة عدم قدرة الزوج على انجاب الولد ٠ ولأجل بيان الحكم على جواز التلقيح الصناعى أو عدم جوازه من الوجهة الشرعية ينبغى أن نحيط حكما بالحقائق التالية :

١ ـ شرع الله الزواج لحفظ النسل وبقاء النوع الانسانى وأحل للزوج أن يستمتع بزوجته وأن تستمتع الزوجة بزوجها ، وقضى بثبوت نسب الولد من والديه اذا ولد من زواج صحيح ٠ فاذا جاء الولد من طريق آخر، بأن كان من ماء رجل أجنبى غير زوج الملقحة صناعيا كان الولد غير شرعى لا يثبت نسبه من الزوج ويسمى هذا الولد ولد الزنا ، ولا يثبت نسبه لغير أمه ولا يثبت نسبه للزانى لقوله صلى الله عليه وسلم : « **الولد للفراش وللعاهر الحجر** » والفراش فى الحديث يراد

منه فراش الزوجية الصحيحة ، والعاهر هى الزانية التى اتصلت اتصالا جنسيا بغير زوجها وأخذا من هذه الأحكام ينبغى أن نقول : **ان التلقيح الصناعى لايأخذ حكم الفراش الصحيح الذى ثبت به النسب شرعا ، ولهذا لا نرى جوازه** ، واذا أقدمت عليه الزوجة وثبت ذلك فعلا لا يثبت نسب ولد التلقيح الصناعى من الزوج ولا يرث منه ميراث الابن الشرعى من أبيه ٠ ولا يحقق التلقيح الصناعى الأغراض التى يحققها الاتصال الجنسى الذى أحله الله وأباحه بالزواج وجعله الوسيلة الوحيدة لحفظ النسل وضمان بقاء النوع الانسانى ليؤدى حكمة الله فى خلق الانسان ولذلك ينبغى ألا يباح هذا التلقيح الصناعى ٠

السؤال الثالث : من السيد عبد الوهاب يحيى محمد كامل مساعد أول فنى بالقوات الجوية ٠٠

يطلب السائل فى كتابه بيان عقيدة الشفاعة التى وردت فى قوله تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » وكثير من آيات القرآن الكريم ؟

والجواب :

ان الشفاعة بمعناها المعروف عند الناس ، وهو أن يطلب الشفيع من المشفوع عنده أن يفعل أمرا أو يدع أمرا من الأمور لأجله ، غير مقصودة من الشفاعة التى أثبتها الله تعالى فى القرآن الكريم والتى وردت بها الأحاديث الصحيحة لأن الشفاعة فى الدنيا بهذا المعنى ، ان كانت عند حاكم عادل لا يقبلها الا اذا تبين له أنها تهدف الى تحقيق العدل الذى غاب عنه علمه فاذا تبين له أنها تهدف الى الظلم بتحقيق مصلحة على حساب صاحب الحق فيها ، فانه يرفض هذه الشفاعة ولا يقبلها ، وان كانت الشفاعة عند حاكم ظالم يقبلها لقرب الشفيع منه أو لمجرد الرغبة فى أن تكون له يد عليه يمكنه أن يستفيد منها فى تحقيق ما تصبو اليه نفسه من أغراض بعيدة عن الحق والعدل، والشفاعة لهذا المعنى مستحيلة على الله لأن الله سبحانه لا يرضى ظلم أحد من عباده ، ولأن علمه قد أحاط بكل شىء فلا يتصور أن تزيده شفاعة الشافعين علما بشىء من الأشياء

ولذلك ورد فى كثير من الآيات التصريح بعدم منفعة الشفاعة ٠ وبنفيها يوم القيامة ٠ قال تعالى :

« واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون » ٠

وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ٠٠ والكافرون هم الظالمون»

وقال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات يتسائلون عن المجرمين ما سلكم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين » ٠

وقد أثبتت بعض الآيات الشفاعة يوم القيامة باذن الله تعالى أو لمن يرتضى الله له الشفاعة ٠ ولذلك يمكن أن يؤمن المسلم بالشفاعة يوم القيامة ويفوض أمر علمها الى الله سبحانه أو أن يؤولها تأويلا يتفق مع ما ثبت من اتصاف الله سبحانه بجميع صفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص وهو ما رآه العلماء بالنسبة للآيات المتشابهات ، وقد ورد قوله تعالى :

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ٠٠ فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب » ٠

فيؤمنون بثبوت الشفاعة لله تعالى ويفوضون أمر المراد منه لله تعالى ، أو يقولون ان معنى الشفاعة عند الله الدعاء فيدعو العبد ربه يوم القيامة ، ويأذن الله تعالى بالشفاعة لمن يرتضى شفاعته ، واستدلوا على ذلك بالآيات المشار اليها وبالحديث الصحيح الذى ورد فى الصحيحين وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم « **يسجد يوم القيامة ٠٠ ويثنى على الله تعالى بثناء يلهم به يومئذ ،**

البقية صفحة ١٩٠

فتوى

فضيلة الشيخ أحمد هريدي

هذا هو النص الكامل لفتوى مفتى الديار

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

اطلعنا على الطلب المقدم من السيد الشيخ أحمد العجوز ، رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم فى بيروت المقيد برقم ١٠٥٧ سنة ١٩٦٢ الذى يطلب فيه الافادة عن الآتى :

أولا - هل يجوز للرجال أو للنساء لبس البرنيطة أو البريه أو المعطف أو السترة أو البنطلون أو غيره أم لا ؟

ثانيا - هل يجوز للرجال أو للنساء لبس الخاتم أو السوار أو السلسلة أو الساعة أو غيرها من الذهب أو من الفضة أو من النحاس أو من الحديد أو من غيره أم لا ؟

ثالثا - هل يجوز للانسان أن يعتقد أو يتوهم أن يصيبه مرض أو موت أو غيره من الأعداد أو من الشهور أو من الأيام أو من دخول بيت أو من لبس ثوب أو من غيره أم لا ؟

الجواب

عن السؤال الأول :

ان لبس البرنيطة أو البيريه للرجال أو للنساء ، لمن لا يقصد بلبسهما سوى مجاراة العادة فى قومه ، أو يقصد به مصلحة لبدنه كاتقاء وهج الشمس ، أو غير ذلك من المقاصد المحمودة لا بأس به ، **بل عند قصده الحسن لتحقيق مصلحة أو دفع ضرر يكون ذلك حسنا** .. أما المعطف أو السترة أو البنطلون ، فقد أصبحت ملابس قومية ، **وليس فى لبسها على الرجال أو النساء من حرج ، ما لم يقارنها ما يحرم شرعا .**

عن السؤال الثانى :

ان الله - سبحانه وتعالى - قال فى كتابه العزيز :

« **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ؟ » فالأصل اباحة التزين بكل ما خلق الله للانسان فى هذه الدنيا ، وقد جاءت السنة مخصصة لهذا العموم .. **فحرمت على الرجال لبس الذهب أو استعماله، الا فيما قضت الضرورة باستعماله منه ..** لحديث على - رضى الله عنه - : « **رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ حريرا فجعله فى يمينه ، وذهبا فجعله فى شماله .. ثم قال : ان هذين حرام على ذكور أمتى** » .. رواه أبو داود باسناد حسن ..

وزاد ابن ماجة « **حل لاناثهم** » ولحديث أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« **حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأحل لأناثهم** » . رواه الترمذى، وغير ذلك من الأحاديث التى وردت فى هذا الباب ،

ومنهــا حديث البراء بن عازب قال : نهانا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سبع : عن خاتم الذهب ، أو قال : حلقة الذهب » .. رواه البخارى ..

والى ذلك ذهب جمهور الفقهاء : فانهــم حرموا لبس الذهب واستعماله على الرجال دون النساء ، عملا بهذه النصوص ولم يســتثنوا من هذا العموم بالنسبة للرجال الا ما تقضى الضرورة باستعمالهم له ، مثل الأنف لمن قطع أنفه لما روى أن عرفجة بن أسعد قطع أنفه يوم الطلاب ، فاتخذ أنفا من ورق فأنتن عليه، فأمره النبى ـ صلى اليه عليه وسلم ـ أن يتخذ أنفا من ذهب . رواه أبو داود .

وشد السن بالذهب لمن دعت حاجته اليه، لما رواه الأثرم عن أبى حمزة وموسى بن طلحة وأبى رافع واسـماعيل بن زيد بن ثابت : انهم شدوا أسنانهم بالذهب . وقال أحمد : روى أنه كان فى سيف عثمان بن ضيف مسمار من ذهب .. وقال : انه كان لعمر سيف فيه سبائك من ذهب .. من حديث ابن أمية عن نافع ..

وروى الترمذى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل مكة وعلى سيفه ذهب وفضة . وغير ذلك من الآثار التى ورد فيها حل استعمال الذهب للرجال اذا دعت الضرورة الى ذلك .. والى ذلك ذهب الحنفية ، فقد جاء فى الجـزء الخامس من تنوير الأبصار وشرحه فى الحظر والاباحة ما ملخصه :

ولا يتحلى الرجل بذهب وفضـة الا بخاتم ومنطقة وحلية سيف من الفضة اذا لم يرد به التزين ، ويتخذ أنفا من الذهب ، ويشد السن به عند محمد . وهو رواية عند أبى يوسف..

وذهب الشـافعى الى مثل ذلك .. قال النووى فى المجموع :

« يجوز لمن قطع أنفه اتخاذ أنف من ذهب ، وان أمكن اتخاذه من الفضة ، وفى معنى الأنف السن والأنملة ، فيجوز اتخاذهما ذهبـا بلا خلاف ..

ثم قال : ان اضطر الى الذهب جاز استعماله باتفاق فى المذاهب ، فيباح له الأنف والسن من الذهب ، والى ذلك ذهب المالكية والحنابلة فالذهب حرام على الرجال فيما عـدا ما تقضى الضرورة باستعماله منه، ولا يدخل فى الذهب المحرم ما موه بالذهب، لأنه لا يمكن استخلاصه ولا يطلق عليه اســم ذهب .. وكذلك يكره استعمال الفضة للرجال دون النساء الا الخاتم .. فقد جوز الأئمة الأربعة اتخاذه من الفضة للرجل ، لما روى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان له خاتم من فضة وكان فى يده الكريمة حتى توفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم فى يد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ الى أن توفى . ثم فى يد عمر ـ رضى الله عنه ـ الى أن توفى، ثم فى يد عثمان ـ رضى الله عنه ـ الى أن وقع من يده فى البئر ، فأنفق مالا عظيما فى طلبه فلم يجده .

والا ما تقضى الضرورة باستعماله منها .. وقد ذكرنا ما جاء فى تنوير الأبصار من قوله « لا يتحلى الرجل بذهب ولا فضـة الا بخاتم ومنطقة وحلية سيف من الفضة اذا لم يرد به التزين » .

والى ذلك ذهب جمهور الشافعيــة ، قال الرافعى فى الشرح الوجيز : « يجوز للرجل التختم بالفضة »، لما روى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتخذ خاتما من فضة ، وحل له لبس ما سوى الخاتم من حلى الفضة كالســوار والدملج والطوق ، ولفظ الكتاب يفيد المنـع حيث قال : « ولا يحل للرجل الا التختم به »، وبه قال الجمهور .

وقال أبو سعيد المتولى : اذا جاز التختـم بالفضة ، فلا فرق بين الأصابع وسائر الأعضاء كحلى الذهب فى حق النساء ، فيجوز له لبس الدملج فى العضد والطوق فى العنق والسوار فى اليد وغير هذا .. وبهذا أجاب المصـنف فى الفتاوى .. وقال :

« لم يثبت فى الفضة الا تحـريم الأوانى ، وتحريم الحلى على وجه يتضمن التشبه بالنساء

.. وكره الحنفية التختم بغير الفضة ، قال فى الدر المختار: **ولا يتختم الا بالفضة لحصول الاستغناء بها فيكره بغيرها كحديد وصفر ورصاص .**

وجاء فى حاشية رد المحتار على الدر : روى صاحب السنن باسناده الى عبد الله ابن بريرة عن أبيه أن رجلا جاء الى النبى - صلى الله عليه وسلم - وعليه خاتم من شبه « نحاس » فقال : ما لى أجد فيك ريح الأصنام ، فطرحه ، ثم جاء وعليه خاتم من حديد . فقال ما لى أجد عليك حلية أهل النار فطرحه ، فقال يا رسول الله أى شىء أتخذه ؟ فقال : **اتخذه من ورق « فضة » ولا تتمه مثقالا .**

ويخلص من ذلك :

١ - الذهب حرام على الرجال دون النساء عند جمهور الفقهاء ، عدا ما استثنى منه للضرورة ، فانه مباح للرجال ، وعدا الأوانى فانها حرام على النساء أيضا .

٢ - الفضة مكروه استعمالها للرجال عند الحنفية ، وجمهور الشافعية الا التختم فانه يجوز التختم بالفضة بغير كراهة ، والا ماتقضى به الضرورة . ويحرم على النساء اتخاذ الأوانى من الفضة بالنص .. وذهب بعض الشافعية الى جواز استعمال الفضة للرجال بدون كراهة بشرط أن يكون استعمالهم لها على وجه لا يتضمن التشبه بالنساء .

٣ - ما عدا الذهب والفضة من حديد ونحاس وخلافهما باق على الأصل وهو الاباحة ولم يخالف فى ذلك الا الحنفية الذين كرهوا التختم بشىء من المعادن المذكورة .

عن السؤال الثالث :

كان التطير والتشاؤم فى الجاهلية ، فجاء الاسلام برفع ذلك . ففى الحديث : « **لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر** » ، وفيه « **لاعدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل الحسن** » **وفيه أيضا « من تكهن ، أو رده عن سفر طير ، فليس منا** » . ونحو ذلك من الأحاديث ..

وذلك اذا اعتقد أن شيئا مما تشاءم منه من عدد أو وقت ، أو طير ، أو غيره موجبا لما ظنه ، ولم يضف التدبير الى الله - سبحانه وتعالى - **فأما اذا علم أن الله هو المدبر ولكنه أشفق من الشر .. لأن التجارب قضت بأن يوما من الأيام ، أو وقتا من الأوقات يرد فيه مكروه ، فان وطن نفسه على ذلك أسماء .. وان سأل الله الخير ، واستعاذ به من الشر ، ومضى متوكلا ولم يتشاءم لم يضره ما وجد فى نفسه من ذلك ، والا فيؤاخذ به** لأن التشاؤم سوء ظن بالله - سبحانه وتعالى - بغير سبب محقق .

وربما وقع به ذلك المكروه الذى اعتقده بعينه عقوبة له على اعتقاده الفاسد .. ولا تنافى بين ما ذكر وبين ما رواه عبد الله ابن مسعود - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« ما الشؤم فى المرأة والدار والفرس » ..

وفى رواية عنه أيضا قال : ذكروا الشؤم عند - النبى صلى الله عليه وسلم - فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « **ان كان الشؤم فى شىء ففى الدار والمرأة والفرس** » . لأن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يشير بهذا الى تخصيص الشؤم بمن تحصل منه العداوة والفتنة ، لا كما يفهم بعض الناس من التشاؤم بهذه الأشياء ، أو أن لها تأثيرا ، وهى ما لا يقول به أحد من العلماء .

يؤيد هذا ما رواه الطبرانى أن من شقاء المرء فى الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة ، وسوء الدار ضيق ساحتها وخبث جيرانها ، وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها ، وسوء المرأة عقم رحمها ، وسوء خلقها ..

ومما سبق بيانه يعلم أن التشاؤم بالأرقام والأيام وغيرها منهى عنه شرعا ، لأن الأمور تجرى بأسبابها ، وبقدرة الله ، ولا ارتباط لهذه الأشياء بخير يناله الانسان أو شر يصيبه .. والله - سبحانه وتعالى - أعلم .

خطاب مفتوح

الى رائد القومية العربية
السيد الرئيس
جمال عبد الناصر

تلقى السيد/رئيس التحرير رسالة من السيد/صالح محسن مقبل ضالعى من أمارة الضالع جبل جحاف بالجنوب العربى ، يعبر فيها عن شعوره الفياض وماتكنه نفسه من اخلاص وولاء لباعث النهضة الكبرى وقائد القومية العربية السيد / الرئيس جمال عبد الناصر ويرجو أن تنشر هذه الرسالة على صفحات « منبر الاسلام » وهانحن نحقق له هذه الرغبة الكريمة فننشر رسالته بكامل نصها .

سيدى الرئيس قائد القومية العربية ورائدها وباعث نهضتها السيد/الرئيس جمال عبد الناصر ، تحية طيبة أبعثها اليك من أعماق قلبى .. تحية العروبة والاسلام أزفها اليك من صميم قلبى وأعمق شعورى متمنيا لك دوام المجد والنصر على الاستعمار والرجعية أعداء الشعوب العربية والقومية العربية معا ، وانى لمسرور جدا يا سيادة الرئيس أن أبعث اليك بهذه الرسالة لأعبر لكم فى طياتها عما يجول فى مشاعرى واحساسى من محبة وولاء لكم ولشخصكم العظيم الذى يتخذه الأحرار قدوة حسنة لهم ، واننى ياسيادة الرئيس أعلن أصالة عن نفسى ونيابة عن اخوانى فى امارة الضالع تأييدنا التام لما أبديتموه من اهتمام خالص بالثورة اليمنية الباسلة ، ونبدى أسفنا الشديد للتدخل الرجعى الذى تقوم به السعودية والأردن فى شئون اليمن الثائرة، ونحن نشكركم ياسيادة الرئيس على أعمالكم الجليلة وخدماتكم الطيبة للقومية العربية لاسيما مساندتكم لثورة اليمن المجيدة التى هى أمل كل عربى يؤمن بالحرية والعدالة والاشتراكية العربية المنبثقة من قاموس العدالة ..

سيادة الرئيس : بأى لسان نشكركم وبأى طريقة نجازيكم على أعمالكم الطيبة التى تهدف

الى توطيد بناء دعائم القومية العربية من أجل التخلص من حكامها الطغاة المستبدين الـــذين لاخير فيهم لشعوبهم وأوطانهم ٠٠ وبأى صورة ياسيادة الرئيس سنجازيكم على تحملكــــم المتاعب الشاقه من أجل هذه الشعوب المعذبة المغمورة فى بحور من الدماء وأمواج من الظلم والارهاب ، ومهما حاولنا الجزاء ولو بارواحنا فان هذا قليل فى حقك ٠٠ ولكن اللهلايضيع أجر المحسنين » وان ثورتكم المجيدة قدرفعتنا الى قمة الشرف وجعلتنا نشعر بأننا عـــرب لنا حقنا فى الحرية والكرامة بعد أن كنا قـد فقدناها فى عصور الملكيــة الفــاسدة التى لايحبها الا أعداء العروبة والاسلام ٠ ولا أبالغ ياسيادة الرئيس عندما أقول لولا سياستكـم الحكيمة ومساندتكم الجبارة لثورة اليـمن لأصبحت اليمن الأردن الثانية ترسى فيهــــا القواعد الاستعمارية لضرب الحركات التحررية والقضاء عليها فى الشمال والجنوب ،ولولا مساندتكم لأصبحت السعودية نفسها فلسطين الثانية لاسامح الله ، واننى لا أبالغ ياسيــادة الرئيس اذ أقول ان معجزة القومية العربيــة ومطالبها قد تحققت وستتحقق على أيديكم دون شك ولاريب ، ومهما تكتلت الرجعيــة والاستعمار لتشويه الحقائق فان النصر لــك ولمن سار فى طريقك الســـمحة ، ولا أبالغ أيضا ياسيادة الرئيس حينما أقول انالشعوب العربية مستعدة للكفاح ضـــد كل من يمس سياستكم بسوء ، ونحن أبناء الجنـــوب والشمال لو سألنا سائل وقال من هو ولى أمركم ؟ لقلناها بصراحة وبعزم واخلاص انـك أنت ولا زعيـــم غيرك ، وان كل القرارات الاشتراكية وغير الاشتراكية التى تصدرعنك انما نطبقها فى قلوبنا دون ان نحذف منها أى بند من بنودها ، واذا لم نطبقها بالأمـــوال فنحن نضعها فى الحنايا حتى يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ٠

وختاما ياأبا الوليد تقبل تحياتى الصادقة

وأكتفى بالدعاء والابتهال الى الله أنينصركم على أعدائكم وعلى حسين وسعود وأرجو من الله أن يمتعنا بطول حياتكم حتى تتحققأمانى الشعوب العربية على أيديكم وأرجو لكم صحة جيدة وحياة سعيدة ٠٠ لكم ولشعبكم المناضل المكافح المؤمن بحريته وعدالته ٠٠ وأرجـــو الله ان يمن عليـــكم بوابل من الطائرات السعودية والأردنية الهاربات الى ظل عدالتكم كما من عليكم قبل ذلك وهو على كل شىء قدير وسلامى عليكم ورحمة الله

خادمكم المطيع ورهن اشارتكم

صالح محسن مقبل ضالعى

باقى مقال أنت تسأل والمفتى يجيب

فيقال له : ارفع رأسك وسل تعط واشــفع تشفع ويأذن الله تعالى لرسوله بالشفاعة يوم القيامة لمن ثبت فى علمه أنه يستحق العفو عن الذنب ، وكانت ارادته سبحانه وتعالى قاضية بالعفو عنه ، ولو لم يشفع له أحد من الأنبياء والمقربين » ٠

والشفاعة على هذا المعنى منزلة يظهر بهـا فضل من يأذن الله بشفاعته يوم القيامة ٠٠ ولا تؤثر فى ارادة الله تعالى ولا فيمـا يقضى به علمه ولا تغير ما فى علم الله تعالى بالنسبة للمشفوع وبذلك يتم تأويل الشـفاعة تأويلا لا يتعارض مع الثابت فى الآيات الأخرى ، ولا تكون الشفاعة على هذا المعنى مماثلة للشفاعة المعروفة بين الناس فى الدنيا ، والتى تجوز فى حقه تعالى ٠ ويجب على كل مسلم أن يؤمن بهذا المعنى وبأن يتقدم يوم القيامة بعمله الذى أمره الله تعالى به وألا يعتمد على شفاعة أحد سواء قلنا بأننا نفوض أمر الشفاعة الى الله تعالى أو قلنا ان المراد منها الدعاء يوم القيامة الذى يأذن الله به لمن يرتضى شفاعتهم اظهارا لكرامته عنده لقوله تعالى :

« **يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمـل مثقال ذرة شرا يره** » ٠

ولا يجوز للمسلم انكار الشفاعة لثبوتهـا فى كثير من الآيات ولثبوتها بالسنة الصحيحة أيضا وبالاجماع والله أعلم ٠

نظرات في آراء ابن حزم ومنزلته في الإسلام

الدكتور جمال الدين الرمادى

كان ابن حزم أديبا رائق المعنى ، جيد العبارة ، حلو الأسلوب ، وكان شاعرا رقيق المعانى ، طليق الخيال ، وكانت له مصنفات أدبية مشهورة ، منها كتاب « طوق الحمامة » بيد أنه كان قبل هذا كله ، وبعد هذا كله ، بل فوق هذا كله فقيها اسلاميا ظاهريا ، سلك فى بحثه منهاجا اسلاميا دقيقا ، ومضى يشرح فقه الصحابة والتابعين ، فأخرج الكنوز الوافرة من المعرفة ، والنمير العذب السلسبيل من العلم الذى ظل يورده الفقهاء والعلماء سنوات طويلة .

عاش ابن حزم فى الأندلس ، وولد نحو عام ٣٨٤ من الهجرة على وجه التقريب ، فى بيئة اشتهرت بحب العلم والاقبال عليه ، وتشجيعه ، وفى عصر ازدهرت فيه الآداب والعلوم والفنون ، وكان يعتز بأنه طلب العلم من أجل العلم ، لا يبتغى وراء ذلك جزاء ولا شكورا ، ولا يلتمس من وراء ذلك جاها ، ولا رزقا ، ويروى فى هذا الباب أن ابن حزم تناظر مع الباجى شارح الموطأ فقال الباجى « أنا أعظم منك همة فى طلب العلم ، لأنك طلبته وأنت معان عليه ، فتسهر بمشكاة الذهب وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق ، فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك ، لأنك انما طلبته وأنت على هذه الحال رجاء تبديلها بمثل حالى ، وأنا طلبته فى حال ما تعلمه وما ذكرته ، فلم أرج به الا علو القدر العلمى فى الدنيا والآخرة » .

وهكذا طلب ابن حزم العلم ابتغاء وجه العلم وحده لأنه كان على جانب موفور من اليسار ، وبسطة العيش لولا أنه ذاق مرارة السجن ، وذل الانعزال ، ورأى ابن حزم الدولة الأموية فى الأندلس ، ونجمها ينحدر الى المغيب ، ويشرع فى الأفول ، ثم تنتفض فيها الحياة مرة أخرى ، ويدب منها ماء الحياة من جديد . وقد خاض ابن حزم معترك السياسة بيد انه لم يلبث أن نفض نفسه عنها ، وانصرف الى الدراسة والبحث والكتابة ، ونشر آرائه ومناظراته ورسائله .

وقد حفظ ابن حزم القرآن الكريم والحديث الشريف ، حتى روى المقرى فى نفح الطيب ، قال صاعد فى تاريخه « كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، وأوسعهم معرفة ، مع توسعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار ، أخبرنى ابنه الفضل أنه اجتمع بخط أبيه من تواليفه نحو أربعمائة مجلد .. قال الذهبى « كان اليه المنتهى فى الذكاء وحدة الذهن ، وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب ، والملل والنحل ، والعربية والآداب ، والمنطق والشعر مع الصدق والديانة ، والحشمة والسؤدد والثروة ، وكثرة الكتب قال الغزالى رحمه الله تعالى **« وجدت فى أسماء الله كتابا لأبى محمد بن حزم يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه » .**

وقال ابن حيان فى علم ابن حزم « كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب ، وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع المشاركة فى كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة ، وله فى بعض تلك الفنون كتب كثيرة غير أنه لم يخل من غلط وسقط لجراءته على التسور على الفنون »

وقد اتبع ابن حزم فى منهجه الاسلامى منهجا عقليا عاما ، دعمه بموازين ومقاييس عقلية لا ينحرف عنها ، فالانسان بمقتضى كونه انسانا عنده علم البديهيات أو ما يطلق عليه علم النفس ، فالنفس السليمة تحيط بهذه البديهيات من غير تعلم وتؤمن بها من غير تلقين ، وهى الأساس الذى يقوم عليه علم الانسان ، والخاصة الطبيعية التى تميز بها عن الحيوان ، ولذلك كان يقول **« لا سبيل الى الاستدلال البتة الا من هذه المقدمات « البديهيات »**

وقرر أن أوصاف الأشياء خواص لازمة خلقها الله سبحانه وتعالى ، وهى دائمة لاتتغير ولا تتحول **« فالطبائع والعادات مخلوقة لله سبحانه وتعالى ، خلقها عز وجل فرتب الطبيعة على أنها لا تستحيل أبدا ، ولا يمكن تبدلها عند كل ذى عقل ، كطبيعة الانسان بأن يكون ممكنا له التصرف فى العلوم والصناعات ان لم تعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغال بأنه غير ممكن منها ذلك ، وكطبيعة البر ألا ينبت شعيرا ولاجوزاوهكذا كل مافى العالم ، والأقوام مقرون بالصفات ، وهى الطبيعة نفسها ، لأن من الصفات المحمولة فى الموصوف ما هو ذاتى به ، لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه ، كصفات الخمر التى ان زالت عنها صارت خلا ، وبطل اسم الخمر عنها ، وهكذا كل شىء له صفة ذاتية »**

وكان يعتقد أن الرذائل لا تقع الا عن غفوة من العقل المفكر السليم ويستدل على ذلك بقول فئة من الكافرين يوم البعث **« لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » بل انهم اعترفوا أن عدم استعمالهم العقل كان ذنبهم الأكبر وجريرتهم الكبرى على نحو ماجاء فى كتابه العزيز « فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير »**

على هذا النحو كان يؤمن ابن حزم بسلطان العقل ، ويعتقد انه وسيلة الايمان وان هناك بديهيات لا سبيل الى انكارها أو الشك فيها أو العدول عنها .

وكان ابن حزم يعمد الى الجدل ، ويرى وجوب الجدل المحمود بعمل الصحابة اذ تحاج المهاجرون والأنصار وسائر الصحابة رضوان الله عليهم ، وحاج ابن عباس الخوارج بأمرعلى رضى الله عنه ، وليس هناك أضعف ممن يروم ابطال الجدال بالجدال ويريد هدم جميع الاحتجاج بالاحتجاج ويتنكف فساد المناظرة .

والجدل الذى كان يدعو اليه ابن حزم هو طلب الحق ونصره ، وازهاق الباطل وتبيينه فمن طلب الحق وأنكر هدم الباطل فقد ألحد ، والخصام بالباطل هو اللدد عنده وهو الذى قال فيه عليه السلام **« أبغض الرجال الى الله الألد الخصم »**

وكان أسلوب ابن حزم يميل الى الاسهاب أكثر مما يميل الى الايجاز ، ويجنح الى الاطناب أكثر مما يجنح الى الاختصار ، ومن هنا جاءت عبارته سهلة واضحة غير مستغلقة على الأفهام ولا مستعصية على الأذهان .

ويقرر ابن حزم ان الوحدانية من البديهيات أو ماأطلق عليه (علم النفس) فقال (وأول ما يلزم كل أحد ، ولا يصح الاسلام الا به ، أن يعلم المرء بقلبه علم يقين واخلاص لا يكون لشىء من الشك فيه أثر ، وينطق بلسانه بأن لا اله الا الله محمدا رسول الله » .

وهذه الوحدانية الربانية تتطلب بأن يؤمن الانسان بأن الله خالق كل شىء وهو سبحانه جل وعز اله لكل شىء ، وخلق كل شىء لغير علة أوجبت عليه أن يخلق فالعالم لم يصدر عنه سبحانه وتعالى صدور المعلول عن علة بل خلقه سبحانه وتعالى وهو المريد القادر الفعال لما يريد .

فلا معبود الا الله سبحانه وتعالى ، وما اتخذه أهل الجاهلية الأولى من آلهة وأصنام وأوثان يعبدونها من دون الله ضلال فى ضلال وباطل فى باطل ، ثم ان الله وحده هو الخالق للبرايا أجمعين ولا خالق غيره جل ثناؤه كما أن الله تعالى لا يشابهه أحد من الحوادث ، ولم يكن له كفوا أحد ، وليس سبحانه وتعالى بجسم ولا مركب من أجزاء ، ولا يحد وجوده زمان ، ولا يحل فى مكان وسبحانه وتعالى غير متعدد فى ذاته ولا صفاته كما زعم النصارى فى الأقانيم .

ويفسر ابن حزم اليد فى قوله تعالى ((**يد الله فوق أيديهم**)) وقوله ((**لما خلقت بيدى استكبرت**)) وقوله تعالى ((**مما عملت أيدينا**)) وقوله تعالى ((**بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**)) يفسر اليد أو اليدين أو الأيدى بأن المراد الله سبحانه وتعالى فمعنى ((**يد الله فوق أيديهم**)) الله فوق أيديهم — ومعنى ((**يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**)) الله ينفق كيف يشاء ، ومعنى « **مما عملت أيدينا** » مما عملنا

ويقول ان هذا مجاز ظاهر يفهمه كل عربى، ويرى أن القرآن كله جلى واضح ، لا تستغلق على العقول معانيه ، ولا تستبهم على ذوى المدارك ألفاظه ولا سيما اذا استعان قارئه بشارحه الكريم وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندئذ لا تكون هناك ريبة لستريب ، ولا مظنة لظان .

وقد ساند ابن حزم المذهب الظاهرى فى الأندلس ، وكان له فى القرن الرابع الهجرى مقام ودعاة ومدافعون ، ودافع ابن حزم عن مذهب داود بن على دفاعا مجيدا ، وناصر مذهبه عدد كبير من وجوه القوم نذكر منهم منذر بن سعيد وكان من أعلام القضاة ورجال الفقه والعلم والخطابة ، وكان يتمتع بمنزلة رفيعة عند الناصر الخليفة الأموى وعند كافة طبقات الرعية .

وكان أتباع المذهب الظاهرى ينادون باظهار القول بالظاهر وفى ذلك يقول البغدادى فى داود بن على رائد هذا المذهب ((**انه أول من أظهر انتحال الظاهر ، ونفى القياس فى الأحكام قولا ، واضطر اليه فعلا ، فسماه دليلا**))

وقال صاحب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم « **انه كان رابع مذهب فى القرن الرابع فى الشرق** » وكان الثلاثة التى هو رابعها مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك فكأنه كان أكثر انتشارا من مذهب ابن حنبل .

وقد تعرض ابن حزم لمحن شتى وارزاء شديدة ، وخطوب فسيحة منها السجن والأسر والتشريد والتعذيب بيد أن ابن حزم واجهها جميعا بصدر رحب ، ونفس راضية مرضية ، وايمان ثابت لا تزعزعه الأهوال وهو راسخ رسوخ الجبال . كما أن ابن حزم أحرقت كتبه ، وتركت طعمة للنيران وحصادا للهيب ، وغدت رمادا تذروه الرياح ولذلك عقد المؤرخون مقارنات بينه وبين الامام ابن حنبل فقالوا ((واذا كان ابن حنبل — رضى الله عنه — قد اضطهد فى عهد أبى جعفر المنصور وضرب بالسياط ، فامام الأندلس ابن حزم قد حرقت كتبه فى عهد المعتضد .

وليس من شك فى أن الدافع الذى حدا المعتضد الى الأمر بارتكاب هذا المنكر هو تأليب الفقهاء عليه ، مخافة أن يأتى ابن حزم بمذهب جديد لا يتصل بالمذاهب الأربعة بسبب أو بنسب ، والله يعلم السر وأخفى .

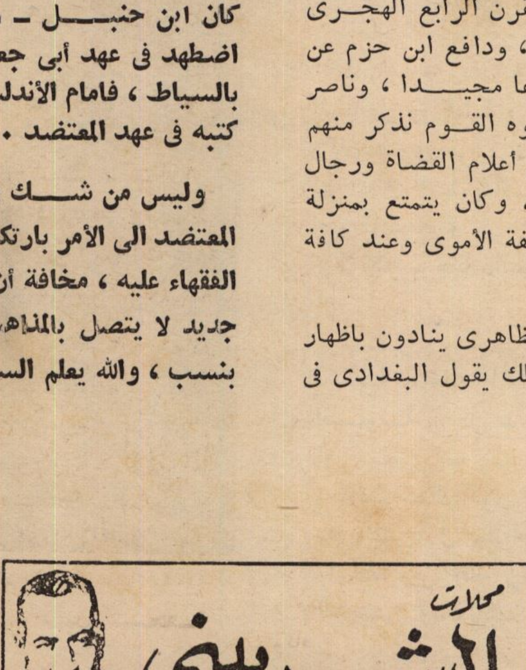

خاريلاوس داليس الذي أصبح محمد طالب

كنت فى طريقى الى المطار لاستقبال زعيم اسلامى كبير . قدم ضيفا على « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » من الكونغو . ولم يكن يدور فى خلدى أن أخرج من هذا اللقاء بموضوعى : لماذا أسلمت .

ورحبنا بالسيد الضيف.ومرت الاجراءات سريعة كالمعتاد الا أن وجهى علته الدهشة حينما تصفحت جواز سفره فوجدت اسما غريبا عليه (خاريلادس داليس يونانى الجنسية) .

ودارت فى رأسى أسئلة كثيرة عن شخصية هذا الضيف . كنت ذاهبا لاستقبال زعيم أفريقى اسلامى . فأجد نفسى أمام شخصية أخرى مسيحى يونانى .. ووقفت مشدوها .. وظل هو يراقب خلجات وجهى وربت على كتفى وقال سأحدثك بما دار فى خلدك . اننى مسيحى وقد أسلمت .

ومرقت بنا العربة فى خلال طريقنا الى الفندق وفى الطريق حدثنى عن أغرب قصة . قصة أدت الى تغيير مجرى حياته . من مسيحى الى زعيم اسلامى .

فقال :

ذات يوم ومنذ واحد وثلاثين عاما . وعلى الساحل فى **كينيا** قررت أن أعتنق **الاسلام** . وكان عمرى فى ذلك الوقت عشرين عاما .. قررت أن أعتنق الاسلام لعدم اقتناعى بدينى وهو المسيحية .

لا تعجب فأنا دائما لا أقبل شيئا الا باقتناع تام

كنت وأنا مسيحى لا أعترف بهذه العقائد الكنسية لمنافاتها للعقل السليم. كنت أناقش القساوسة فى كل هذا ومع ذلك كانوا يردون على أسئلتى بما لا يفيد .

كانت هناك أمور لا يقبلها العقل فهناك معتقدات تقول **بتأليه العذراء مريم** . وجعلها كواسطة بين **الله والانسان** وكالايمان بالقديسين وشفاعتهم الى الله . وكفكرة المظهر التى يقولون فيها أن **الروح** بعد أن تخرج من **الجسد** تظل معلقة بين السماء والأرض لا يدفعها الى السماء الا الصلوات والصدقات التى يقوم بها الأحياء – أهل الميت – كل هذه الأمور كنت أسمعها . ولكن أظل حائرا .

هل الانسان يرضى بأن يكون الها . وهل هناك وسطاء بين الله وعباده . وهل صحيح أن الروح تعلق بين السماء والأرض ؟

واقف مفكرا واجد أن كل هذه الأمور لا يقبلها عقلى .

وأخذت أبحث . وقرات الكثير ولكن لم اقرأ عن ((**الاسلام**)) وهدانى العقل الى مهاجمة هذه العقائد . وهذه الأقاويل . فطردت من الكنيسة بل تطور الأمر الى أن طردت من اليونان فسافرت الى كينيا .

والتقيت هناك بأشخاص كثيرين . منهم المسلم . ومنهم اليهودى ومنهم المسيحى وتناقشت معهم فى العقائد .

وأخذت منذ ذلك الوقت أقرأ عن الاسلام فوجدت فيه مرتعا خصبا لى . وجدت فيه حلا للمشاكل والمسائل . حلا يقبله العقل باقتناع تام . وجدت أن الروح من عند الله سبحانه وتعالى اذ يقول : ((ويسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربى)) فلم يقل الاسلام أن الروح معلقة بين السماء والأرض

وجدت فى الاسلام أن الله ((واحد)) لا اله الا هو . فليس هناك روح ولا ابن ولا قدس . بل اله واحد . الله لا اله الا هو الحى القيوم

وجدت فى الاسلام أن لا وساطة بين العبد وربه . اذ يقول الله سبحانه وتعالى

((واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)) .

وجدت فى الاسلام أمورا كثيرة عقلية يتقبلها المكلفون دون حاجة الى اقناع

لقد عشت ثلاث سنوات أدرس الاسلام . فتقبله عقلى مسرعا خصوصا وأنا كنت مستعدا لتقبله . واعتنقت الاسلام وأخذت على عاتقى أن أهدى من أستطيع الى الاسلام . وسافرت الى اليمن . وقضيت سنتين هناك تعلمت القرآن فيهما وبعض أصول الدين . تعلمت كل هذا جنبا الى جنب مع الشيخ أحمد محمد .. ممثل اليمن فى الجامعة العربية الآن .

وبعد ان أتقنت أصول الاسلام وتعمقت فيه رأيت أن الاستعمار يبشر فى بلاد افريقيا للمسيحيين ويضلل هناك فحملت متاعى وسافرت الى الكونغو سنة ١٩٤٦ ولكن السلطات البلجيكية طردتنى من هناك وقد كانت للكنيسة الكاثوليكية يد فى ذلك اذ أنها كانت تتبعنى منذ أن طردت من اليونان .

فذهبت الى ((**زنجبار**)) وعشت هناك الى أن استقل الكونغو فى سنة ١٩٦٠ فعدت الى هناك . واخترت مقاطعة بوكافو حيث يوجد هناك سبعون ألف مسلم . وأخذت أتدارس معهم الاسلام . وكونا جمعية سميت باسم ((**الرابطة الاسلامية**)) واخترت رئيسا للجمعية .

ومنذ شهرين اجتمع مجلس الجمعية وقرر ارسالى الى **السودان** .. فحزمت متاعى وسافرت الى هناك لكى أعقد صلات وثيقة بين مسلمى الكونغو ومسلمى السودان . بل ان على عاتقى أن أتجول فى جميع أنحاء العالم كى أساعد فى نشر الاسلام . وها أنا تجدنى اليوم فى **الجمهورية العربية المتحدة** بدعوة **من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية** لكى أشرح أحوال المسلمين فى الكونغو وأحصل على منح دراسية لهم .

وطوت العربة الطريق ووصلت الى الفندق وأنا أقول لنفسى يجب أن يفخر الاسلام بهذا الرجل الذى انضم الى حظيرته فأصبح زعيما لمسلمى الكونغو .

الإعلانات بمجلة منبر الإسلام
يتفق عليها مع وكيل الإعلانات
السيد/ مصطفى كامل محمد
١٠ شارع علوى بالقاهرة ت ٥٩٩١٥ - ٧٢٦٦٤

أخبار عربية

كتب اسلامية
هدية للجزائر

أهدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الى حكومة الجزائر ١٥٠ نسخة من المصحف المرتل ومكتبة تضم ستة آلاف كتاب اسلامى - عربى ، فرنساوى - للاسهام فى نشر الوعى الثقافى والدينى بالجزائر

الرئيس يهدى المصاحف
لقباطنة السفن

أهدى الرئيس جمال عبد الناصر مصاحف الى ثلاثة من قباطنة السفن فى هيئة قناة السويس بمناسبة احتفالات الهيئة بأعياد النصر ، وهم قباطنة البواخر العربية باهر ، ووقار ، وأسيوط

مغتصب الحرمين

قال السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الهام الذى ألقاه بمناسبة أعياد السد العالى بأسوان :

((ان سعود وفيصل يمثلان الكفر والردة ، ان سعود يتمسح فى الكعبة والكعبة منه براء ، ان الملك سعود ليس حامى حمى الحرمين ولكنه مغتصب الحرمين ، لا يمكن أن يكون حامى الكعبة هو ملك الحريم وملك الجوارى ان عائلة سعود هى الدعاية الوحيدة ضد الاسلام فى الخارج))

الرئيس يزور الجزائر
فى عيد استقلالها الأول

وجه السيد أحمد بن بيللا الدعوة للرئيس جمال عبد الناصر لزيارة الجزائر

وقد أعلن السيد العروسى خليفة وزير الصناعة فى الجزائر أنه قد تحدد يوم ٥ يوليو القادم موعدا لزيارة السيد الرئيس للجزائر بمناسبة احتفالاتها بالعيد الأول لاستقلالها

السيرة النبوية
تطبع على أسطوانات

وافق المجلس الأعلى للشئون الاسلامية على الصيغة النهائية التى سيتم بها التسجيل الصوتى للسيرة النبوية على اسطوانات أسوة بتسجيلات المصحف المرتل والصلاة

٧٠٠ر٠٠٠ أسطوانة جديدة
لتعليم الصلاة

قرر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية طبع ٧٠٠ر٠٠٠ أسطوانة جديدة لتعليم الصلاة بتسع لغات . ستقوم المؤسسة المصرية العامة للسينما والاذاعة والتليفزيون بطبع هذه الاسطوانات بمصنع الاسطوانات التابع لها باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والأردية والفولانية والسواحلية والهوسا

زعيم المسلمين فى سيراليون

زار القاهرة السيد سورى ابراهيم كانو زعيم سيراليون الروحى ورئيس جمعية رابطة الأخوة الاسلامية ..

وقد أجرى عدة اتصالات معوزارة التربية والتعليم والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية لارسال بعثات من العلماء والمدرسين لتدريس الدين واللغة العربية بسيراليون ولتقديم عدد من المنح الدراسية لكلية ومعهد البنات هناك ..

قال : ان الشعب الافريقى يقاطع الشركات الاسرائيلية مقاطعة تامة مهما قلت الاسعار التى تبيع بها هذه الشركات

وقال : ان عدد المسلمين بسراليون يبلغ نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم من مجموع عدد السكان البالغ ستة ملايين نسمه ..

كما قال : انهناكعددا كبيرا من الجمعيات الاسلامية والمساجد التى يتعلم فيها الصغار الدين الاسلامى واللغة العربية ..

مع القراء

ان ركب الحياة الذى يمضى من حولنا يدفعنا الى السير نحو الغاية التى ننشدها والمستقبل الذى نبغيه وكلنا صبر وايمان ٠٠ ومادمنا متسلحين بهذا السلاح المتين فسنصل ـ باذن الله ـ حتما الى الهدف الانسانى الكبير الذى يحقق الحب والاخاء والسلام ٠٠

الاسلام والتطور

السيد/محمد مصطفى العزبى
خطيب مسجد الشيخ محمد أبوكيال بنقيطة ـ المنصورة

الاسلام دين البقاء والخلود لاشك فى ذلك، وهو صالح لكل زمان ومكان لأنه لا يعرف التحول ولا يبلى بمرور الزمن ٠٠ وحسبك شاهدا على ذلك أنه دك عروش الأكاسرة ، والقياصرة ، وانتصر على كل المؤامرات والدسائس رغم ما أقيم حوله من الحواجز المصطنعة والشعارات الزائفة ٠

والمجلة تشكرك على اعجابك بها ٠

داوم على ذلك

الأستاذ على محمد عبد الوهاب
معهد بنى مزار الدينى

مادمت شغوفا بالقراءة ، ومحبا للثقافة ، فسيكون لك رصيد وافر من المعرفة وسيأتى اليوم الذى تجنى فيه ثمرة جهدك ٠٠ فداوم على جمع تلك الثروة الأدبية وستصلك الأعداد التى ذكرتها هدية من المجلس ومعها بعض المطبوعات الأخرى ٠

جذوة متقدة

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر

اذا تغلغل الايمان فى القلب وخالط اللحم والدم فلابد أن تكون هناك قوة فعالة وروحانية صافية تسير فى ظل القيم والفضائل وتدفع الانسان الى الخلق والبناء من أجل صالح المجموعة البشرية ٠٠ وهذا ما يحض عليه الاسلام ويدعو اليه ، فالشاعر العربى لم يكن يجهل هذه الحقيقة عندما ترنم بهذا البيت :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

دعاء

الأستاذ حسن عبد اللطيف قلانة
واعظ البدرشين بالجيزة

شكرا على هذا الاجتهاد الذى دفع بك الى البحث والتنقيب وجمع تلك الذخيرة الحية من الأدعية المباركة ٠

نهضة كبيرة

الأستاذ محمد أحمد فرج
مزارع ومن العلماء

كل الأدلة من حولنا تنطق بأن هناك نهضة كبيرة تقوم على الفهم العميق والوعى الخلاق لاسيما بعد أن خطت البلاد تلك الخطوات الواسعة فى سبيل التدعيم والاصلاح ٠٠ والمجلة لا تدخر وسعا فى بث المثل العليا وغرس الضمير الحى فى نفوس الناشئة ورعاية هذا الغرس ٠٠ وطبعا هذا من صميم الرسالة التى يعمل المجلس من أجلها ، ونحن نرحب بك مكافحا ومدافعا عن حياض الاسلام ونشكر لك هذه الغيرة المحمودة ٠

بريد التعارف

الاسم : أحمد عبد السميع الشوربجى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بالمعهد النموذجى بالازهر
الهواية : جمع الطوابع والصور والمراسلة وقراءة الكتب
العنوان : ترسا مركز طوخ قليوبية

الاسم : ابراهيم منصور اسماعيل
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب بالمعهد النموذجى بالازهر
الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة
العنوان : أبو حماد – شرقية – الجمايلة

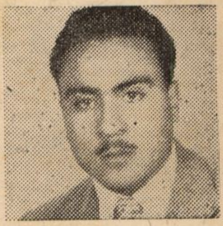

الاسم : محمد محمود المداح
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب بالمعهد العالى لشئون القطن بالاسكندرية
الهواية : المراسلة والادب والصحافة والتمثيل والتصوير
العنوان : الاسكندرية – المعهد العالى لشئون القطن

الاسم : سيد محمد أبوطالب
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢١ سنة
المهنة : طالب بالسنة الثالثة بكلية الهندسة جامعة القاهرة
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراجع العلمية
العنوان : معصرة صادى – فيوم

الاسم : على سيد على طمان
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : الرسم – التصوير – الرحلات ومراسلة الشباب العربى
العنوان : مدرسة الكفر الشرقى الابتدائية المشتركة مركز بيلا – كفر الشيخ

الاسم : محمود على وهبى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٧ سنة
المهنة : مراجع حسابات بشركة المحلات الصناعية للحرير والقطن (اسكو)
الهواية : قراءة الكتب الدينية ومراسلة الشباب المسلم وجمع الطوابع
العنوان : ٩ ش مدرسة خليل اغا الثانوية ش الجيش القاهرة

نزف إلى

العالم الإسلامى عامة

والوطن العربي خاصة

أجمل التهانى بحلول

شهر رمضان المبارك

داعين إلى الله أن يعيد هذا الشهر
الفضيل والوطن العربى من الخليج الى المحيط
ينعم فى ظل وحدة شاملة لخير الأمة العربية
بزعامة رائد القومية العربية سيادة الرئيس

جمال عبد الناصر

المؤسسة المصرية العامة للبترول

الجمعية التعاونية للبترول

إلى رائد نهضتنا

الرئيس

جمال عبد الناصر

إلى الجنود الذين يصارعون الطبيعة

لبناء

السد العالى

نتقدم اليهم فى العيد الثالث للسد العالى

بأسمى تهانينا راجين الله أن يبارك

جهادهم لتحقيق الخير والرخاء ..

مصانع طوب مردوخ

الغناميه مركز الباجور منوفية

الحارس الخاص

عبد الرحيم إمام

إلى شعب الجمهورية العربية المتحدة

والعالم الإسلامى

نقدم أجمل التهانى بحلول

شهر رمضان المبارك

أعاده الله على الوطن العربى باليمن والخير والبركات

فى وحدة عربية شاملة تحت قيادة رائد القومية العربية الرئيس

جمال عبد الناصر

شركة السيد اسماعيل

للصناعة والمقاولات

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للمقاولات والإنشاءات

شركة مصطفى موسى

للمقاولات

نقدم أطيب التهانى إلى العالم الإسلامى

خاصة وإلى شعب الجمهورية العربية المتحدة خاصة

بمناسبة حلول

شهر رمضان المعظم

أعاده الله على الوطن العربى باليمن والخير والبركات

فى ظل وحدة عربية شاملة تحت قيادة بطل العروبة الرئيس

جمال عبد الناصر

المؤسسة المصرية العامة لمواد البناء والحراريات

وشركاتها

تتقدم إلى الشعوب الإسلامية عامة وإلى شعب الجمهورية العربية المتحدة خاصة

بأطيب التهاني بحلول

شهر رمضان المبارك

أعاده الله على الوطن العربي بالخير واليمن والبركات في ظل وحدة عربية شاملة

تحت قيادة رائد القومية العربية الرئيس

جمال عبد الناصر

شركة أسمنت بورتلاند طره

شركة أسمنت بورتلاند حلوان

الشركة العامة لمنتجات الخزف والصيني

شركة الأسكندرية لأسمنت بورتلاند

الشركة القومية لإنتاج الأسمنت

شركة النصر للمواسير والمنتجات الأسمنتية

شركة النصر لصناعة الزجاج والبللور «مصنع ياسين»

شركة النصر لإنتاج الحراريات والفخار

شركة الطوب الرملي

اقرأ فى هذا العدد :

		صفحة
معالم الطريق	... ...	٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة	... ...	٨
مفهوم الثورة وتجربتها الثورية فى الميثاق ...	السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب الرئيس وعضو مجلس الرياسة ...	١٠
حديث مع السفير	... ...	١٧
الحركة النسائية فى مصر	لاستاذ الجيل أحمد لطفى السيد...	١٩
القرآن والمخلوقات الحية فى الكواكب	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٢٢
العلم بين الميثاق والشوقيات	الدكتور أحمد الحوفى	٢٩
من كلام النبوة	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٣٢
دعوة الميثاق الوطنى	الاستاذ حسنى عبد المجيد	٣٥
ماذا ينفقون ؟	الاستاذ البهى الخولى	٤٠
مشروعية النضال	المستشار على على منصور	٤٦
المجتمع الاسلامى	الدكتور محمد بيصار	٥٠
تعـــدد الزوجات	الدكتور على عبد الواحد وافى ...	٥٤
احياء المفاهيم الاسلامية	الدكتور عبد الحليم محمود	٥٨
شهر القرآن الكريم	الاستاذ عبد الرزاق نوفل	٦١
من وحى الصيام	الاستاذ محمد سلام مدكور	٦٣
اشتراكية الاسلام	الدكتور جمال الدين محمد سعيد	٦٧
رمضان فى الدين والتاريخ والادب	الاستاذ طاهر الطناحى	٧٢
قطـــوف	الاستاذ على الجندى	٧٦
أدع الى سبيل ربك	الدكتور مصطفى زيد	٨١
رمضان شهر الامانة والايمان	فضيلة الشيخ منصور رجب	٨٤
الصوم والطب الحديث	الدكتور محمد محمد أبو شهبة ...	٨٨
اثبات رمضان	فضيلة الشيخ محمد زكريا البرديسى	٩١
تحيتى لشهر الصيام	الاستاذ حسن الشيخة	٩٤
الفتاة فى مجتمعنا الاسلامى	الاستاذة مفيدة عبد الرحمن	٩٦
مستقبل الدعوة الاسلامية	الدكتور كمال أبو المجد	٩٨
ليلة القـــدر	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ...	١٠١
حـــديث السيف	الاستاذ محمد فرج	١٠٥
من وحى الرسالة	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٠٩
رمضان حفاوة وحســاب	الدكتور محمد يوسف موسى	١١٣
الاسلام والحجر الصحى	الدكتور محمد وصفى	١١٦
القرآن والعلم الحديث	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ...	١١٨
العقل يهدى الى الله	الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى...	١٢١
الجبرية فى الاسلام	تلخيص الاستاذ محمد فاوى عسر	١٢٣

كيف نجت بعض البلاد من الاستعمار ؟	الاستاذ محمد عبد الهادى	١٢٧
رمضـــــان	فضيلة الشيخ محمد أمين هلال ...	١٣١
من نفحات رمضــــان	الدكتور محمد مصطفى حلمى	١٣٦
ممالك اسلامية قديمـة	الاستاذ عبده بدوى	١٣٩
فكرة وعبرة	الاستاذ أحمد مسلم ابراهيم	١٤٣
الامام الاوزاعى	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٤٥
الاتحاد الاشتراكى العربى	الاستاذ محمود عبد المجيد	١٤٨
من فضائل الصــوم	الاستاذ محمد كامل شحاتة	١٥٢
دور الشباب فى الاتحاد الاشتراكى العربى ...	الاستاذ محمد فتحى محمود	١٥٥
العلم والدين	الدكتـور زكريا العصفورى	١٥٨
جاهلية اسلامية	الاستاذ أحمد محمد بريرى	١٦١
اشتراكيتنا رحمة	الاستاذ عبد الرحمن الشربينى ...	١٦٤
شهر القرآن	الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم ...	١٦٦
من أعلام الاسلام	الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ...	١٦٨
فنوننا الاسلامية	الدكتور عبد الرحمن زكى	١٧٢
الى ثورة اليمن الظافرة « قصيدة »	الشاعر اليمنى السيدمحمد العجيل	١٧٦
المرأة المسلمة		١٧٩
تحية رمضان « قصيدة »	الشاعر عبد الله شمس الدين ...	١٨١
أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الشيخ حسن مأمون	١٨٣
فتوى	فضيلة الشيخ أحمد هريدى	١٨٦
خطاب مفتوح		١٨٩
نظرات فى آراء ابن حزم	الدكتور جمال الدين الرمادى	١٩١
لماذا أسلمت		١٩٤
اخبار سريعة		١٩٦
مع القراء		١٩٧
بريد التعارف		١٩٨

مطابع شركة الاعلانات الشرقية